

تفريغ

دورة في مسائل الإيمان

للشيخ الدكتور:

هاني السباعي

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

دورة

مسائل الإيمان

للشيخ/ هاني السباعي

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

الدرس الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

الإخوة المكرمون، ها نحن أولاء مع اليوم الأول لهذه الدورة الشرعية، أي مع الدرس الأول. ونحن اليوم في الرابع من شهر ذي القعدة، لسنة ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين، من الهجرة النبوية المباركة.

• موضوع هذه الدورة:

هي دورةٌ علمية شرعية؛ لمن يريد أن يبني عقيدته، أو يُعيد البناء العقدي الذي تعلَّمه، أو لم يتعلمه. فهذه دورة للمبتدئين الذين يريدون أن ينظّموا المعلومات، وينظّموا البناء العقدي.

وهذه الدورة اسمها هكذا: (**مسائل في الإيمان**)، فاخترت مسائل مهمة في موضوع الإيمان، ولم أشأ أن أشرح مثلًا كتاب (العقيدة الطحاوية)، أو كتابًا من كتب العقيدة التفصيلية؛ ولكن اخترت هذا الموضوع وله سبب، خاصةً أن له بالإضافة إلى الجانب العقدي جانبٌ عملي أيضًا.

مشكلة المسلمين أنهم يتعلّمون البناء النظري فقط؛ يعني يتعلم الأسماء والصفات، ويتعلم بعض المبادئ في العقيدة، هذا شيءٌ طيب. ولكن من الناحية العملية، أو المردود العملي لهذا البناء العقدي النظري، لا تكاد تجد هذا التطبيق موجودًا في الواقع.

ولذلك فأنا اخترت هذا الموضوع، وهو مسائل في الإيمان؛ أي أهم المسائل التي ينبغي على أي مسلم أن يعلمها، هذه مسائل مشهورة عند أهل السنة، وعند الفرق الأخرى التي اختلفت مع أهل السنة في قضية الإيمان.

والذي سنتكلم فيه على النحو التالي:

• أولًا: خطة هذه الدراسة:

خطة هذه الدراسة أنني سأنطلق من كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفَّى سنة سبعمائة وثمانية وعشرين هجريًا، وهو له كتاب (مجموع الفتاوى) الشهير، ومن ضمن هذا الكتاب كتاب اسمه (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط)، هذه الكتب ستجدونها مطبوعة بمفردها في المكتبات.

قبل شيخ الإسلام ابن تيمية كُتبت كتب كثيرة جدًا، -إن شاء الله- في الأسبوع القادم سأعطيكم بعض النبذ من هذه الكتب أيضًا. ولكن ابن تيمية يتميز أنه استطاع في القرن الثامن الهجري أن يحرّر مذهب السلف؛ لأن مذهب السلف في تلك الفترة كان قد اختُطف، وظنّ الناس أن المذهب السائد في ذلك الوقت -وهو مذهب الأشاعرة- أنه هو المذهب السلفي؛ فاختلطت الأمور بسبب تشابه كثير من المسائل بين أهل السنة والأشاعرة.

فابن تيمية استطاع في كتابه هذا -وهو كتاب (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط)-؛ والإيمان الكبير ليس معناها أن الإيمان كبير والإيمان أوسط، لكن هو على أساس حجم الكتاب؛ فكتابه (الإيمان الكبير) هو ألّفه أولًا لأنه كان يُسأل الأسئلة وكان يستفيض، فشرح حديث جبريل الشهير، وهو يتكلم عن مراتب الدين: (هذا جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم)،

هذا الكتاب هو أصلًا شرح لحديث جبريل ولكن بطريقة ابن تيمية، وهي مزية وعيب في نفس الوقت، لمن لم يعرف طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية. أنت تقرأ لابن تيمية أحيانًا تتوه؛ لماذا؟ لأنه يسترسل كثيرًا ويتفرعّ كثيرًا، لأنه عبارة عن موسوعة، فعندما يتكلم يستفيض، ثم يرجع للمسألة بعد خمسين صفحة، أو يرجع للجواب بعد صفحات عديدة أيضًا!، هكذا تشعر أنك في حاجة إلى تركيز شديد، خاصة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم؛ هذه طريقتهم في الاستفصال وعرض المسائل بمتعة. أنت تستمتع، ولكن طالب العلم المبتدئ سيتعب كثيرًا، فيقول: هل هذا هو الذي قاله شيخ الإسلام الآن؟ أم بعد خمسين صفحة؟ أو عشرين صفحة؟ يرجع إلى رأيه مرة أخرى! هذه هي المشكلة عند بعض الناس.

وأحيانًا عندما تستعرض المسألة ولا تفهم طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية، تظن أن هذا الرأي هو رأي ابن تيمية، ثم تجد أنه ليس رأيه ولكن هو يفنّده.

وبصراحة لا يوجد في العالم الإسلامي، من استطاع أن يكتب في قضية الإيمان بهذه الاستفاضة كشيخ الإسلام ابن تيمية؛ كل الناس عيال، كل علماء أهل السنة عيال على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، خاصة كتابيه (الإيمان الكبير والأوسط)، ثم جاء الناس بعده. لكن قبل ابن تيمية نعم، فهو اعتمد على كتاب الإيمان للآجري في كتابه (الشريعة)، واعتمد على كتب الإيمان أحمد بن حنبل في مسائله، واعتمد على كتاب الإمام المروزي، واعتمد على الإمام أبي إسحاق الإسفراييني، واعتمد على أبي بكر الإسماعيلي، وابن بطة وأبي نعيم في (الإيمان) وغيره؛ واعتمد على كتب كثيرة جدًا، هؤلاء جميعًا كتبوا في مسائل الإيمان، وسأذكر لكم أهم كتب الإيمان.

لأن كتب الإيمان في كتب العقيدة العامة، كتب العقيدة العامة ك(العقيدة الطحاوية)، مسألة الإيمان تأخذها في بندٍ، وعندما يشرح الإمام ابن أبي العز الحنفي مسألة خاصة بتعريف الإيمان، هنا يستفيض ويأتي الشرّاح. لكن هذه مسألة في داخل كتاب العقيدة الطحاوية. أما الكتب التي تخصّصت في الإيمان، والرد على المبتدعين في ذلك الوقت، هي كتب كثيرة وموجودة، ويوجد منها المطبوع ومنها المخطوط.

وأنا أحذّر مرة أخرى؛ خذوا حذركم من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية. ليس معناها النفي للمدح، فهو ممدوح بالنفي؛ لأنه صعب مثل الغابة، لا بد تدخل هنا وهنا وتستمتع، ولكن يجب أن تكون حذرًا وأنت تقرأ.

الآن أعطيكم مثالًا: أحد الشباب معجبًا بابن القيم وقرأ له؛ فألّف بحثًا وعرضه عليّ، وقال لي: أنا كتبت بحثًا في مسألة في أصول الفقه، فقال لي: أنا أريد أن أنشر هذا في الإنترنت في المنتديات. وأنا أعلم أنه حديث عهدٍ بالالتزام وبالعلم، ليس الذي مرّت عليه التجارب لكي يكتب، وعندما يكتب يكتب في أصول الفقه! اكتب في أي فرع آخر، مثل المواعظ وأشياء هكذا؛ لكن تكتب في أصول الفقه! قلت: خير وبركة، ما شاء الله. فقرأت البحث الذي تحدّى به الناس وقال أنه سينشره وهكذا، فقرأته فإذا به من أول العنوان أخطاء في اللغة العربية، في النحو حدِّث ولا حرج!.

من أولها، الفاعل والمفعول، والصفة والموصوف، كل ما تتخيله من اللغة العربية غريبة عنه، كأنها لا تعرفه ولا يعرفها. الواحد تعب من كثرة التصحيح –وهو قد عرضه عليّ بعد التصحيح-. ثم بعد ذلك من الناحية الموضوعية، أين البحث؟ ما هو الموضوع؟ أنت تقول: المصالح المرسلة، أنا سأبحث في المصالح المرسلة وهكذا! وتذهب وتحضر كتابًا، هل هذا بحث علمي؟ لا بد أن تأتي إلى فرعية جزئية في المصالح المرسلة؛ المصالح المرسلة عند كذا، أو عند الإمام

مالك، ولماذا لم يأخذ بها فلان وأخذ بها فلان، تأخذ جزئية وعلاقتها بالأخرى. فليست مسائل هكذا، إذًا –ما شاء الله– انقل ما في الكتب وانتهى الأمر.

وهكذا فعل صاحبنا، ولكن جاء يعرض الآراء، فعرض رأيًا لابن القيم، فقال: وأنا أرجّح رأي ابن القيم في هذه المسألة. وأنا أقرأ رأي ابن القيم، قلت له: أنت قلت هذا رأي ابن القيم؟ قال: نعم، وأنا أؤيد رأي ابن القيم. قلت: أنت إذًا ابن القيم خدعك، أو خُدعت أو تُهت!، هذا الرأي هو الذي يفنّده ابن القيم، ابن القيم ضد هذا الرأي أصلًا!. قلت له: هذا لأنك لم تعرف مفاتيح العلوم ولا مفاتيح شخصيات العلماء، ابن القيم يستعرض، ولكن أحيانًا يسترسل في الرد، وأحيانًا تجده يقول رأيه بعد ثلاثين أو أربعين صفحة! انظر في (إعلام الموقعين) ستجده هناك، قال: أنا أتيت به من (إعلام الموقعين)، قلت له: هذا بالبديهة ضد رأي ابن القيم.

فهو مسكين لم يصبر؛ قلت له: يا أخي أنت تريد أن تتزبَّب قبل أن تتحصرم!؛ يعني يريد أن يصل إلى مرحلة الزبيب، هو يريد أن يقفز ويكون زبيبًا وهو شيء جميل، قبل أن يمر على مرحلة الحصرمة التي يكون فيها مثل الشيء الجاف، هكذا ويمر إلى مراحل، يستعجل العلم.

إذًا لا تستعجل في العلم حتى لا تضيع في غابة العلماء، العلماء لهم أساليب في العلم. ولذلك أنا أحذّر الإخوة عندما تتعلم مسألة، تعلم واصبر، ثم اصبر وابنِ عليها مسألة أخرى، لا تتوسّع هكذا، وتقول أنا أؤلف: أنا –الحمد لله–، أنا استمعت إلى محاضرة؛ فإذًا أنا الآن سأبحث في مسائل الإيمان لابن تيمية وابن القيم وتدخل في الموضوع؛ هنا لا بد أن تكون حذرًا في هذه المسائل.

• أهمية هذه الدراسة:

اخترت مسائل الإيمان لأنها مهمة جدًا لأي مسلم؛ لأنه يترتب عليها تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر، يترتب عليها جنة ونار، هذه خطورة هذا الموضوع.

ثانيًا: أنت قد تسمع عن الفِرق الموجودة الآن، كلهم يحبون الإسلام، وكلهم يريدون الإسلام، فلماذا اختلفوا؟ وما سر الاختلاف؟ وما سبب الاختلاف؟ ولماذا وصل إلى أن هذا يقول هذا كافر وهذا مؤمن وهذا بين بين، لماذا هذا يكفّر هذا؟ وهذا يقول إنه مؤمن؟ ما السر في هذه المشاكل؟ ما أصل هذا الخلاف؟ فهذا سنتكلم فيه -إن شاء الله-.

• مواضيع الدراسة:

- أولًا: سنتكلم عن **أقسام الناس** في عهد رسول الله ﷺ، ونتكلم بعد ذلك عن حكم قسم مهم من أقسام الناس، ولا يلتفت إليه الناس كثيرًا، وهو قسم المنافقين، سنتكلم عن النفاق.
- ثم نتكلم بعد ذلك عن **مسمَّى الإيمان**؛ اختلاف أهل السنة مع الفرق في مسمى الإيمان، اختلاف أهل القبلة في مسمى الإيمان، هذا هو السبب المشكل. ونرد على الشبهات التي أثارها كل فريق.
- ونعطيكم نماذج من **الفرق الإسلامية**؛ كالأشاعرة، كالجهمية، كالكرامية، الخوارج، المعتزلة، أقسام الفرق الكبرى هؤلاء، الفرق بين الأشاعرة والماتريدية، وما هو الخلاف بينهما؟ وهم أشاعرة وبالرغم من ذلك هم مختلفون.
- نتكلم أيضًا من ضمن هذه المسائل الهامة عن **مسائل أثارها أهل السنة** وقد يترتب عليها شيء فرعي؛ مثل مسألة: (أنا مؤمن إن شاء الله)، هذه اختلف فيها العلماء، حتى في داخل أهل السنة. فيها ترجيحات، وفيها آراء. فهذا مبحث مهم، سنتكلم عنه أيضًا، أثاروه لكن هو ليس بأهمية الاختلافات الكبرى في مسمى الإيمان.
- نتكلم عن **حكم مرتكب الكبيرة**، والخلاف بين أهل السنة وغيرهم، كالخوارج والمعتزلة وغيرهم من أشاعرة وغير ذلك، في حكم مرتكب الكبيرة، ونفرّع على ذلك مسائل كثيرة جدًا لها تفريعات.
- ثم بعد ذلك سأحاول أن نختم بشيء مهم في الإيمان؛ **هذا الإيمان خلاصته عند أهل السنة؟ ما هي شروطه؟ ما هي نواقضه؟** ما هي المشاكل التي ينبغي أن يعيها المسلم عندما يدرس مسألة الإيمان؟

- كما أننا سنتكلم أيضًا -إن شاء الله- عن **مراتب الدين**، ومراتب الدين موجودة في حديث جبريل الشهير: عن الإسلام والإيمان والإحسان. سنبدأ به، ثم ندخل على موضوع اختلاف مسمى الإيمان.

هذه المسائل المهمة، وخلال الدرس سنتفرع إلى فرعيات كثيرة. والعلم يحتاج إلى صبر: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، العلم يحتاج إلى صبر؛ فالأخ الذي يدرس لا يظن أننا سنتكلم عن موعظة ندغدغ بها المشاعر. أنت تريد أن تتعلم دينك إذًا لا بد أن تصبر على هذا العلم. وصدقني الذي سيصبر سيستفيد كثيرًا، وفي نهاية هذه الدورة سيحمد الله -سبحانه وتعالى- أنه قد حضر هذه الدورة واستفاد منها على الأقل. فلذلك الذين سيحضرون يجب على كل واحد إن استطاع أن يدون بعض الملحوظات أو يراجعها من التسجيلات.

وسنعقد امتحانًا في نهاية الدورة -إن شاء الله-، وغالبًا أنا أفضل الامتحان الشفوي حتى أمحّصك وأسألك، هل استوعبت أو لم تستوعب ما أقول. وهذا ما حدث، ولذلك أشكر الإخوة الأعاجم، جزاهم الله خيرًا، الذين لا يتكلمون اللغة العربية، قد سبقوكم -وأنتم أهل اللغة العربية- بهذه الدورة، رغم أنها كانت باللغة الإنجليزية، والإنجليزية طبعًا صعبة بالنسبة لي لأنها ليست اللغة الأم؛ ورغم ذلك كافحت معهم، حتى -بفضل الله سبحانه وتعالى- انتهيت من هذه الدورة، واستوعبوها جيدًا، وعقدت لهم امتحانًا؛ والحمد لله أعطيتهم إجازة في هذا الموضوع بامتحان شفوي، كل واحد أخذ على الأقل ثلث ساعة، عشرين دقيقة، حتى أعرف أنه استوعب، وأعطيناهم شهادات تقديرية، ومُنح إجازة في دورة شرعية اسمها (مسائل في الإيمان)؛ وأنه الآن يستطيع أن يحبو في العلم، ويستطيع أن يقرأ ويزداد، ويمكن أن يدرّس هذه المادة لغيره، إذا كانت لديه الملكة. فهذا معنى الإجازة هذه؛ أجيزك أنك ناجح في استيعاب الخلاف في المسائل، ومعناها أنك صالح لتعلم غيرك، أو تعطي درسًا لغيرك، أو تشرحه بأي طريقة، لكن أنا نصيحتي أن تتعلم أكثر وتقرأ أكثر وهكذا.

- ## الكتب التي نعتمد:

الأساس كتابا ابن تيمية (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط)؛ ولكن هناك كتب نحاول أن نأتي من خلالها، معلنة في هذا الموضوع؛ وخاصة كتب ابن القيم، وكتب ابن رجب الحنبلي، وكتب أيضًا لعلماء أهل السنة المشاهير. سأعطيكم نبذة عن بعض الكتب المهمة في الإيمان التي تكلمت في مثل هذه القضايا.

طبعًا كل واحد يتكلم بطريقة مختلفة عن الآخر؛ لكن يتميز ابن تيمية -رحمه الله- بأنه استطاع أن يحرّر مذهب أهل السنة.

من أهم الكتب في الإيمان:

- كتب (الإيمان الكبير والأوسط) لابن تيمية.
- كتاب (معتقد أهل السنة) للإمام اللالكائي، وهو إمام تُوفي سنة ٤١٨هـ.
- وكتاب (الشريعة) للإمام الآجري؛ كان يرد فيه على القدرية، ولكن تكلم أيضًا عن مسائل أهل السنة الشهيرة، وتُوفي سنة ٣٦٠هـ.
- وكتاب (الإبانة) للإمام أبي عبد الله بن بطة، وهو المتوفى سنة ٣٨٧هـ.
- وهناك كتاب (الحُجَّة في بيان المَحِجَّة).
- وكتاب لأبي القاسم الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ.
- وهناك كتب أخرى متعلقة بهذا الموضوع مثل كتاب (الإيمان) في صحيح مسلم.
- وكتاب (الإيمان) لابن أبي شيبة.
- (العقيدة الطحاوية) كما قلت لكم.
- وكتاب (لمعة الاعتقاد) لابن قدامة.
- وكتاب (معارج القبول)، في الجزء الثاني خاصة المتعلق بالإيمان، وهو اقتدى ولخّص كلام ابن تيمية؛ فلذلك هو سهل لأنه كُتب بلغة معاصرة.
- وهناك كتاب قديمة أيضًا؛ كتاب (السنة) لأبي بكر الخلال المتوفى سنة ٣١١هـ.

- وهناك كتب تتعلق بهذه القضايا لابن تيمية ؛ مثل كتاب (العقيدة الواسطية)، و(الحموية)، و(التدمرية)، و(الأصفهانية)، ولكنها تتعلق بمسائل أخرى كالرد على القبوريين وغيرهم، ولكن فيها مسائل في الأسماء والصفات وأشياء مثل هذا.
- وهناك كتب أخرى تكلمت في الإيمان بطريقة جيدة مثل موسوعة كتب علماء الدعوة النجدية (الدرر السنية).
- وهناك كتاب أيضًا ملخص بسيط اسمه كتاب (الإيمان) لابن منده.
- وهناك كتاب (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) للشوكاني.
- وكتاب (الشفاء) القاضي عياض.

فكل هذه الكتب لها علاقة بهذه القضايا. لكن أقوى هذه الكتب كما قلت لكم، هو كتاب (الإيمان) لابن تيمية، وهو كتاب (الإيمان الكبير) وكتاب (الإيمان الأوسط). الكتابان متشابهان؛ لماذا؟ لأنه يشرح حديث جبريل في كتاب (الإيمان الكبير)، ولكن يتوسع في الرد على الفرق، ويرد على من يُسمَّون بالعقلانيين هؤلاء وأصحاب البدع. فكتاب (الإيمان الأوسط) ملخص يعني يختصر أحيانًا بعض المسائل، ويتوسع في بعض القضايا، لكن الكتابين ككتابٍ واحد.

الكتب المتعلقة بتبيين الفِرق:

- كتاب (الفِصَل) لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ.
- وكتاب (الفَرْق بين الفِرَق) للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ.
- وكتاب (منهاج السنة)؛ عندما تكلم عن الإمامة والإيمان، وتكلم في الرد على الرافضة أيضًا.
- وهناك كتب تتكلم في الفرق ولكن من باب المعلومات العامة؛ ككتاب (مقالات الإسلاميين) للإمام أبي الحسن الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ.

وهناك كتب كثيرة جدًا، سأشير إليها بعد ذلك.

• أقسام الناس على عهد النبي ﷺ:

أول مسألة سنتكلم فيها هي مسألة أقسام الناس على عهد النبي ﷺ.

الناس في عهد الرسول ﷺ في الفترة المكية كانوا قسمين، وفي الفترة المدنية كانوا ثلاثة أقسام.

في **الفترة المكية**: كانوا إما مسلم وإما كافر؛ مسلم في الظاهر ومؤمن في الباطن. وكافر في الظاهر وكافر في الباطن، يعني ما في نفاق؛ لأن المسلمين كانوا ضعفاء، فلا يوجد هذا القسم الثالث.

إذًا القسم الثالث **لما هاجروا إلى المدينة**، وصارت لهم دولة، وصارت لهم حيثية وقوة وسلطان، ظهر قسمٌ ثالث وهم المنافقون. والنفاق ظهر في المدينة؛ لأن المنافق يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، يُظهر الإسلام بسبب قوة الإسلام، هو كافر بالإسلام، ولكن لأنه جبان ويخشى أن يصرّح، فإنه يتظاهر بالإسلام، ويعلن الشهادتين، ويلتزم بتعاليم الإسلام الظاهرة؛ يذهب إلى المسجد ويؤدي الصلوات، والقرآن وصفهم في: {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ}، {وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً}، {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء}.

هذا القسم الثالث وهم المنافقون ظهروا في المدينة، ولذلك ستجدون أن هناك تناسبًا طرديًا بين زيادة قوة الإسلام، وزيادة المنافق في الالتزام بالإسلام الظاهر؛ يعني كلما كان الإسلام قويًا، كلما التزم المنافق بتعاليم الإسلام الظاهرة؛ لأنه يخشى أن يُصرّح. ولكن: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}، فلا يستطيع أن يصرح. لكن كلما ضعف الإسلام ظهر النفاق، تناسب عكسي بعد ذلك؛ يظهر النفاق لأنه يصرح.

كعبد الله بن أبي بن سلول؛ كان يلتزم بتعاليم الإسلام، وكانوا عددًا كبيرًا أكثر من ثلاثمائة، أو أكثر من أربعمائة كما قيل. هؤلاء المنافقون في عهد رسول الله ﷺ، كعبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، كان يلتزم شعائر الإسلام الظاهرة، وكان يذهب معهم إلى المسجد، رغم أنهم يعلمون أنه منافق بعلامات، يورّي بالألفاظ، يتفلّت من الأحكام الشرعية.

ولذلك لما تكلم فقال: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}؛ سمعه الصحابي زيد بن أرقم، وكان فتًى صغيرًا، فذهب وأخبر بها، وقال إنه يقول ويعرّض بالرسول، وأنه هو الذليل وصار هو العزيز في المدينة، إذًا هذه الكلمة في حد ذاتها كفر. ورغم ذلك، فإنه لما جيء به إلى الرسول نفى، وكذّبه القرآن فيما بعد، ورغم ذلك فإنه فعل أفاعيل كثيرة، حتى في حادثة الإفك صار يؤجّج مشاعر الناس في المدينة، هذا ما يسمى بالطابور الخامس.

ولذلك لما قال سيدنا عمر: "دعني أضرب عنق هذا المنافق"، فقال الرسول ﷺ: (لا، حتى لا يُقال–أو إن العرب تقول– إن محمدًا يقتل أصحابه)، الرسول لا يخشى أن يقيم عليه الحد أو الحكم، لكن لأنه لا يوجد دليل صريح بيّن، هي معلومات عند الرسول ﷺ لكن الناس لا تعلم، فربما يظنون أن الرسول ﷺ يقتل أصحابه، لأنه في جملة من يصحب الرسول ﷺ، هو منافق، ولكن الناس ستنظر إليه أنه مسلم، لأنهم لا يعلمون هذه القضايا.

إذًا لو أن هذا المنافق كان قد صرّح تصريحًا كان أقام عليه الحد، لكنه كان يتفلّت، وهذه خطورة النفاق.

إذًا أقسام الناس في عهد رسول الله ﷺ في الجملة هكذا: (مؤمنٌ، كافرٌ، منافقٌ). المؤمن: مسلم في الظاهر ومؤمن في الباطن. الكافر: كافر في الظاهر والباطن. المنافق: مسلم في الظاهر منافق في الباطن، ولكنه في الحقيقة في الآخرة هو كافر خالد في النار، نتكلم عن النفاق الأكبر فهو خارج من الإسلام.

طبعًا شيخ الإسلام ابن تيمية، استفاض واستعرض آيات كثيرة جدًا، حتى إنك تجد في القرآن الكريم، في سورة البقرة مثلًا؛ تجد أن القرآن بدأ بآيتين في وصف المؤمنين، ثم بآيتين أيضًا عن الكفار، ولكن انظر من الآية رقم ثمانية: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}، إلى الآية رقم عشرين عن النفاق وعن المنافقين، كل هذه الآيات؛ مرة ضرب بهم مثلًا في الماء ومرة بالنار.

ولكن في المؤمنين انظر؛ قال: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}؛ هذه تصف المؤمنين. ثم يأتي: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}، هذا في شأن الكفار. لكن عندما بدأنا في النفاق: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}.

فانظر هذه الآيات كلها تتكلم عن المنافق؛ لأن المنافق مخادع، لأن المنافق خطير جدًا في المجتمع، لأنك تُدخله بيتك لأنه مسلم في الظاهر، يؤدي الشعائر، ويصلي معك في المسجد، ويحضر الدروس، ويحضر الجمع والجماعات، ويحج ويصوم، في الظاهر أمامك، فهو خطير جدًا!، مطَّلعٌ على أسراركم، وهذا هو الذي قاله الله في القرآن.

ولاحظوا في سور القرآن المدنية؛ لا تكاد توجد سورة مدينة لم تتكلم عن المنافقين. انظر إلى سورة آل عمران تتكلم عن النفاق: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}، ثم يقول الله –سبحانه وتعالى– عنهم أيضًا هؤلاء: {وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا} نحن مؤمنون! {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}، هذا هو المنافق، يتكلم عليك في السر، ويتآمر عليك في السر، ويحضنك في العلن، ويقول: أنت أخي، ويبتسم إليك، ولكنه يطعن فيك، وخاصةً إذا كانت لك شوكة وقوة.

ولذلك القرآن الكريم تجد فيه سورة براءة، واسمها عند العلماء المقشقِشة، الفاضحة التي فضحت المنافقين؛ هذه السورة تكلمت عن نفسيات النفاق والمنافق، وكيف يفكر المنافق: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ}، اللمز والغمز، ويتكلمون ويستهزئون، حتى فضحهم عندما يستهزؤون يقولون: انظروا أصحاب محمد، أكثر الناس بطونًا، وأنهم يحبون الأكل والشرب وهكذا، ويسخرون ممن يتطوع بشيء بسيط، هؤلاء كانوا يتكلمون فيما بينهم ففضحهم الله القرآن الكريم في هذا فقالوا: {كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}، {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ}؛ هذه آية في المنافق، وليست في الكفار الأصليين، هؤلاء كانوا مؤمنين.

ولذلك القرآن يقول عنهم: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}، ولم يقل بعد كفركم. إذًا هذا هو المنافق، هكذا مثل الثعبان ملمسه ناعم، ولكن السم هذا القاتل تجده في فمه.

ولذلك هذا القسم الخطير، تجده في القرآن، حتى في سورة البراءة الصغرى وهي سورة (المنافقون) تجدها في النفاق أيضًا: {وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}. المنافق حائر تائه مهلهل، دائمًا خائف رغم أنه يشعرك أنه قوي؛ لكن دائمًا {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}.

كما قال حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– في زمنه، وهو في زمن الخير، في سنة شيء وأربعين هجريًا تقريبًا، عندما قال: "لقد كثر النفاق في أيامنا"، في أيامه يقول كثر النفاق! تخيل في أيامه هو كثر النفاق! فما بالك بأيامنا؟! أنت

تجد –ما شاء الله– شيخ الإسلام المنافق، الداعية الضال المنافق، وهذا الشيخ كبير منافقي زماننا، ويُحسنون ويتكلمون بألسنتنا.

ولذلك الرسول ﷺ وصفهم كما في الحديث الصحيح في (صحيح الجامع) لما قال: (أكثر منافقي أمتي قرّاؤها)؛ قراء: يعني الحافظ لكتاب الله، قراء: يعني العالم؛ لأن كلمة (قرّاء) هذه كلمة عامة، لكنهم كانوا يقصدون بها الذين يتلون كتاب الله ويحفظونه؛ ولذلك تجد في التاريخ في ثورة عبد الرحمن بن أشعث سنة ٨٠هـ مع الحجاج بن يوسف، كان اسمها (فتنة القرّاء)؛ لأنه كان معه العلماء القرّاء حفظة كتاب الله، الذين ثاروا على عبد الملك بن مروان وعلى الحجاج بن يوسف، ولكن هؤلاء كانوا قرّاءً صالحين. أما الحديث يتكلم عن القرّاء الذين في زماننا –ما شاء الله– يحفظ كتاب الله، ولا يطبق منه شيئًا؟! يحفظ كتاب الله ويوالي أعداء الله؟! يحفظ كتاب الله، ما نهاية هذا الحفظ؟ ما نهاية هذا العلم؟ ما هو أثره؟ ولذلك الله –سبحانه وتعالى– يقول: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}؛ لأن العلماء أكثر الناس خشية.

وتجد المنافق دائمًا يحفظ ويكتب، وتجد لسانه يؤثر في الناس، ورغم ذلك فإن هذا اللسان لا يجاوز في الحقيقة حنجرته، وتجد قلبه مرجلًا؛ وهذا النفاق هو من أكثر الأشياء التي عالجها القرآن وركّز عليها، آيات النفاق أكثر من الآيات التي تكلمت عن الكفار الأصليين. معظم الآيات في القرآن الكريم تجدها تتكلم عن المنافقين؛ لأن الذي ضعضع الدولة الإسلامية وضعضع المسلمين، وكسّرهم، ودمّرهم، وأحاط بهم، هم المنافقون.

هو عندما يدخل في الإسلام، واسمه محمد، واسمه علي، واسمه حسن، ومحمود، وهو نفسه الذي يتآمر عليك، هذه هي خطورة هذا النفاق.

ولذلك قسّم العلماء أن الناس في عهد رسول الله كانوا هكذا، بكل صراحة، وهم المسلم: أي مسلم في الظاهر وفي داخله في الباطن مؤمن. والكافر الحقيقي –على النقيض–: في باطنه كافر وفي ظاهره كافر. والمنافق: هذا هو الخطورة، لأن ظاهره الإسلام وباطنه الكفر.

هناك مسألة أخرى فرعية، وهي: سبب ظهور هذا النفاق، وأصل النفاق.

سبب ظهور النفاق -قلنا لكم- هو قوة المسلمين في المدينة؛ لذلك تجد القسم الأول والثاني كان في مكة، لكن لم يكن في المدينة؛ لكن أصل المنافقين إما من المشركين الوثنيين، أو من المشركين الذين هم من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى. يعني واحد أسلم وصار منافقًا، هو أسلم في الظاهر، لكنه كافر في الباطن. ولكن أخذناه على حكم الظاهر، نعامله كمسلم إلى أن يظهر منه شيء ندينه أو نعاقبه به؛ لأن الإسلام يتعامل بالظاهر، والباطن هذا لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-.

يقول لك: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، ويؤدي الصلوات، ويؤدي الزكاة، فعلى ماذا نعاقبه؟! إلا إذا ظهر منه شيء. لكن: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}؛ دائمًا يثبّطون المؤمنين، دائمًا يتكلمون ويشيعون الأراجيف والشائعات، نعرف المنافق، حتى في زماننا هذا نعرفه. هم الآن الحمد لله ظاهرون، لا يحتاج أن يتملق إليك، كيف سيتملق إليه، وهو عنده القوة، وعنده العزوة، وعنده الإعلام، وعنده المال، فلا يحتاج إليك. المنافقون في أيامنا لهم قوة وشأن. لكن هو يتزلّف في العموم، يقول لك: أنا مسلم. رغم أنه يطعن في القرآن، ويطعن في الإسلام، ويطعن في السنة، وفي النهاية يقول: أنا مسلم مثلك! كيف أنت مسلم مثلي؟ لأنه يخشى بطش الأمة في العام، يخشى أن الناس تزجره. يعني ممكن واحد يروح يرتكب شيئًا، ويقيم عليه عقوبة الردة.

وهو أصلًا جبان حتى في هذا؛ يستغل وسائل الإعلام، ويستغل الجيش، ويستغل العلمانيين في الدولة، ويستغل محاربة الإسلام، ويقول لك: أنا علماني، أنا ليبرالي، أنا كذا؛ ولكن في نفس الوقت أنا مسلم! يعني أنت لما تقول أنا مسلم كاثوليكي، أنا مسلم شيوعي، أنا مسلم أرثوذكسي! كيف يعني تجمع النقيضين مع بعض، جنة ونار مع بعض! لا ينفع.

ولذلك أصل النفاق كان من أهل الكتاب، الذين أرادوا هدم الدولة الإسلامية، أو خافوا على أن الدولة أو الإسلام سينتشر في المدينة، وماذا سيفعلون؟ فمنهم من دخل في الإسلام، من أجل الطعن. طبعًا هناك عبد الله بن أبي بن سلول المشهور، وهناك بعض المنافقين، الذين ذكرهم الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) بالتفصيل بأصولهم وأسمائهم.

ولكن الذي يعنينا هنا، أن أصل المنافق إما وثني مشرك، أو من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين دخلوا في الإسلام ظاهرًا وهم كافرون باطنًا؛ بغية إما أنه يدمر في الإسلام، أو أنه يريد أن يحصل على منافع معينة، ولكنه في

الحقيقة كان كافرًا من الداخل، ولكن لا أستطيع أن أكتشفه، لأنه يقول: أنا مسلم. إلا أن يصرح تصريحًا كفريًا، فنعاقبه هنا ونقدمه للقاضي ونحاسبه.

في هذه الفترة بعد عصر الصحابة ظهر ما يُسمى (الزنديق)، مصطلح جديد ظهر. فالناس اختلفوا في هذه التسمية، وتجد الكتب القديمة كانت تتكلم بعد ذلك في القرن الرابع والخامس والسادس وما بعدها، تتكلم عن أحكام الزنديق. وتكلم العلماء قديمًا عن أحكام الزنديق، ذكرها ابن تيمية، ومن قبل ابن تيمية علماء كثر، تكلموا في هذا الزنديق. من هو الزنديق؟ الزنديق: هو مصطلح معرّب أصله فارسي. بعض العلماء وأهل اللغة قالوا: إن أصل هذا المصطلح (زنديق)، اسمه (زنديك) بالكاف.

وأنتم تعلمون لما فُتحت الدولة الإسلامية وكُسرت شوكة الفرس على يد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وعلى يد الفاتحين الأوائل، ودخل الناس في دين الله أفواجًا؛ هناك من الفرس من دخل في الإسلام أيضًا، ودولة فارس كانت كبيرة جدًا والروم، هاتان الدولتان كُسرتا على يد الإسلام والمسلمين، في فترة زمنية وجيزة.

يعني تخيلوا مصير العالم لم يمر مائة عام وقد تغير، العالم الإسلامي على أطراف الصين، إلى الأندلس، إلى حدود جبال البرانيا أو تُسمى البرانس في فرنسا إلى البرتغال؛ كل هذا خلال مائة عام فقط المسلمون فتحوا كل هذه الدول، وكانت تحت سيطرة الإسلام. تخيل! ما هذا الذي حدث؟! الروم لكي يستطيعوا أن يصلوا إلى هذا في بعض الدول لكي يحتلوها، وصلوا إلى خمسمائة عام! وهناك بعض الدول، لكي تكون لقمةً سائغة ويتحكموا في مصيرها احتاجت مائة عام، وهي دول صغيرة! فما بالك بكل هذه الدول المترامية للفرس والروم، والميراث هذا كله، كان تحت قبضة الإسلام والمسلمين.

فهؤلاء هل سيتركوننا في حالنا؟ هل الأمور هكذا سهلة؟ لا، عندما تتغلب عليه فإنه سيستخدم معك التقية، أن يُظهر شيئًا ويُبطن غيره، يعني يظهر الإسلام ويبطن الكفر، آن ذلك دخلوا هؤلاء الفرس. فكانت هناك جماعة من أتباع الديانات القديمة للفرس، أتباع ماني أطلق عليهم الزرادشتية لأن هؤلاء انشقوا عنهم. ما يُسمى أتباع النص، والذي يفسر النص، مثل مشكلة البروتستانت والأرثوذوكس والكاثوليك، يعني الأرثوذوكس نصوصيون، والكاثوليك بروصيصيون؛ يعني البروتستانت يريدون تعاليم المسيح فقط، لا يريدون الشروح، أما الكاثوليك يفسرون، لكن الآخرون ضد تفسير البابا، يعتبرونه تفسير هرطقة ولا يؤمنون به.

والآخرون سمّوهم مهرطقين أيضًا وخارجين عن الملة، يعني كفار. ولذلك قبل الإسلام الزرادشتية اتهمت أتباع ماني أنهم يحرّفون الدين، ولذلك سموهم (زنادكة). فلما دخلوا الإسلام صارت كلمة (زنديق) تُطلق على الملحد، أو الذي يؤمن بدياناتٍ أخرى غير ديانة الإسلام. حتى توسعت الكلمة لدرجة صارت كلمة (زنديق) تُطلق على الذين يفتنون في المجون والخلاعة، يقولون هذا زنديق؛ مثل شعراء المجون، مثل أبي دلامة، وأبي نواس وغيرهم، كانوا يُعدّون من شعراء الزنادقة.

ومنهم من كان يدّعي أنه زاهد من الزهاد، كصالح بن عبدالقدوس، كان شاعرًا عندما يتكلم في الزهد ممكن تبكي، ولكنه كان زنديقًا. وكان هناك سالم الخاسر وغيره، كل هؤلاء كما قلنا، وأنا لي مقال أو بحث قديم من عشر سنوات اسمه (تاريخ زندقة الأدب والفكر قديمًا وحديثًا)، وهو مقال طويل؛ استعرضت فيه تاريخ الزندقة، وتعريفها، وأصلها، وكيف ظهرت في الإسلام، وكيف حاربها الخلفاء، وتعامل معها الخلفاء.

خطورة هذه الزندقة أن الزنديق في تلك الفترة، كما يقول ابن تيمية –رحمه الله تعالى–: "الزنديق هو المنافق"، فهذا معنى كلمة زنديق قديمًا. ابن تيمية عندما سُئل ما حكم الزنديق؟ قال: "في أيام الرسول ﷺ هذا المصطلح لم يكن معروفًا"؛ كانوا يعرفون في المدينة منافق فقط –نقصد النفاق الأكبر–، المنافق الذي يقابل الكافر. إذًا مصطلح زنديق هذا جاء بعد عصر الرسول ﷺ نتيجة دخول الفرس، ولكن ابن تيمية يقول: "وكان القضاة والعلماء يتعاملون مع هؤلاء الزنادقة أنهم منافقون"؛ منافق: يعني كافر خارج، ليس له شيء خاص، يساوي المنافق في أيام رسول الله ﷺ.

لكن المصطلح تطور، وصار بعد ذلك تُطلق كلمة (زنديق) كملحد لا يؤمن بأي شيء، العرب كانت تقول هكذا.

ولذلك تجدون مثلًا أحد علماء المسلمين عندما كان في بغداد، وكان فقيرًا، وكان عالمًا فحلًا كبيرًا، ولكن ضاق لأنه كان في مكان والناس لا تساعده، يعني يجلس في المسجد ولا أحد يساعده، وليس من أهل البلد، هو من منطقة إما من المشرق أو المغرب، من مناطق بعيدة عن بغداد، ورغم ذلك فإنه تعب لأنه لا يجد قوت يومه، ويُعلم ويخرّج العلماء ولا أحد يساعده في أي شيء، ولا يجد عملًا حتى؛ فاضطر أن يأخذ حاجياته، ويرحل إلى بلده، لأنه تعب وما يجد قوته؛ فالناس قالوا: كيف يخرج هذا، عارٌ عليكم، الحقوا بهذا الرجل، وهذا عالم كبير مبارك، كيف يخرج؟

فأنشد بيتين من الشعر وقال:

بغداد دارٌ لأهل المال طيبةٌ... وللمفاليس دار الضَّنك والضيقِ

ظللتُ حيران أمشي في أزقتها... كأنني مصحفٌ في بيت زنديقِ

الشاهد من هذا الشعر، لما قال: "كأنني مصحفٌ في بيت زنديق"؛ تخيل أن مصحفًا في بيت زنديق! كيف الزنديق سيطيق المصحف وهو يكفر به؟ فالبيت الهدف منه: أنه يشبه لك أن الزنديق هو الذي يناقض المصحف. يعني يا ناس هل تتخيلون أن زنديقًا يعيش في داخل بيته مصحف! هل هما يلتقيان؟! فهو يعبر عن حالته من الضيق، والفقر المدقع الذي حدث له، "كأنني مصحفٌ في بيت زنديق".

ولذلك العلماء قالوا: الزنديق هذا إذا أراد أن يتوب، ما حكمه؟ هذه مسألة استعرضها أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه، في (الفتاوى)، وفي كتاب (الإيمان الكبير والأوسط). واستعرضها وذكرها أيضًا في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول). وتكلم أيضًا في بعض كبار كتبه الأخرى، وذكرها ابن القيم أيضًا في فتاويه عن حكم الزنديق إذا جاءك تائبًا.

توبة الزنديق:

الزنديق هذا مشكلته أنك لا تعرف له حالًا، هو ظاهره الإسلام، لكن نفترض أنه اشتُهر أنه زنديق، وقبضنا عليه، وهو يشتم أو يسب، أو كتب شيئًا وقُبض عليه وهو يكتب هذا الشعر، أو هذه القصيدة، أو هذا الكتاب، وأُتي به إلى القاضي الشرعي، أما في زماننا لا يوجد لا قاضٍ شرعي ولا غيره، هنا لو أتيت به يقولون: "أنت ضد حرية الرأي وحرية التعبير.."، ويحبسك أنت ولا يحبسه هو!

انظر إلى الرجل في هولاندا صاحب الفتنة، قالوا: حرية تعبير! يشتم القرآن، ويهين الإسلام، ويهين المسلمين، ويشتم الرسول، ويشتم الرب والذات، ويتكلم حتى عن عيسى -عليه السلام- ويشبهونه أنه شاذ جنسيًا، ويقول لك: حرية تعبير. لكن المحرقة لا أحد يتكلم فيها!، يعني حرية تعبير هنا، ولماذا المحرقة والهولوكوست لا أحد يتكلم فيها؟!

يعني مخرّفون مخادعون، هؤلاء الناس أعداء للدين أصلًا، فتخيل لما تقول لقاضٍ -حتى في بلادنا بلاد المسلمين-، يقول لك: حرية التعبير يا أخي، وحرية الرأي!

لكن نحن نتكلم عن القاضي الشرعي، الذي يحكم بما أنزل الله، وأُتي إليه بهذا الزنديق الذي تكلم كلامًا خطيرًا. لو أتينا إليه بأي زنديق؛ مثل جمال البنا، ومثل حسن حنفي، ومثل حامد أبو زيد، وهشام جعيط، وكل هؤلاء المهرتقين المشاهير. لو جيء بواحد من هؤلاء الزنادقة الذين يسبون؛ كمحمود درويش وغيره. امسك كلام محمود درويش زنديق كاره لله، وكاره للرسول، ويستهزئ بالإسلام وبالكعبة.

هؤلاء لو جيء بهم يقولون: حرية تعبير. لكن عند القاضي الشرعي، يقول: أنا معترف لكني تائب. الله –سبحانه وتعالى– يقبل التوبة، والرسول ﷺ قال باب التوبة مفتوح ما لم يغرغر؛ يعني ممكن إنسان لغاية الغرغرة أن يتوب، ويقبل الله توبته. لكن عند القاضي ما الحكم؟

اختلف العلماء هنا. العلماء قالوا عن توبة الزنديق بصفة خاصة لأنه يختلف عن توبة أي إنسان عاصٍ؛ يعني السارق، القاتل، حتى المشرك الذي أشرك وجاءك تائبًا، يختلف عن توبة الزنديق؛ لأن المشرك هو يتوب لأنه كان مشركًا، ويأتي إلى شيء جديد هو الإسلام، فجاء تائبًا؛ لكن هذا كان مسلمًا، وتلفظ ألفاظًا كفرية، فهو زنديق بهذا الوصف، فجيء به، وهو طبعًا معلوم أنه متلون؛ يعني يمارس عليك التقية، لأن أصل الزنديق أنه يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

علماء الأحناف في المشهور عندهم، وعلماء الحنابلة، والمالكية، وغيرهم من العلماء؛ قالوا: **إن الزنديق هذا لا تُقبل توبته**، حتى لو جاء تائبًا، لكن المشهور عند الإمام الشافعي، أنه تُقبل توبته كتوبة عامة؛ يعني أي إنسان: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}؛ فالله يتقبل التوبة، إذًا هو جاء تائبًا من باب العام فهو مثل بقية الكفار، أو بقية من يرتكبون المعاصي؛ فيتوب الله عليهم.

الإمام ابن تيمية وابن القيم أيضًا، يميلان إلى رأي أنه لا تُقبل توبته، لماذا؟ ابن القيم يحلل هذا الموضوع، يقول: هو كان في الأصل مسلمًا، فسيتوب يرجع إلى ماذا؟ هو يُظهر الإسلام أصلًا؛ ولكن هذا شخص خطير، هو ممكن يضحك على القاضي، يقول: أنا سأكون ملتزمًا بالإسلام وهكذا. فابن تيمية وابن القيم يميلان لعدم قبول توبته لأنه خطير، وخاصةً من تكررت منه هذه المسائل.

أما الإمام النووي يفّصل المسألة؛ يقول: هذا الزنديق إذا قُبض عليه وجيء به إلى القاضي. ونفترض إذا جاء هو طائعًا مختارًا بدون إكراه، وجاء بنفسه إلى القاضي، وقال له: أنا كنت زنديقًا، وفعلت وفعلت، وتبت إلى الله. هنا الإمام النووي يقول: "في الحالة الأولى، لا تُقبل"؛ وهي حالة لو جاء مقبوضًا عليه، المحتسبون قبضوا عليه، أو أفراد من الناس

قبضوا عليه واعتقلوه وأرسلوه إلى القاضي؛ لأنه كان قديمًا تقريبًا من سنة ١٦٨ هـ، من أيام الخليفة المهدي وأبنائه؛ الخليفة الهادي، ثم الخليفة هارون الرشيد، وأبو جعفر المنصور هو أبو الخليفة المهدي، في هذه الفترة، قل من ١٦٠هـ أو ١٦٣هـ إلى ١٧٠هـ أو ١٧٣هـ، كل هؤلاء الخلفاء الذين جاؤوا خصّصوا محكمة خاصة، أو محتسبًا خاصًا، كان اسمه عبد الجبار، اسمه مرعب لوحده، كان متخصصًا في تتبع الزنادقة.

كان يأتي لكل من يسمع أو أن هناك شكوى بأن هذا زنديق أو كذا؛ يُقبض عليه، ويُعرض على القضاة ويمتحنونه، إذا كان من الشعراء يُؤتى به؛ كما فعل مع صالح بن عبد القدوس عندما جيء إلى الخليفة المهدي، والخليفة حكم بقتله؛ لأنه كان يتفلّت ويتهرّب، فواجهوه بالشعر الذي كان يقوله، وأن له علاقة مع الزنادقة، وأنه قال كلامًا كفريًا، وأنه يُظهر الإسلام ويبطن الكفر، وهذا كان شاعرًا. وبشار بن برد كان شاعرًا، ولكنه متهم بالزندقة أيضًا.

لاحظ أن شعر بشار بن برد جميل، من الذين ظهروا في الدولة العباسية؛ ولكن فيه زندقة، وفيه نفاق واتهام، وكان حاقدًا على الدولة الإسلامية، ولذلك اتهموه بالزندقة. وكحماد عجرد وأبو نواس وغيره. لذلك تجد بعض أساتذة الجامعات والذين يحصلون على شهادات الدكتوراة والماجستير وغيره، دائمًا يدورون في هؤلاء؛ إما في بشار بن برد، وهو أكثر واحد له القدح المعلّى، وهناك أبو نواس طبعًا، وشعر المجون والخلاعة، وأشياء فيها كفريات كثيرة جدًا؛ ولكن العلماء قديمًا قالوا عنهم، وذكروا أنهم زنادقة، وأنهم كانوا يتسترون بالإسلام.

وبعض العلماء يقول: ربما تاب أبو نواس، ولا توجد حقيقة أنه تاب في آخر أيامه؛ لكن نحن نحاكمه على شعره، وعلى مصائبه التي ظهرت، لذلك كانوا يتتبعونهم.

يقول لك: الدولة الإسلامية كان فيها كل هذا التجانس، والاختلافات الكفريات!؛ واحد ملحد، واحد زنديق، وتاريخ الزنادقة في الإسلام؛ كانوا يعيشون في الدولة الإسلامية، وكانت تستوعبهم، أعوذ بالله!. ولذلك تجد إسلاميًا في برنامج حواري، مغفلًا يقول له: نعم ولكن! ما نعم هذه؟! لم يوجد هذا، كانت هناك محاكمات لهؤلاء. من الذي ترك هؤلاء؟ تُركوا لأنهم كانوا يتفلّتون ويتوبون، يعني يأتي يتوب أو لا يُنسب، لا يوجد دليل؛ والقضاة ما كانوا يحكمون هكذا بالساهل، عندما يُقبض على شخص، لا بد من الأدلة، ولا بد من الشهود، فكانوا يتركونه إذا لم يكن هناك دليل. ولكن كانوا يحاكمونهم، ومنهم من قُتل كالحلاج وغيره.

فهؤلاء الزنادقة كانوا ينتشرون في دولة بني بويه وعند العبيدين، كعمارة اليمني وغيره؛ لأنهم كانوا يغمزون ويلمزون في أهل السنة وفي الصحابة. ولذلك كانوا يتركونهم، أما إذا كنت تقصد دولة العبيدين نعم.

ولذلك تجدهم دائمًا يفتخرون بالقرن الرابع الهجري، لماذا يفتخرون بالقرن الرابع الهجري؟ يقولون قمة الحضارة! لا، بل هذا كان قمة الانحطاط، وبداية الانحطاط كانت في القرن الرابع الهجري؛ لأنه قرن ظهور دولة بني بويه، وظهور الحشاشين (الإسماعلية) والذين كانوا يغتالون الخلفاء؛ والدولة العبيدية كانت تتحكم في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وظهور القرامطة، وفرق الشيعة بجميعها، والزندقة ظهرت في ذلك الوقت، وتقسيم الدولة العباسية، كانت كلها في هذه الفترة الكئيبة.

ولذلك تجد (آدم متز) المستشرق، عالم كبير، له كتاب (الحضارة الإسلامية)، يتكلم عن هذا القرن، لكن في الحقيقة ما وراء الأَكَمَة؟ لماذا لم يتكلم عن العصر العباسي؟ لماذا لم يتكلم عن الدولة الأموية؟ لماذا لم يتكلم عن عصر الخلفاء الراشدين؟ هو يتكلم على أساس أن هذا هو الانحراف، وأن هذا يُسمى حرية الرأي! حرية الرأي مع أنه كان ضربًا وقتلًا، يقتلون الحجاج والقوافل، ويدفنون الناس في بئر زمزم، عملوا مصائب للعالم الإسلامي كله من هذه الفرق، التي سنتكلم عن بعض هذه المسائل فيما بعد -إن شاء الله-.

فالشاهد هنا أن المنافق هذا كما قال ابن تيمية: "الزنديق هو المنافق في عصر رسول الله"، لكن هذا المصطلح تطوّر فيما بعد وصار يُقال الزنديق عن أي شيء؛ ملحد، الذي يكره الإسلام، أصحاب المجون والخلاعة، كل ما تتخيل من معانٍ ذميمة صارت عند الزنديق؛ ولكن في الحقيقة، إن هذا الزنديق -في الأصل- مرجعه هو المنافق. لو قلت مثلًا: عن شخص أنه منافق؛ أنا حكمت عليه بالشرع، كيف؟ يعني ستقول عليه مرتد، غير الكافر الأصلي. الكافر الأصلي له في الشريعة مزيّات ليست موجودة للكافر الطارئ؛ لأن الكفر الطارئ هذا دخل الإسلام، وباب المسجد ليس كخروجه، يعني تدخل وتخرج هكذا لا، من هنا عقوبة المرتد أغلظ من عقوبة الكافر.

لأن الكافر الأصلي ممكن تعمل هدنة معه، تتصالح معه، تتفاوض معه؛ أما المرتد في الشريعة حكمه العدم، يعني كأنه لا شيء، هو محكوم عليه؛ ولذلك ليست له أية حقوق. لو مثلًا اكتسب مالًا وهو مرتد، لا ينتفع به، ولا قيمة له، ولا يستطيع شراء شيء، ولا يستطيع أن يتزوج، ولا يُقرّ على أي شيء؛ حتى لو لم تطبق عليه الحكم، والأصل أن يُطبق عليه الحكم، لكن نفترض في الفترة إلى أن يُطبَّق عليه الحكم، ما هي حقوقه لو ذهب يتزوج؟ زواجه باطل، لو

اشترى شيئًا كأرض مثلًا أو بيت؟ باطل؛ لأنه معدوم، لا شيء. هذا المال يذهب لخزينة الدولة -أي الدولة الإسلامية-.

فهذا المرتد مشكلة خطيرة، ولا يُتصالح معه، يعني لا تعمل هدنة معه ولا غيره، هو ليس له حل إلا أن يتوب، أو يُحكم عليه بالردة ويُقتل وانتهى الأمر.

ولذلك تجد بعض المنهزمين في أيامنا، وبعض علماء السوء والمنافقين، يؤوّلون أحاديث في صحيح البخاري عن هذا المرتد؛ حتى يُرضوا الكفار عنهم، ويُرضوا الغرب عنهم! يقولون: عقوبة المرتد كانت قديمًا ولها زمان ولها تأويلات. أعوذ بالله!، هذه أحكام منذ عهد الرسول ﷺ إلى أيامنا قبل ظهور هذه الهجمة العلمانية بقرن، والناس تعرف المسلم من المرتد، تعرف أن هذه عقوبة المرتد، بالإجماع، وهذه كتب الصحاح، وهذه كتب الفقه.

والتطبيقات العملية في العالم الإسلامي، لو رجعتم إلى الكتب القديمة، التي تتكلم عن أحكام القضاء، تجد أنهم كانوا يطبقون أحكام المرتد، افتح أي كتاب فقه؛ افتح كتاب (المبسوط) للسرخسي، أو افتح (كتاب الهداية) للمرغيناني، أو كتاب (المغني) لابن قدامة، أو افتح كتاب الشوكاني، أو افتح كتاب (سبل السلام) للصنعاني، أو أي كتاب، حتى (فقه السنة) للشيخ سيد سابق، تجد: (باب المرتد)؛ كتاب الردة، أحكام الردة، والشروط، والضوابط. أشياء صارمة عند العلماء. ويأتي في زماننا هذا من ينكرون ذلك! هذه العقوبة لو كانت موجودة ما تجرأ متجرّئ.

إذا أَمِن الشخص العقوبة فإن المعصية تنتشر. عندما تنتشر المعاصي لأن الناس تأمن العقوبة، واحد يعرف أنه لن يعاقبه أحد، سيشتم ويسب ويلعن، ويعمل ما يريد؛ لأنه لا أحد سيعاقبه. إذا أُمنت العقوبة فإن المعاصي تنتشر، تظهر المعاصي مع أمان العقوبة. لكن المعاصي متى تقل وتعرف حجمها؟ إذا قويت وظهرت العقوبة. معروف أنك إذا فعلت ستعاقب. مثل واحد تعمل له فرنًا من النار، وتأتي بفتاة جميلة، بنت فتاة من أجمل بنات العالمين، ملكة جمال، تقول له تزني بها لمدة ساعة، وبعد الساعة بجوارك التنور هذا. بالله عليك، هل فيه نفس يدخل النار هذه؟ التنور بجوار البنت، يعني تنتهي من هنا تدخل على هنا، ماذا سيفعل؟ يقول: والله لتذهب في الجحيم، لا أريد ملكة جمال ولا أي شيء، وأنا أنجو بنفسي.

لكن لأن الناس تستبعد الغائب فإنها لا تستحضر النار؛ يقول: هذه معصية لا مشكلة، أعمل اليوم وغدًا أتوب، يعني أروح أزني وأمتع نفسي هذه الأيام، ثم بعد ذلك أقول: أستغفر الله. افرض أنك متَّ في الطريق؟! أنت ممكن تأخذ

الإثم حتى وإن لم ترتكبه؛ كأن يقول الخمر هذه حلال، وهو لا يشربها، فيكفر حتى ولو لم يشربها. إذا استحلّها وقال أنها حلال، والله -عزَّ وجلَّ- قال أنها حرام. ممكن الواحد يعمل أشياء، ويضيع دينه فيها، وهو لم يفعلها.

واحد يقول الزنا حلال ومتعة، ولكنه لا يزني، وليس له علاقة بالزنا أبدًا؛ هذا يكفر، حتى لو لم يفعل؛ لأنه مستحل، المسألة في منتهى الخطورة. وسنتكلم -إن شاء الله- بعد ذلك على موضوع الكبائر، وخاصةً عندما نأتي إلى أقسام المسلمين، أقسام أهل السنة مع الفرق الأخرى في خلافهم في مسمى الإيمان.

لكن الخلاصة هنا في هذه المسألة، أن ابن تيمية وابن القيم، يميلان إلى عدم قبول توبة الزنديق، ولكن الإمام الشافعي في الرواية المشهورة عنه أنه يقبل توبة الزنديق. لكن المشهور عن الحنفية والمالكية والحنابلة، وهناك روايتان عند الحنابلة؛ رواية مشهورة ورواية غير مشهورة؛ لكن في الجملة هم لا يقبلون توبة الزنديق. ولكن الإمام النووي -كما قلت- فصّل في المسألة؛ فقال: "إذا جاء الزنديق تائبًا طائعًا فإنه تُقبل توبته. أما إذا جيء به فهذا هو الذي لا تُقبل توبته". هذا الذي يتكلم عنه الفقهاء في هذه المسألة الخلافية.

وحتى لا أشق عليكم فهذه بداية على الأقل، فهذه دراسة تمهيدية حتى الآن، أننا بدأنا بفضل الله -سبحانه وتعالى- في مسألة أقسام الناس في عهد رسول الله ﷺ، كما قلنا لكم ولخّصناها، ويجب أن تستوعبوها جيدًا -إن شاء الله-، وهي المسلم والكافر والمنافق.

وتكلمنا في أصل النفاق وسبب النفاق؛ وقلنا أن القرآن اهتم بالنفاق، لدرجة أنك تجد سورة كاملة اسمها سورة (براءة)، وسورة أخرى اسمها (براءة الصغرى) وهي سورة (المنافقون)؛ تتكلم عن نفسيات وخلجات المنافق وكيف يفكر، هذه السورة سورة (براءة) في منتهى العظمة وهي تتكلم عن أقسام المنافقين، وعن خطورة النفاق.

وسنتكلم بعد ذلك -إن شاء الله- عن النفاق والكفر والإسلام، عندما نقول الكفر هنا، نقصد الكفر الأكبر؛ وعندما نتكلم عن النفاق هنا، الذي هو ضد الإسلام، يعني نتكلم عن النفاق الأكبر، وهو النفاق العقدي؛ لأن هناك نفاقًا عمليًا ونفاقًا عقديًا. لأن الرسول ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان). وهناك حديث آية المنافق أربع: (... وإذا خاصم فجر). فهذا منافق، ويقول آية المنافق؛ لكن هذا النفاق اسمه النفاق العملي، وليس نفاق الاعتقاد. نفاق الاعتقاد هو الكفر الأكبر.

أما النفاق العملي ممكن المسلم يُوصم به، يقترف خصلة من النفاق، أو مجموعة منه، وهذا اسمه نفاق أصغر؛ مثل كفر أكبر وكفر أصغر، شرك أكبر وشرك أصغر، وفسق أكبر وفسق أصغر. فلما نقول: كفر أكبر يعني يُخرج من الملة ولا يكون مسلمًا، وإلى جهنم لو مات هكذا.

نفاق أصغر يعني مسلم، ولكنه ارتكب خصلة من النفاق، أو مسلم فيه فسق، مسلم فيه خصلة من بعض الشركيات، مثل الشرك الأصغر، مثل: من حلف بغير اسم الله؛ "والنبي، ورحمة أمي، ورحمة أبي، وتربة أبي"، فهذا -من الحلف بغير الله- شرك وله كفارة؛ إما أن تقول: لا إله إلا الله، أو يستغفر الله، فهذا اسمه شرك أصغر، لا يخرج من الملة. نعم هو يُطلق عليه شرك (فقد أشرك)، ولكن القرائن الأخرى تدل على أنه شرك أصغر، وسنتكلم عنها في نواقض الإيمان؛ لأن نواقض الإيمان خطيرة جدًا.

هذا الذي يحضرني في هذا المقام.

وأنا أرجو من الإخوة أن تستوعب هذا الدرس، أو تستمع إليه مرة أخرى، أو تدون ملاحظات؛ والذي لديه سؤال في هذا الموضوع، بحيث عندما ننتهي -إن شاء الله- من هذه الدورة، ونعقد الامتحان تكون مستوعبًا لهذه المسائل. لأني سأعطيك إجازة أنك أنت أهل لهذا العلم، وأنك استوعبت، هذا يكون أمانة، وأنا بأشهد زور، ولا يجوز أن أشهد عليك بالزور، أنك استوعبت وأخذت إجازة، وأنت لم تستوعب.

وهذه منفعةٌ لك أصلًا عند ربك، أنت تصحح عقيدتك، أنت تصحح مفاهيم خاطئة. صدقني في النهاية، ستجد في كل درس أشياءً كثيرة جدًا، خاصةً في الدروس القادمة لأنها مهمة جدًا؛ تصحّح أو تثبت معلومةً كانت لديك من قبل -إن شاء الله-.

ولذلك أرجو أن نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر، على مثل هذه الدروس -إن شاء الله-.

صدقوني الشباب الأعاجم من كثرة فرحتهم بهذه الدورة طلبوا مني أن ألخّصها لهم في كتيب أسميه (مسائل في الإيمان)، ولخّصت لهم كل هذا، ثم عملوا له تحريرًا وتعديلًا؛ لأنهم مجتهدون -ما شاء الله-، والكتاب سيُطبع هذا الأسبوع تقريبًا -إن شاء الله-.

طبعًا أنا شرحت لهم أشياء بالتفصيل، ولكن في اللغة العربية، ستجدونها أفضل بكثير؛ لأن هناك مسائل في اللغة الإنجليزية لا تستطيع أن تطرحها عليهم؛ بحكم أن هذه ليست اللغة الأم، وبحكم آخر، أن لديهم استيعاب، يمكن يحصل سوء فهم؛ يفهمونك خطأً في بعض الأحكام، ويطبقونها خطأً، تعلمون الإخوة الأعاجم -ما شاء الله- يأخذون الشيء، ويمكن يذهب ينفذه في الحال، ويحولك على غوانتانامو مباشرة، أو في أي سجن من السجون؛ فلا بد أن نراعي معهم اللطف، وطريقة الفهم والتكرار حتى يستوعبوا.

فأنتم لستم أقل منهم، وهم -ما شاء الله- حصلوا على هذه الشهادات بفضل الله -سبحانه وتعالى-.

فبارك الله فيكم، وجزاكم الله كل خير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

ها نحن أولاء مع الدرس الثاني من الدورة الشرعية بعنوان (مسائل في الإيمان)؛ واليوم ها نحن أولاء أيضًا مع اليوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة، لسنة ١٤٣٢ من الهجرة النبوية المباركة.

كنا قد عقدنا الدرس الماضي، ونلخص للذين لم يحضروا أو نراجع سريعًا، قلنا أن الناس في أيام رسول الله ﷺ كانوا ثلاثة أقسام، قلنا كانوا في مكة قسمين فقط:

١- كافر.

٢- ومؤمن.

ثم ظهر قسم ثالث في المدينة؛ نظرًا لقوة الدولة، وهم المنافقون، فصار الناس ثلاثة أقسام:

مؤمنٌ في الظاهر والباطن، وعكسه: كافرٌ في الظاهر والباطن، ثم ظهر قسم ثالث: مسلمٌ في الظاهر كافرٌ في الباطن؛ وهم المنافقون، نتكلم عن النفاق الأكبر والكفر الأكبر.

ثم تكلمنا عن مصطلح جديد ظهر في جيل في أواخر جيل الصحابة، أو تقريبًا في أيام العباسيين وهم الزنادقة، لفظ زنديق الذي يرادف المنافق في عهد رسول الله ﷺ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية. وتكلمنا عن حكم الزنديق إذا أراد أن يتوب، أو قُبض عليه قبل أن يصل به من قبضوا عليه واعتقلوه إلى القاضي، وقلنا آراء العلماء في هذا الأمر.

أما اليوم -إن شاء الله- سنتكلم عن **الخلاف في مسمى الإيمان**؛ نتكلم عن تعريف الإيمان عند أهل السنة، وعند الفرق، وسبب المشكلة، وثمرة هذا الخلاف.

القضية لم تكن قضية نظرية فقط، بل إن هذا الخلاف الكبير الذي حدث بين العلماء جعل الناس يتجرؤون على الشريعة، وعلى مقام الشريعة، وعلى مقام الإسلام واستهزأوا به. إن كان الأولون قد عرفوا الإيمان بالتصديق فقط، وكانت المسألة أقرب أنهم يطبقون تعاليم الإسلام ويجاهدون، ويزكون، ويصلون؛ جاء جيل من بعدهم، استهتروا وأخذوا هذه الأحكام على ظاهرها، بالتعريف اللغوي فقط؛ فصارت الطامة الكبرى، وهو ما نراه الآن في الآثار الحياتية، باستهتار الناس بالشريعة.

إذًا نحن لا نتكلم عن مسألة نظرية عقدية، ولا نتكلم في مسائل تاريخية قديمة؛ لا، نحن نتكلم عن ثمرات، وسنذكر لكم ثمرات هذا الخلاف بين العلماء.

إذًا سنتكلم عن تعريف الإيمان، عند أهل السنة أولًا، ثم نتكلم بعد ذلك على أصل الخلاف، والمشاكل التي حدثت بين هؤلاء جميعًا؛ لأن القضية أن هؤلاء يقولون: نحن نحب الشريعة، ويحبون الإسلام، ولكنهم اختلفوا، وسبب هذا الخلاف في أصل المشكلة جاءت في تعريفهم لكلمة "مؤمن"، من هو المؤمن؟ ما تعريف الإيمان؟ هذا هو سر هذا الخلاف.

طبعًا سنعطي لكم تقدمةً، وهذه التقدمة مهمة جدًا، وعضّ عليها بالنواجذ؛ لأن هذا هو الذي سنُدندن حوله؛ لأننا طبعًا سنرد على بعض الفرق، ونناقش آراء الخوارج، وفرق المرجئة بجميع أقسامها، وندخل في شبهاتهم. لكن يجب أن يكون محفوظًا لديك أنك تسير على قاعدة أهل السنة والجماعة، أنك تعتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ لذلك سنقول في البداية، تعريف أهل السنة والجماعة للإيمان، ثم بعد ذلك سننتقل للتفصيلات، حتى عندما نناقش آراء المرجئة، أو فرق المرجئة، وشبهات المرجئة، وشبهات الخوارج والمعتزلة وغير ذلك، ثم نذهب إلى التفريعات الأخرى المعاصرة؛ فترجع في النهاية، تعاود وتخزنه في عقلك وقلبك، أن هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

• الخلاف في مسمى الإيمان

في البداية سبب الخلاف: المشكلة في تعريف الإيمان، معظم هذه الفرق عرَّفوا الإيمان بالتصديق، وهم **المرجئة**؛ عرَّفوا الإيمان بالمعنى اللغوي.

أهل البدع الذين ظهروا في صدر الإسلام، ثم بعد ذلك تكاثروا، وتناسلوا إلى القرن الرابع، وقلنا لكم إن آدم متز وغيره الذين كتبوا في الحضارة الإسلامية يقولون إن القرن الرابع هو قرن حضارة الإسلامية، ويعظّمونه كثيرًا، وهو في الحقيقة قرن البدع، وقرن البويهيين، وقرن الحشّاشين والقرامطة، وقرن كل أصحاب الزندقة الذين ظهروا خاصةً في هذه الفترة، وفترة العبيدين.

إذًا هذا الإيمان عندهم، يستشهدون دائمًا باللغة، يعتمدون على اللغة العربية، والأقيسة العقلية، ولا يستندون إلى نصوص. حتى الذي يستند إلى النص منهم يؤوله تأويلًا، ليّ عنق النص، ولم يستطع أحدٌ منهم أن يستشهد بآياتٍ قرآنية كما استشهد علماء أهل السنة الذين دحضوا هذه الفرق، لأنهم قالوا الإيمان هو: التصديق واستشهدوا بآية: {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} يعني: وما أنت بمصدقٍ لنا. هنا الإمام ابن تيمية، ومن قبله الإمام الآجري بقرون، فليس الإمام ابن تيمية بِدَعًا في هذا بل هو نقل علوم الآخرين، وآراء الآخرين كابن معين، وابن المديني، وابن خيثمة، الحافظ ابن أبي شيبة وغيره، كل هؤلاء الحفّاظ الكبار، بالإضافة إلى الإمام البخاري، وأئمة الحديث كل هؤلاء لا يعترفون بما يعترف به هؤلاء المرجئة، الذين يقولون أن الإيمان معناه: التصديق؛ كأبي بكر الباقلاني، شيخ الأشاعرة عندما قال: إن الإيمان هو: التصديق. وهذا جاء عن ابن صفوان قال: التصديق.

الآن سنبدأ في قراءة أصل الحديث، الذي قلنا لكم إن ابن تيمية –رحمة الله عليه– ألَّف كتابيه (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط) وهذه الأسئلة كلها شرح لحديث جبريل، وجاء تلامذته كابن رجب الحنبلي أيضًا، وشرح حديث جبريل في (جامع العلوم والحكم)، وكل هؤلاء حتى الحفاظ الذين ردوا على أهل البدع كالإمام الآجري وغيره، ردوا أيضًا من خلال شرح حديث جبريل الذي قال فيه الرسول ﷺ، قال لعمر: (إنه جبريل جاء ليعلمكم دينكم). إذًا هذا هو الدين؛ يعني مراتب هذا الدين، وهي: الإسلام، الإيمان، الإحسان.

إذًا نبدأ بالحديث الأول، ثم سنتكلم بعد ذلك عن تعريف الإيمان عند أهل السنة، ونناقش بعد ذلك أصل المشكلة.

بالنسبة لحديث جبريل كما في الصحيح؛ سنقرأ الرواية الموجودة في (صحيح مسلم)، وهو موجود في الصحيحين؛ لأن في رواية الإمام مسلم رواية مفصلة؛ أما رواية الإمام البخاري فهي رواية مختصرة اقتصرت على الأساسيات، لكن الحديث بطوله وتمامه ساقه بسنده الإمام مسلمٌ في صحيحه، إلى أن وصل:

"حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: **كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبدٌ الجُهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحِميَري، حاجَّين أو معتمرين؛ فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوُفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب، داخلًا المسجد؛ فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قِبَلنا ناسٌ يقرأون القرآن، ويتقفَّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعُمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف. فقال: "فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم بريءٌ منهم، وهم براء مني -أو برآء مني-، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه؛ حتى يؤمن بالقدر". ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يومٍ، إذ طلع علينا رجلٌ، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد؛ حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: (يا محمد، أخبرني عن الإسلام). فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتِيَ الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا). قال: (صدقت). قال: (فعجبنا له يسأله ويصدقه)، قال: (فأخبرني عن الإيمان؟). قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره). قال: (صدقت). قال: (فأخبرني عن الإحسان). قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). قال: (فأخبرني عن الساعة). قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل). قال: (فأخبرني عن أماراتها). قال: (أن تلد الأمة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان). قال: (ثم انطلق؛ فلبثت مليًا). ثم قال لي: (يا عمر، أتدري من السائل؟). قلت: (الله ورسوله أعلم). قال: (فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم)"**، أو كما قال ﷺ، كما في الصحيح بتمامه.

هذا هو الحديث الذي دندن حوله العلماء وشرحوه، هذا كتاب كامل لابن تيمية اسمه كتاب (الإيمان الكبير)، وكتاب (الإيمان الأوسط)، وفي مذكّرة صغيرة اسمها (الإيمان الصغير)؛ وما ذكره ابن رجب الحنبلي حول هذا الحديث، والشرّاح لصحيح مسلم كالإمام النووي وغيرهم من الذين شرحوا هذا الحديث، تكلموا عن هذا الدين، هذا هو الدين.

والذي استشهد به ابن عمر: (أن تؤمن بالقدر خيره وشره)؛ لأنه قال له: "الأمر أُنُف"، القدر أنف، عندما نقول (**القدرية**): يعني نُفاة القدر؛ لما نقول (الأمر أنف): يعني الأمر مُستأنف جديد، يعني الله لم يُقدِّره -والعياذ بالله-، يعني الناس تعمل أي شيء، هذا جديد، يعني أنا مسكت شيئًا، أو ضربت فلانًا، هذا لم يقدّره الله، هذا حدث الآن.

لذلك قال ابن عمر: (إني بريءٌ منهم، وأنهم برآء مني)، والشاهد هنا أنه بيَّن له أن هذا هو الدين، (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)، إذًا هو يقصد الإيمان بالقدر، وأن القدر ليس أنفًا، كما قال هؤلاء القدريَّة ومعبد الجهني. هذه المسألة موجودة في كتب الفرق -إن شاء الله- نتكلم عنها فيما بعد.

الآن سنبدأ في تعريف (الإيمان) عند أهل السنة، واحفظه واحفظ ما أقوله لك الآن، ثم بعد ذلك تخزنه في الذاكرة؛ هذه القاعدة الأساسية، ثم ننطلق بعد ذلك لمناقشة الفرق الأخرى. لكن أولًا سنقول لكم: هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة، هذا كتاب (الشريعة) للإمام أبي بكر الآجري، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، قبل الإمام ابن تيمية بحوالي خمسة قرون تقريبًا.

هذا إمام من أئمة أهل السنة الكبار، يقول: "باب: القول بأن الإيمان تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح؛ لا يكون مؤمنًا إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث. قال محمد بن الحسن: اعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم، أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجبٌ على جميع الخلق؛ وهو تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح. ثم اعلموا أنه لا تُجزئ المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفةٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، حتى يكون عملٌ بالجوارح. فإذا كمُلت فيه هذه الثلاث خصال كان مؤمنًا؛ دلَّ على ذلك الكتاب والسنة، وقول علماء المسلمين.

فأما ما لزم القلب من فرض الإيمان، فقول الله -عز وجل- في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ}، إلى قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}".

إذًا هذا هو المطلوب، لا بد من الإيمان القلبي، وهذا دليل الإيمان القلبي من القرآن. إذًا الإيمان بالقلب فرض، وقال تعالى: {مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}؛ هذه الآية (١٠٦) في سورة النحل، تدل على الإيمان القلبي أيضًا. وقال -سبحانه

وتعالى-: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}؛ يعني **الإيمان بالقلب فرض لا بد، هذا تصديق هو إقرار وعمل،** هو تصديق مشروط بشروط خاصة، غير تعريف أهل البدع؛ عند أهل السنة تصديق القلب يختلف، فالقلب له عمل، وهم لا يعترفون بعمل القلب، هم يعترفون فقط بالتصديق أو الإقرار أو المعرفة. فهذا مما يدل على أن القلب له إيمان، وهو التصديق والمعرفة، ولا ينفع القول به إذا لم يكن القلب مصدقًا بما ينطق به اللسان مع العمل، فاعلموا ذلك.

هذا الإمام الآجري يحاضرنا من القرن الرابع الهجري، يعني بيننا وبينه أكثر من ألف عام.

فهذه مزية أهل السنة، وخاصة الذين ذكرهم الرسول ﷺ قال: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)؛ تكلم عن القرون الخيرية الثلاثة. وفي رواية أنه ذكر القرن الرابع. لكن القرون الثلاثة الأولى لاحظ فيها صفاء العقيدة، ولاحظ الإيمان عندهم. وهذا سبب المشكلة عند هؤلاء المبتدعة، أنهم يقولون في كتبهم: يجب على أي مسلم يولد، لابد من المعرفة الثانية، لا يكون المؤمن إلا أن يأتي بهذه المعرفة الثانية، المعرفة الأولى هذه فقط مجرد أنه يولد مسلمًا؛ يعني ينطق الشهادتين وخلاص. لكن المعرفة الثانية: أن يعرف الله، يجب عليه أن يعرف الله بالاستدلال العقلي، وإلا كان مقلدًا.

طبعًا هذا الكلام باطل وبدعة، الله-سبحانه وتعالى- أوجب ما أوجبه الله علينا أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ هذا هو المطلوب من المسلم. لم يفرض عليهم الاستدلال العقلي، وإلا معظم الناس لا يستخدمون الاستدلالات. لكنهم فرضوا فروضًا وأشياء فلسفية معينة، بمقدمات ونتائج وألزموها للناس أن تفعلها، يقول لك: المعرفة الثانية. المعرفة الأولى: معرفة الله عن طريق أنك تولد مسلمًا، تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، هذه لا يعترفون بها، يقول لك: لابد أن تأتي بالمعرفة الثانية، وإلا كنت مقلدًا. أعوذ بالله!.

التقليد هذا عند أهل السنة، الإنسان لا يكون مقلدًا، ولذلك يُعمل عقله ويبحث والأدلة، ولكن هذا فيما إذا قلَّد رجلٌ رجلًا في أمر لم يأذن به الله ورسوله؛ نعم، نقول هذا مقلّد، وينبغي لك أن تعرف الدليل. لكن الذي يقول لك: أنا سآخذ هذا الحديث، سألتزم بهذا الحديث، تسميه مقلدًا؟!؛ الله يقول: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} تسميني مقلدًا! الرسول ﷺ يأمرنا بمحاسن الأخلاق، أو يأمرنا بأشياء، ويسن لنا سننًا، ونتبع، نقول: هذا تقليد! هذا اتباع

لرسول الله وإن سميته تقليدًا، لا يوجد بالنسبة للرسول ﷺ كمشرّع عن الله، وبالنسبة لله –سبحانه وتعالى-، الذي يتّبع الله في أوامره، ويتبع رسول الله ﷺ فيما بلغ عن ربه، هذا ليس مقلدًا.

هم يقولون: لا، لا بد حتى لو أنت هكذا أن تُعمل عقلك، ولا بد تولد في البداية تعرف الله، ومعرفة القلب الأول، وهذه المعرفة خلاص؛ لو عرفت أن الله خالق السموات والأرض، والذي أرسل الرسل، وشعرت في قلبك هكذا خلاص، لا يهم شيء أكثر، أنتَ مؤمن الآن وانتهى الأمر. هذه مشكلة سنتناقش فيها معكم بعد ذلك -إن شاء الله-.

لكن نقول: الإمام الآجري –رحمة الله عليه- يقول لنا: "فهذا مما يدلك على أن على القلب الإيمان، وهو التصديق والمعرفة، ولا ينفع القول إذا لم يكن القلب مصدقًا بما ينطق به اللسان مع العمل"؛ طيب ما دليل الإيمان باللسان؟ وهو قول اللسان، يعني ينفع واحد يقول: "أنا عملت بالقلب فقط، أنا قلبي مؤمن بالله، قلبي عامر يا أخي مع الله!"، في ناس تقول هكذا: "يا أخي ربنا رب قلوب!". تقول له: "صلِّ". يقول: "ربنا رب قلوب". "يا بنتي تحجبي". تقول لك: "ربنا رب قلوب"، "قلبي عامر بالإيمان يا أخي"، طيب ما ثمرة أن قلبك عامر؟ ما هو الدليل على أن قلبك عامر؟ هذا دليل على الخراب!

لذلك يقول ما الدليل على اللسان؟ اللسان بالشرع: يعني من الناحية السمعية؛ يقول الله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا}؛ قولوا هذه ليست للقلب، فالإيمان بالقلب عرفناه؛ لكن الدليل على إيمان اللسان، هذه في نهاية سورة البقرة: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ}، وقال الله تعالى في سورة آل عمران: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ}؛ إذًا القول مهم، لا يكون بدونه مؤمنًا في الدنيا.

نحن سنتكلم عن العلاقة بين الإيمان والإسلام، هل الإسلام هو الإيمان؟ وهل الإيمان هو الإسلام؟ وما العلاقة بينهما؟ لكن عندما أتكلم وأقول: (مؤمن) غالبًا يُفهم أني أقصد مسلم، وإلا الآيات التي تقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}؛ لماذا لم يقل: "يا أيها الذين أسلموا"؟ فالمخاطب بها الذين أسلموا، إذًا الإيمان والإسلام. سنبحث خلاف العلماء في هذه المسألة.

لكن الآن {قُلْ} دليل القول، من سورة البقرة وآل عمران، القرآن مملوء بهذه الأقوال، ما ينفع واحد يقول: "في قلبي فقط"، لا بد من الركن الثاني. تعريف الإيمان له ثلاثة أركان، أركان الإيمان ستة، لكن تعريف الإيمان نفسه، من الناحية الاصطلاحية له ثلاثة أركان:

الركن الأول: **إيمان بالقلب، إقرار، تصديق، معرفة بالقلب**.

الركن الثاني: **باللسان، إقرار باللسان، قول باللسان**.

الركن الثالث: **العمل بالجوارح**.

قال النبي ﷺ الحديث في الصحيحين: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأني رسول الله)؛ يعني (حتى يقولوا) لا بد من القول، لا ينفع تقول له: أنا مسلم، ولن أقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فلا يكفي أن يقول: الشهادة في داخلي، لابد أن ينطقها، ولذلك القادر على الشهادة لا بد أن ينطقها، إلا الأخرس أو الذي به عُجمة أو شيء؛ يشير إلى أنه هو يشهد ويكرر هذا بلغته، أو بلغة الصم، أو غيره.

أما الذين ينطقون ويقدرون لا يكون مؤمنًا حتى يقولها، يشهد هكذا، لا ينفع القلب فقط، ولا ينفع النطق فقط؛ "فهذا الإيمان باللسان، نطقًا فرضًا واجبًا"؛ يعني فرض واجب أنه ينطق باللسان، "وأما الإيمان بما فرض الله على الجوارح، تصديقًا بما آمن به القلب، ونطق به اللسان"؛ الجوارح: اليد، والرجل، واللسان والحركات والعمل، هذه هي الجوارح: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا}، عمل، حركة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}؛ فهذا مطلوب فرض هنا الإيمان بالجوارح.

العمل: يعني العمل بهذه الجوارح؛ نصلي، ونزكي في العمل هكذا، وقال –جل وعلا-: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، لاحظوا: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}؛ إذًا عمل الجارحة لا بد منه، لا ينفع نطق فقط، في غير موضع من القرآن، ومثله فرض الصيام مثلًا على جميع البدن، الحج عبادة بدنية مع مالية، الجهاد بدني ومالي، هناك عبادات مشتركة؛ يعني هناك عبادات بدنيّة، وهناك عبادات مالية، وهناك عبادات مشتركة بين البدني والمالي، فالأعمال –رحمكم الله– بالجوارح.

كما يقول الإمام الآجري: "تصديقٌ للإيمان بالقلب واللسان؛ فمن لم يصدق الإيمان بعمله وبجوارحه: مثل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وأشبهها لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول؛ لم يكن مؤمنًا، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه العمل تكذيبًا منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرنا تصديقًا منه لإيمانه، وقال تعالى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}؛ فقد بيَّن النبي ﷺ لأمته شرائع الإيمان أنها على هذا النعت في الأحاديث الكثيرة؛ وقد قال الله -عز وجل- في كتابه وبيَّن في غير موضعٍ أن الإيمان لا يكون إلا بعمل، وبيَّنه رسول الله ﷺ، خلاف ما قالت المرجئة، الذين لعب بهم الشيطان".

ولذلك ذكر أحاديث تُثبت هذا الذي يقوله، أن الإيمان هو العمل، الإيمان أصلًا هو العمل بالجارحة، عندما يقول الله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}؛ هنا الصحابة كانوا يسألون بعد تحويل القبلة: ما حال إخواننا الذين صلوا إلى بيت المقدس من قبل؟ فالله قال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}، سمى الصلاة إيمانًا، الصلاة إيمان هذا خلاف كلام المرجئة، والذين يقولون الإيمان التصديق، إنما (الإيمان العمل)، اسمه هكذا.

إذًا يقول الإمام الآجري -رحمه الله-: "واعلموا رحمنا الله وإياكم، أني قد تصفحت القرآن"، هو يقول هذه مقدمة حتى تطمئن، احفظها في الذاكرة جيدًا؛ لأننا سننطلق إلى شبهات وأشياء، ولكن أنعش الذاكرة عندما تنسى؛ لأننا سندخل في غابة ودهاليز مع الشبهات، فحتى لا تنسَ. ممكن واحد يتعلق بالشبهة وليس الأصل، فهذا هو الذي أقوله حتى الآن هو الأصل؛ اخترت فقط كلام الآجري لأنه يختصر كل كلامنا، كل الكتب كلها مملوءة بنفس هذا الموضوع، وخاصة علماء أهل السنة والجماعة، العظام الكبار هؤلاء؛ ولذلك فإنه قال: "اعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم، أني قد تصفَّحت القرآن، فوجدت فيه ما ذكرته، في ستةٍ وخمسين موضعًا من كتاب الله -عز وجل-؛ أن الله -تبارك وتعالى- لم يُدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفَّقهم له من الإيمان به، والعمل الصالح. وهذا ردٌ على من قال: الإيمان المعرفة، وردٌ على من قال: الإيمان المعرفة والقول، وإن لم يعمل".

يعني لو مات ويعرف ربه، وأقر بالشهادة، يقر ويصدق بقلبه وبلسانه، ومات ولم يعمل شيئًا أبدًا، يقولون: فهو مؤمن داخل الجنة، حتى لو لم يصلِّ في حياته ركعة، ولم يفعل أي شيء، يدخل الجنة!. فهو يقول لهم ويرد عليهم: "وهذا ردٌ على من قال: الإيمان المعرفة، وردٌ على من قال: الإيمان المعرفة والقول، وإن لم يعمل، نعوذ بالله من قائل هذا"، ونحن أيضًا نتعوَّذ بالله من قائل هذا، فإن قال قائلٌ: فاذكر هذا الذي بيَّنته من كتاب الله -عز وجل-؛ ليستغني غيرك عن

التصفح في القرآن. فشرع -رحمه الله- في المواضع التي ذكرها وهي ستة وخمسون، ذكر مواضع وآيات كثيرة جدًا تثبت أن العمل داخل في الإيمان؛ ولذلك يقول بعد أن سرد كل هذا واستعرض كل الآيات، وبعد ذلك يستعرض الأحاديث والأدلة من السنة، ويقول: "ميزوا رحمكم الله قول مولاكم الكريم، هل ذكر الإيمان في موضعٍ واحدٍ من القرآن، إلا وقد قرن إليه العمل الصالح؟".

هو يستنكر، سؤال استنكاري: ميزوا الإيمان في ستة وخمسين موضعًا، مقرونٌ دائمًا بالعمل الصالح، هذا رد على المرجئة في ذلك.

إذًا سنكتفي بهذا المقدار، في التعريف المجمل هذا، وسنستخدم مثل هذه التعاريف، ونعود إليها مرة خلال مناقشتنا لهذه البدع.

ولكن الخلاصة هنا بالنسبة لهذه المسألة:

الإيمان ثلاثة أركان: تصديقٌ، إقرارٌ، معرفةٌ.

تصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالقلب؛ القلب يعمل أيضًا عملًا. المرجئة لا يعترفون بأن القلب يعمل، يقول لك تصديق مع معرفة، وانتهى الأمر؛ لا يعترفون بعمل القلب.

مثل ماذا عمل القلب؟ عمل القلب: الحب في الله، البغض في الله، هذه أشياء في القلب. هم لا يعترفون بهذا؛ يعني تجدهم يقولون لك: الإيمان معرفة فقط، أنت عرفت ربك خلاص؛ صدَّقت بالله، الإيمان معناه التصديق، أنا مؤمن بأن الله خلق السموات والأرض، هو الذي بعث محمد ﷺ وبعث الرسل، وبعث القرآن خلاص انتهى الأمر داخلك. لكن القلب وحركة القلب، وعمل القلب؛ يخاف، ويبغض، ويحب، ويكره، ويوالي، ويعادي وهكذا هذا كله في القلب، كيف أعرف الأشياء هذه؟ طيب يقول لك: خشع قلبه، تخشع قلوبهم لذكر الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ}، {تَخْشَعَ}؛ إذًا القلب يعمل. هم لا يعترفون بهذا ويقولون لا عمل، يكفي أن تكون مؤمنًا أن هناك إله، خالق السموات والأرض، والمعرفة فقط، وانتهى الأمر.

ولكن أقصى شيء يقول لك: اللسان. بعض المرجئة والأشاعرة بعضهم، اختلفوا في ذلك، فمنهم من قال: القلب واللسان فقط. لكن الجميع متحدون على إخراج العمل من تعريف الإيمان، وإن اختلفوا في تفاصيل؛ ولذلك يجب عليك أن تحفظ ثلاثة أشياء:

الإيمان هو: اعتقادٌ بالقلب وقولٌ باللسان وعملٌ بالأركان (عملٌ بالجوارح).

ثلاثة أركان وليست ثلاثة شروط؛ لأن بعض العلماء وبعض المعاصرين حاول أن يُدخل الأعمال، حين وقعوا في مشكلة وهم يتبعون أهل السنة؛ بعض من المعاصرين ممن يسمَّون السلفية المعاصرة، هذه الجامية والمدخلية وكل هذه، التي عندها إرجاء في مثل هذه المسائل، ماذا فعلوا؟ أقروا بالعمل، ويقولون عمل بالأركان، هم يقولون بذلك في تعريف الإيمان؛ لكن العمل بالأركان هذا عندهم شرط كمال، يعني شيء غير مهم؛ يعني واحد لو لم يعمل، يدخل الجنة أيضًا.

لاحظ الإمام ماذا يقول لك: لو طبَّق الاثنين ولم يعمل في حياته فإنه ليس مؤمنًا؛ تعريف الثلاثة مع بعض وإلا لا ينفع، واحد يقول لك: أنا مؤمن، الإيمان بقلبه أو بلسانه مثلًا ولا يعمل؛ إذًا لا يوجد تعريف العمل. مثل الروح والجسد، يعني ينفع نقول: جسد بلا روح؟ كيف الجسد سيتحرك؟ لا بد من الروح، لا ينفع نفصلهم عن بعض، هذه لا ينفع تُفصل وإلا يكون ميتًا.

حتى نسميه إنسانًا، وإلا سنسميه جثة أو جسدًا، أبوك جالس معك، مات والروح خرجت، ماذا تسميه؟ تقول: أبي معي الآن؟ أم ماذا تقول؟ نريد ندفن الجثة؛ لأنه أصبح بدون روح، أصبح جسدًا فقط، شيَّعنا الجثة، أدخلنا الجثة، رغم أن هذا هو أبوك أو أخوك أو ابنك؛ لكن لما كان فيه حركة روح، نسميه إنسانًا؛ محمد، علي هكذا، إذا خرجت الروح انتهى.

فالإيمان هذه أركانه، والركن هو جزء من الشيء؛ يعني إذا قطعته قُطع الشيء. عكس الشرط يكون خارجًا عن الشيء، ولكن هم بإرادتهم، قالوا أنه شرط لازم؛ لكنهم لم يفعلوا ذلك، قالوا شرط مثل الوضوء، شرط في الصلاة، لكنهم قالوا شرط كمال، وليس شرط لزوم، يعني ما ينفع الإنسان يصلي بدون وضوء؛ في الأصل لو قادر، ولا يستطيع أن يصلي، وبجواره الماء، ويقولك: أصلي، لا ينفع، وليست هذه صلاة. لكن هم قالوا: شرط كمال، أي مستحب، لابأس يعمله أو لا؛ لكن إذا مات ولم يعمل، إذا مات ولم يصلِّ لله ركعة، إذا مات ولم يصم في حياته، إذا

مات ولم يحج وكان قادرًا، إذا مات ولم يجاهد، إذا مات ولم يبحث أفعال الخير هذه كلها، إذا لم يفعل الطاعات كلها، قالوا إنه مؤمن كامل الإيمان، ويدخل الجنة، أعطوا له –ما شاء الله– فيزا، يدخل على طول براحته!.

يقولون ذلك مثل الخلاص عند النصرانية؛ أن المسيح تعذَّب من أجل البشرية –عليه السلام حاشا للمسيح وأعوذ بالله–، وهو سيُخلصنا، بحيث أي إنسان يفعل أي فعل خلاص؛ المسيح تعذَّب من أجلك؛ يزني، يسرق، يقتل، يفعل الأفاعيل، كما يفعلون بالعالم الآن، يُعربدون، يقتلون، ويسرقون، ويزنون، وتجد حتى القسيس ٦٠ أو ٧٠ سنة؛ والذين يأتون للكنيسة أبناؤهم من الحرام، وكل هذا الحرام، ويقول لك: القسيس كان مغتصبًا لكل هذه الأطفال، ويقول لك: أصل الكبار لا يستحون، وخاصة الكنائس في أمريكا، يقول له: اغسلني، فهو يغسله، يغسل العار والشنار؛ فيدخل معه وهو يغسلهم، فيذهب إلى كرسي الاعتراف ويريحه.

وحتى هؤلاء يقولون لك: إن المسيح سيغفر لنا جميعًا، لماذا؟ لأنه تعذَّب من أجلنا. فكرة المخلِّص هذه دخلت هنا، فكما يقولون: يكفيك أن تؤمن بالمسيح، يقول: يكفيك أن تصدق بالإيمان ككل، تقول: أنا مقر بأنه يوجد إله، وأنا مقر أنه يوجد محمد ﷺ، وأنا مقر بالقرآن؛ نعم، مقر بكل هذا، ولكن لا أعمل. هذا هو المخلِّص، يعني تدخل الجنة.

كانوا قديمًا عندهم حياء، رغم كل التعريفات؛ اعلم! كانوا يجاهدون ويعملون، يعني حتى الذين فعلوا ذلك، كانوا يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولكن بعد ذلك، الناس ازدادوا جرأةً في الدين، لماذا؟ صار عنده صك غفران، إن الشيخ فلان قال لي: يكفيك أن القول (ربك رب قلوب)، أو ألست تقول: (أشهد إن لا إله إلا الله، محمدًا رسول الله)، (من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة)؛ يستندون إلى هذا الحديث عن الرسول ﷺ، ويستندون إلى حديث البطاقة، ويستندون إلى حديث الأُصيرم عمرو بن وقيش في غزوة أحد، جاء وأسلم وقاتل حتى قُتل، وقال الرسول ﷺ: (عمل قليلًا وأُجر كثيرًا)، لم يركع لله.

وكان أبو هريرة –رضي الله عنه– يقول: "ألا أدلكم على رجل من أهل الجنة؟ لم يركع لله ركعةً قط ودخل الجنة"، فالناس استغربوا! من هو؟ فقال: "إنه الأصيرم، عمرو بن وقيش، أسلم في أحد"، أسلم في ميدان المعركة فقتل، فقال الرسول ﷺ: (عمِل قليلًا يسيرًا وأُجر كثيرًا). استندوا إلى هذا، ولم يركع لله ركعة؛ لكن هو هنا لم يعش لتفاصيل الإسلام، هذا الراجل أسلم، قال: (أشهد إن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله)، هذا هو الذي كان مأمورًا

به، خلاص انتهى. لكن لو عاش هل يُترك لا يصلي، ولا يصوم، ولا يزكي، ولا يفعل أي شيء؟ ويدخل الجنة! يقول: هكذا قال أئمة الإسلام، وهذا هو ديننا!.

إذًا هذا الذي نقوله، إن أصل الخلاف بين هؤلاء العلماء قديمًا. نلخص لكم المسألة وسبب المشكلة، ثم سأستعرض لكم نماذج من هؤلاء الفرق -إن شاء الله-؛ ثم نبدأ في تفصيل الشبهات والرد عليها، طبعًا لن نترك شبهات وهكذا، لا شبهة إلا والرد عليها. ولكن لازلنا نتكلم في أصل الخلاف، إذًا أصل الخلاف في تعريف الإيمان، هناك من عرَّف الإيمان وأخرج منه العمل، وهناك من عرف الإيمان وأدخل فيه العمل، فسبب الخلاف في إدخال العمل وإخراج العمل.

عندك هنا أقسام الناس، سبب أصل الخلاف في مسمى الإيمان، سبب الخلاف في تعريفهم للإيمان: فريق جعل العمل وأدخله في مسمى الإيمان، هذا الفريق الأول. الفريق الثاني: فريق أخرج العمل من الإيمان، يعني عنده العمل هنا ليس ركنًا، ولكن عند الفريق هذا العمل ركن. من هو الفريق الأول؟ الفريق الأول: هم أهل السنة، إذا قيل أهل السنة؛ نقصد بهم الصحابة والتابعون، القرون هذه كلها اسمهم السلف، وكل من يعتقد اعتقاد أهل السنة، يعني الإيمان: إقرار، تصديقٌ بالقلب بالقول والعمل، يعني قول القلب وعمل القلب، وقول اللسان والعمل بالأركان ثلاثة لا بد منهم؛ فالذين قالوا بهذا هم: أهل السنة، والخوارج، والمعتزلة.

تخيل الخوارج والمعتزلة اتفقوا مع أهل السنة في إدخال العمل في مسمى الإيمان؛ يعني جعلوا العمل ركنًا، يعني إذا الخوارج والمعتزلة وأهل السنة متفقون في تعريف الإيمان، وجعلوا جميعًا العمل ركنًا في تعريف الإيمان. لكن الفريق الآخر: الذي أخرج العمل من الإيمان أول شيء الجهمية، بعد ذلك المرجئة؛ والمرجئة هؤلاء فرق كثيرة طبعًا، وعندك من هؤلاء الكرَّامية، وعندك في هؤلاء الأشاعرة؛ طبعًا الأشاعرة من كل الشريعة، والماتريدية؛ لأنهم ظهروا في زمن قريب، وهنا سنتكلم عنهم، ما الفرق بين الأشاعرة والماتريدية؟ لأنهم يتفقون كثيرًا في أشياء، لكنهم يتفقون على إخراج العمل من مسمى الإيمان، هم يختلفون في بعض التفاصيل البسيطة، ليس بخلاف جوهري.

والمرجئة هؤلاء فرق كثيرة جدًا، سنتكلم عنهم؛ الغسانية، والصالحية، والتومنية، والنجارية، وفرق كثيرة جدًا، عدهم الباقلاني باثني عشر فرقة، وعدّهم البعض بسبع فرق، لكن تستطيع تلخصهم إلى ثلاث في النهاية، هذه فرق وأسماء ظهرت، وهم من أعمدة ومشاهير المرجئة، هذا الفريق الذي أدخل العمل في مسمى الإيمان.

يعني الإيمان عندنا ثلاث أركان: الإيمان تصديقٌ بالقلب، طبعًا تصديق بالقلب على مصطلح أهل السنة، وليس على مصطلحهم هم، تصديق بالقلب: يعني تصديق وعمل قلب، ويعترفون بعمل القلب، وقولٌ باللسان، القول باللسان يعني إقرار باللسان، بعد ذلك عملٌ بالأركان، التي هي الجوارح؛ يعني هذه الثلاثة اتَّفق عليها أهل السنة، والخوارج، والمعتزلة، في تعريف الإيمان.

لكن قد يقول قائل: طيب، إذا كان الخوارج –ما شاء الله– حبايب، والمعتزلة إخواننا في الله، لماذا اختلفنا معهم؟ ولماذا قتلونا؟ وقتلوا الصحابة؟ واستباحوا دماء الأمة؟ وكيف هم المعتزلة الذين أحدثوا بدعة تقديم العقل على النقل؟ والخمس مبادئ التي يعترفون بها، –طبعا سنتكلم عنهم فيما بعد–. لكن أحكي بالتلخيص السبب؛ هم اتفقوا مع أهل السنة في تعريف الإيمان، في إدخال العمل في مسمى الإيمان.

لكن الخلاف بينهما في أن أهل السنة يعتبرون مرتكب الكبيرة داخلًا في الإيمان، لا نخرجه من مطلق الإيمان، لكنهم اعتبروا الذي يرتكب الكبيرة ليس بمؤمن. يعني أدخلوا العمل، فعند أهل السنة الذي يخترق هذا العمل يرتكب كبيرة، لا نسحب منه صفة الإسلام، نقول: مؤمن أو مسلم ناقص الإيمان، نقول: إن حكمه في الآخرة، هو تحت المشيئة، إذا ارتكب كبيرة؛ قتل، زنا، أي شيء من الكبائر ولم يتب، ومات على هذا، فنقول: هو مات مسلمًا، ولكنه تحت المشيئة. له حالات: طبعا سنتكلم عنها بالتفصيل؛ إذا شاء الله عفا عنه، وأدخله الجنة بدون عقاب، هكذا خلقه وهو يريد يفعل ما يشاء، وإذا شاء عذَّبه وأدخله النار، لكنه لا يخلد فيها.

الخوارج يقولون: يخلد فيها؛ لأنه مات كافرًا، فهم سحبوا منه الإيمان أصلًا بالكلية.

إذًا نحن نقول: إذا كانت الخوارج والمعتزلة اعترفوا بأن العمل داخل في مسمى الإيمان، مع أهل السنة؛ لكننا اختلفنا معهم في مرتكب الكبيرة، في هذا الذي يؤدي هذا العمل إذا ارتكب كبيرةً؛ فنحن نقول عنه ارتكب كبيرةً ولم نسحب منه مطلق الإيمان، لا يزال عنده إيمان، ولكنه ارتكب كبيرة فهو تحت المشيئة. وهم يقولون لا، أول ما يموت ولم يتب، فهو مخلَّد في النار، سحبوا منه الإيمان، لا يعتبر عندهم مسلم، هو كافر. هذا هو الخلاف بيننا وبينهم.

مداخلة: حتى الكذب صح؟

الشيخ: أي شيء هذا اسمه كبيرة عندهم. طبعًا سآتي لكم بعد ذلك؛ لأن هذا يسبب جدلًا كبيرًا بين الناس، ما هي الكبيرة؟ وما هي الصغيرة؟ كيف نعرف إن هذه صغيرة؟ ونعرف أنها كبيرة؟ أقولها باختصار، وبعد ذلك سأقول لكم آراء العلماء؛ يجب أن توقن أن الله -سبحانه وتعالى- لا تستسهل في حقه صغيرة، وتقول: هذه صغيرة، الصغيرة مهما تكون صغيرة مقارنة بالتي أبشع منها، ولكن في حق الله الصغير والكبير كبير فظيع، يعني هذا مُستقبح -أعوذ بالله-؛ لأنه في حق الله، لكن يعني واحد يقول لك: هذه أكبر من هذه، مقارنة الذنوب بعضها ببعض، يعني الذي ارتكب هذا الذنب الصغير، مثل الذي ارتكب الذنب الذي أكبر منه، لكن في حق الله كله كبير.

ولكن هذا تعريف **الكبائر**: **هي التي تستوجب لعنًا، أو التي فيها تهديد بالعذاب**، يعني العلماء لهم تعريفات كثيرة، في مسألة الكبائر. لكن **الصغائر**: هي التي يعفو الله عنها من خلال الاستغفار، من خلال بعض الأشياء البسيطة؛ لكن الكبائر تحتاج إلى استغفار خاص، وشيء خاص، حتى الصغيرة يُعفا عنها من الجُمع، هذه كفارات؛ لكن الكبيرة تحتاج إلى شيء خاص، وتوبة خاصة.

إذًا هذا هو الفارق بيننا وبين المعتزلة، وبين الخوارج والمعتزلة. واحد يقول لك، إذًا الخوارج يقسمون الناس كالآتي: مؤمن، كافر، ليس خط وسط، لكن المعتزلة ما الفرق بينهم وبين الخوارج؟ رغم أنهم اتفقوا مع أهل السنة في مسألة التقسيم؛ المعتزلة قسموا الناس إلى: مؤمن وكافر وفاسق، قالوا (فاسق) وقالوا: هو في منزلة بين المنزلتين، وضعوا مرتكب الكبيرة، لم يقولوا عنه كافرًا في الدنيا، يعني في حكم الدنيا؛ لكنه في الآخرة، مخلد في النار، يعني هم والخوارج يلتقون في النهاية، الخلاف بينهم اسمي.

لكن ما ثمرة هذا الخلاف؟ الخلاف هذا له ثمرة؛ الخوارج الذين يعتبرون من يرتكب كبيرة كافرًا، ولذلك يستبيحون دمه وماله وعرضه، خلاص هو مستباح في حكم الدنيا؛ أما المعتزلة: فإنهم يسمونه فاسقًا في حكم الدنيا، حتى اللفظي هذا؛ لذلك لا يستبيحون دمه، ولا يستبيحون ماله في حكم الدنيا، ويعاملونه معاملة كأنه مسلم فاسق؛ ولكن هو لو مات هو كافر، نفس الخوارج. الفارق إن الخوارج كانوا يطبقون حكم الدنيا عليه، باستباحة دمه وماله.

لذلك المعتزلة كانوا لا يفعلون ذلك، لا يستبيحون الدماء، عبارة عن تخريبات عقلية فقط، لذلك دمروا العالم الإسلامي، وكانوا خطرًا شديدًا، لماذا؟ لأن المعتزلة تغلغلوا في بلاط الدولة، وفي السلطة، فوصلوا عن طريق الخليفة المأمون، والخليفة المأمون طبعًا من خلفاء الدولة العباسية، ابن هارون الرشيد، الخليفة المأمون ماذا فعل؟ الخليفة المأمون

كان زيديًا شيعيًا، وتأثر بأبي دؤاد القاضي في آخر حياته، وهو الذي بدأ محنة الإمام أحمد بن حنبل. وعمل له تخبطات في دماغه، وقال: إن كلام الله مخلوق، وقامت فتنة كبيرة، وامتحن الناس، وعذبوا الإمام البويطي، وابن أبي نعيم، وابن أبي مريم، وعلماء أجلاء امتحنوهم، وأكرهوا الناس على مسألة، ابتدعها هؤلاء المعتزلة؛ وظل الناس يكتوون بنيران المعتزلة، على يد الخليفة المأمون، في آخر حياته لغاية ٢١٧ هجريًا تقريبًا.

ثم بعد ذلك جاء من بعده المعتصم؛ والخليفة المعتصم كان لم يهتم كثيرًا بهذه المسائل، لكن أثروا عليه، وظلت المحنة، وبعد ذلك جاء الخليفة الواثق، وأيضًا اختبر الناس، وكان ابن دؤاد هو رأس الشر في هذا الموضوع، وطبعًا ليس القضية قضية خلق القرآن فقط، قال: إن العقل يقدم على النقل، وتوسعوا في أشياء، وافترضوا فروضًا، وكانوا يُلزمون إلزامات، طبعًا هؤلاء الخلفاء لديهم السلطة للأسف الشديد، أجبروا الناس على هذه الخزعبلات، وهذه البدع التي ابتدعها المعتزلة. حتى جاء الخليفة المتوكل العباسي، وأعاد للسنة، وقضى على هذه الفتنة، ورد الاعتبار لأهل السنة مرة أخرى، والإمام أحمد وغيره، وصار الناس بعد ذلك ينشرون السنة.

إذًا المعتزلة دمار، وسبب العلمانية الموجودة في العالم الإسلامي، كل العلمانيين لاحظوا والماركسيين، دائما يستندون إلى المعتزلة؛ لاحظوا المعتزلة عندما ظهروا كانوا يريدون تنزيه الله للعلم، ويريدون حكم الشريعة، ولكنهم خرّفوا، فتحوا شهية العلمانيين، والمخرّفين، والمخرّبين؛ ولذلك نجد هؤلاء، يقول لك: واحد علماني رافض الدين أصلًا، يعني لا يريد شريعة ولا غيره، لكن عندما يستند على ماذا؟ يأتي لك بالنصوص، ويقولك العقل يُقدَّم، لذلك دائمًا يؤلفون الكتب، كالدكتور محمد عمارة، لماذا يمجّدون المعتزلة دائمًا؟ هؤلاء يمجّدون المعتزلة، رغم أنهم لا يحبون الإسلام؛ حتى الذي يقول: أنه تبع للماركسية، دائمًا يحب المعتزلة، لماذا؟ لأنه يقدم العقل على النقل، ويمدحون هؤلاء، حتى يهاجمون الخليفة المتوكل؛ لأنه انتصر لهؤلاء المظلومين من أهل السنة، وأعاد اعتبار للسلف الصالح من جديد.

فهذه المسألة يا جماعة ليست عملية تاريخية، ومجرَّد ترف فكري نتحدَّث فيه، هذه لها ثمرات وأثر، وأثَّرت في العالم الإسلامي، إلى وقتنا الحاضر.

إذًا هذا هو مجمل، الخلاف في أصل الإيمان، سبب المشكلة، إن فريق جعل العمل في مسمى الإيمان، وفريق آخر، أخرج العمل من مسمى الإيمان. الذي أدخل العمل اعتبره ركنًا، وليس شرط كمال ولا غيره، لا بد من العمل، يعني الذي يعيش مثلًا ٦٠ سنة ٧٠ سنة، وقال: أشهد أن لا إله الا الله، وأن محمدًا رسول الله، وُلد مسلمًا، ولم يركع لله

ركعة، ولم يصم، ولم يفعل شيئًا، هذا ماذا نسميه؟ هذا لم يعمل، جنس العمل لم يؤدِّه في حياته، لم يكن يصلي أحيانًا، ويزكي أحيانًا، ويعمل ويؤدي ويكسل، وهذا حتى اختلاف الفقهاء فيه، لكن هدا لم يعمل إطلاقًا ومات، هذا نسميه مؤمنًا؟

إذًا هذا فيه إجماع، هذا هو بكلام الإمام الآجري، وابن تيمية، وابن المديني، وعلماء السنة، والذهبي وغيرهم، كل هؤلاء قالوا لا بد من العمل. وهناك فرق؛ ولذلك، سأتكلم معكم -إن شاء الله- في إحدى الدروس عن تطبيق عملي لمسألة تارك الصلاة؛ لأن تارك الصلاة هو نموذج عملي، لماذا؟ بعض الناس يقولون هذا تارك الصلاة يكفر؟ وبعد ذلك يقولون لا يكفر، والاختلاف في هذه المسائل؟ بسبب هذا الاختلاف في مسمى الإيمان؛ وسنتكلم عن أن هناك فرقًا بين من يترك جنس العمل، وهناك من يعمل ويقطع مثل باقي الناس؛ مثلًا يصلي مرة، أو يقطع مرة، هذا مصيره خطير جدًا، ولكن هذا لا ينطبق عليه حكم جنس العمل؛ يعني حتى لا يفهم فاهم، أننا نقول واحد لا يصلي، ويصلي أحيانًا ويقطع أحيانًا، أننا أخرجناه من الملة، نحن نتكلم عنه، والأئمة يتكلمون.

وابن تيمية شرحها؛ الذي يترك جنس العمل، يعني لم يركع في حياته، عاش وقادر وعنده إمكانية أن يصلي، نقول له: صلِّ، لا يصلي؛ صم، لا يصوم، قادر ومات على هذا؛ لم يفعل شيئًا من الخير في حياته، هذا لا يسمى مؤمنًا، حسب هذه الشروط، العلة التي في القرآن والسنة، والتي قالها وذكرها العلماء.

إذًا هذا هو الذي استطعنا ذكره، فأنا أُجمل لكم باختصار شديد؛ المسائل فيها شروح وتعقيدات، ولكن أرجو أن يكون الإخوة استوعبوا هذا. وسأختم في القسم هذا، في الموضوع الذي هو أصل الخلاف؛ الفرق المخالفة في الإيمان ما مشكلتهم؟ أصل المشكلة عندهم شبهتان، وهاتان الشبهتان هما سبب المشكلة.

سأعطيها لكم فقط دون شرح الآن، ولكن بعد ذلك سأفصل فيها. قالوا: **الشبهة الأولى** عند كل هذه الفرق، بما فيهم الخوارج والمرجئة والمعتزلة، كل هؤلاء ما عدا أهل السنة، ما الشبهة الأولى؟ **اعتقادهم أن الإيمان كلٌ لا يتجزأ،** إما أن يوجد كله، وإما أن يذهب كله، هذه الشبهة الأولى.

الشبهة الثانية في سبب إخراجهم العمل أو إدخالهم العمل، **أن هم لا يتصورون أنه يجتمع في الإنسان كفر وإيمان،** يعني لا ينفع واحد يقول: هذا مؤمن وكافر في نفس الوقت، يعني خرج منه إيمان، وبعض كفر، لا يتصورون ذلك، لماذا؟

لأن تعريفهم للإيمان هو الخطأ، تعريفهم للإيمان هو تصديق، يعني أنا مصدق بالله، يبقى خلاص أنا مؤمن، انظر! كيف إن أنا أدخلت معناه العمل، الذي هو الصلاة، أو واحد ارتكب زنا أو سرق، كيف أنا سأقول عنه مؤمن؟ فلذلك قالوا أحسن شيء نحذف العمل كله.

أما الخوارج، أيضًا الشبهة جعلت عندهم مشكلة؛ إما الإيمان كله، طيب كيف أنا سأدخل الإيمان، لو واحد سرق أو زنا؟ كيف أقول عليه مؤمن؟ وكيف أقول عنده إيمان؟ يحصل تناقض، رغم أنهم أدخلوا العمل، لكن مشكلة الخوارج: أنهم جعلوا الإيمان كلًا لا يتجزأ أيضًا. لكنهم قالوا أي واحد يخطئ أي خطأ، أي مجرد ذنب، هنا الإيمان انتقض، هُدم الإيمان كله. أما المرجئة لأنهم احتاروا في هذا، فقالوا: أحسن شيء نُخرج العمل من الموضوع كله، ونجعل الإيمان عبارة إما معرفة فقط، أو قول فقط، وانتهى الأمر؛ لو واحد مات، ربنا سيدخله الجنة، وانتهت القصة، أراحوا رأسهم. هذا هو ببساطة يعني.

لكن أنا الآن سأختم بتعريفكم على فرق المرجئة، حتى نعطيكم نماذج من هذه الفرق؛ لأننا سنتكلم عنهم، باعتبار إننا سنفصل بعد ذلك.

الآن سنتكلم عن الإمام أبي الحسن الأشعري، في كتابه (مقالات الإسلامين)؛ الإمام أبي الحسن الأشعري هو رأس الأشعرية، للعلم الأشعرية هذه فرقة كبيرة جدًا في العالم الإسلامي، وطبعًا هي لها باعٌ في تاريخ الإسلام، ولكن نحن نناقشهم الآن في الخطأ الذي وقعوا فيه، والمصيبة التي وقعوا فيها، وهي الإرجاء، وهي في مسألة تعريف الإيمان؛ هذه هي المشكلة، أنهم جهمية في تعريف الإيمان.

ولكن أبا الحسن الأشعري، منسوبة إليه الأشعرية، رغم إن الرجل –رحمه الله– له ثلاثة أطوار في حياته.

أبو الحسن الأشعري هو رأس الأشعرية، منسوب إليه الأشاعرة، أنا سأعطيكم نبذة عنه؛ هو إمام وُلد في البصرة، سنة ٢٦٠هجريًا، وهو منسوب إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، يعني جده من أعلى، فهو حفيد. فهو اسمه أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ولد في البصرة، وتوفي سنة ٣٢٤ هجريًا، فالإمام هذا نشأ وتربى يتيمًا، أمه تزوجت شيخًا وإمامًا من أئمة المعتزلة، فتربَّى في حضن المعتزلة.

وهو إمام شيخ كبير أبو علي الجُبَّائي من أئمة أعمدة المعتزلة، يعني لا ينفع أن تذكر المعتزلة، بدون أن تذكر الجاحظ، بدون أن تذكر أبا هذيل العلاف، أو تذكر القاضي عبد الجبار، أو هذا الإمام أبا علي الجبائي؛ فهو كان مناظرًا خطيرًا جدًا. فكان هو الذي ربى أبا الحسن الأشعري، وظل معه سنوات طوالًا؛ لأنه ربيبه، وتربى في حجره، فهو أستاذه وشيخه، كان يصحبه إلى المسجد وإلى المناظرات، ويحضر مناظرات المعتزلة، مع الفرق الأخرى، وخاصةً هذا القرن كان في عصر بني بويه، وعصر بدع، والروافض وغيرهم، وكان فيه جدال كثير، مع كل الفرق في ذلك الوقت، فهو تربى ونشأ على مبادئ المعتزلة، وعلى طريقة المعتزلة، في الجدال والافتراضات، التي كانوا يفترضونها.

إذًا هو كان الطور الأول، في حياة أبي الحسن الأشعري، أنه كان معتزليًا، إذًا لم يتربَّ على طريقة أهل الحديث وأهل السنة؛ ولذلك لم يُعرف عنه أنه لازم أهل الحديث، ولا أهل السنة. مع أنهم متواجدين في ذلك الوقت أيضًا؛ في بغداد، وفي البصرة، وكانوا في الكوفة، وكانوا هذه هي حاضنة العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

فأبو علي الجبائي، سبب خروجه بعد ذلك، الخروج هو الطور الثاني؛ الطور الأول: أنه كان معتزليًا، ثم مرة كان محتارًا وكان جالسًا، وكان المعتزلة على طريقتهم يناقشون الناس هكذا، الحوارات التي في المسجد؛ فسأل رجلٌ أبا علي الجبائي سؤالًا -وسبحان الله إذا لم تلتزم بالسنة تضل وتضيع-، فقال له: "يا شيخ هل يجوز أن أصف الله بالعاقل؟"، فقال له أبو علي: "لا يجوز؛ لأن العقل من عقل البعير، لا تعقل البعير وتربطه وهكذا؛ فلا يجوز أن تنسب بصفة من الله، وتقول الله عاقل هكذا".

فهذا التلميذ موجود فأبو الحسن الأشعري جالس، فاعترض وقال: "يا إمام، إذًا معنى ذلك أنه لا يجوز أن تقول عن الله الحكيم؟ فالله سمى نفسه حكيمًا لماذا؟"، لاحظ سبب مشكلة البدع اللغة، لأنهم يستخدمون اللغة، ويبتعدون عن الأدلة الشرعية، فقال: "لأن الحكيم مأخوذة من الحكمة، والحكمة هذه التي هي للرجال، تحكم الفم، وفم الخيل أو البعير، فهذه الحكمة؛ إذًا لا يجوز أن يوصف الله بالحكيم بناء على ذلك، كما تقول بالعاقل؛ والله سمى نفسه (عزيزٌ حكيم)، والله هو الحكيم، من أسماء الله الحسنى".

فاحتار الجبائي؛ يعني أُسقط في يده، كيف هذا؟ يعني يراها خطيرة، قال: وما تقوله ولماذا ترفض أنت أن يوصف الله بالعاقل؟ لماذا؟ لماذا توافق على وصفه بالحكيم؟ طالما أصل العقل من عقل البعير؟ كلمة عاقل عقل ربط؛ وطالما الحكمة: التي هي اللجام، الذي يلجم به الخيل، يعني العرب تأخذ كلماتها من هنا.

ولذلك نقول: (هذا حكيم)، ماذا تعني؟ تعني يضع الشيء في موضعه، وضعته مكانه حتى تلجمه، يقولك هذا حكيم، يعني يفعل فعل الحكيم، يسدده ويربطه ويتحكم فيه، فهذا أصل الكلمة هكذا.

فقال له: نعم. قال له إجابة موفقة جدًا، قال له: "لأن الحكيم مأذونٌ له شرعًا، أما العاقل فلو أن الله سمى نفسه، ووصف نفسه بالعاقل، لقلت بها، لكنني ألتزم بما وصف الله به نفسه"؛ يعني وصف الله نفسه الحكيم، أنا هنا مأجور شرعًا؛ يعني ربنا سمى نفسه حكيم، لكن لم يسمِ نفسه بالعاقل، ولا بأي أسماء أخرى؛ إذًا لا بد أن ألتزم به وأتأدب مع الشرع، لذلك نؤمن بماذا؟ بما وصف الله به نفسه. وهنا بدأ خروجه ولم يعجبه طريقة المعتزلة.

كيف دخل لمذهب أهل السنة؟

هو كان محتارًا، يريد أن يرد على المعتزلة، ولكنه لم يتعلم علم علماء أهل الحديث في ذلك الوقت، وكان الحنابلة، والبعض من الذين هم تلامذة الإمام أحمد وغيره، والعلماء الذين كانوا علماء الحديث، كانوا يلتزمون بتعريف أهل السنة، لم يحتكَّ بهم كثيرًا؛ فلذلك سمع عن سعيد ابن كلَّاب، وهو إمام الكلابية، فابن كلاب كان في بلاد ما وراء النهر، وخرسان وهذه البلاد عند أفغانستان، وكان معروفًا في ذلك الوقت، وكان مشهورًا أنه يجمع بين الطرفين؛ يعني لا هو مذهب أهل سنة، يميل إلى أهل السنة، وأيضا ما بين الأشاعرة، خليط، بهذا ليس سنيًا محضًا؛ ولكن هذا هو أفضل شيء كان موجود، فتأثر بابن كلاب في رده على المعتزلة.

ابن كلَّاب؛ بعض الناس ينطق ابن كلَّاب يقول: ابن كُلاب، أو ابن كِلاب، وأحد المشايخ سمعته مرة يقول: ابن كُلَّاب.

الرجل هذا كان داهية، وعالمًا عبقريًا فذًا في المناظرات؛ فكان عندما يناظر الناس، يأخذ بهم يأخذ بالمناظر، فكان مثل الكُلَّاب، يقولونها كيف بالإنجليزية؟ (hook)، الخطاف، تعرف الخطاف، كما الحديث في الصحيح، كلاليب: خطاطيف، هذه التي تعلق بها اللحم، تعلق بها الأشياء، هذا اسمه الكُلَّاب.

فسموه كُلَّابًا، لا علاقة له بصناعة الكلاليب، ولا الكلب، ولا له علاقة بالموضوع بالمادة نهائيًا؛ ولكنه لأنه كان يأخذ أو يعلق خصمه، يخطفه، من كثرة الأدلة، والرعب الذي أمامهم، ولأنه كان قويًا جدًا في المناظرة، فلذلك سموه كلابًا لهذا السبب.

فهو تأثر به، ثم بعد ذلك هذا الطور الثاني، تأثر بالكلابية، في منهجهم في الرد على المعتزلة.

ثم بعد ذلك في الطور الأخير، تعرف على علماء أهل السنة، كذلك علماء أهل الحديث، واحتك بهم؛ فغير وكتب كتابه (الإبانة).

طبعًا بعض الأشاعرة يحاولون أن يشغّبوا على كيف كتب كتاب (الإبانة)، الذي رجع فيه إلى عقيدة أهل السنة، وقال هو آخر كتاب كتبه؛ حتى في كتابه (المقالات الإسلامية)، ينصف ويرجع إلى عقيدة أهل السنة، نعم عنده بعض المسائل، يعني هو متفق مع علماء أهل السنة في كثير من المسائل في المجمل، ولكن في خلافات، هذه المسائل لا تشغلوا أنفسكم بها. لكنه عالم كبير، تعرض إلى عدة مراحل.

المرحلة الأخيرة: قال العلماء أنه تاب عن كل هذا، وأنه رجع إلى أهل السنة، والدليل على ذلك كتابه (الإبانة)، والدليل على ذلك كتابه (مقالات الإسلاميين) أيضًا، فيه أشياء طيبة.

فهذا رأس الأشاعرة، وهي منسوبة إليه، لكن الذي أخذ الأشعرية بعد ذلك، هو التلميذ الثاني أو الثالث له، المحب الطبري ثم بعد ذلك القاضي الباقلاني، هو إمام بعده، ثم الجويني وغيره، وهؤلاء علماء الأشاعرة الكبار. ولكن المرجئة هؤلاء، قسمهم إلى اثنتي عشر فرقة؛ عندك في كتاب الإمام الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل)، قسمهم إلى ستة أو سبعة طوائف فقط، وهي هي، يعني نفس الموضوع.

ولكن سأعطيكم نماذج من هؤلاء، قلنا التي هي مثل؛ الغسانية، والصالحية، وهكذا؛ نعم، نقول هو يقول هكذا المرجئة، يقول: (ذكر اختلاف المرجئة)، من هم يعني المرجئة؟ ما معنى مرجئة؟ من الأصل في اللغة، كلمة أرجأه: أي أخره، {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ}: يعني أخّره وأخاه، {وَأَرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ}، يعني أنا أقول لك: أرجأت هذا العمل: يعني أخّرته، **فالإرجاء معناه التأخير؛ فسُمُّوا مرجئة لأنهم أخروا العمل.**

وسموا مرجئة: قيل لأنه من الرجاء أن يدخلوا الجنة، أعطوهم رجاءً بدخول الجنة يعني؛ قال: افعل ما تشاء، وفي النهاية ستدخل الجنة، يعني نرجو لك الجنة، خلاص انتهى. أو أنهم أخروا العمل، وهذا هو الإرجاء؛ أنهم يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، ولذلك قال اختلفت المرجئة، في الإيمان ما هو؟ وهم اثنتا عشرة فرقة، فالفرقة الأولى: يزعمون أن الإيمان بالله؛ هو المعرفة بالله، وبرسله، وبجميع ما جاء به من عند الله فقط، وأما ما سوى المعرفة، من الإقرار باللسان،

والخضوع بالقلب، والمحبة لله ورسوله، والتعظيم والخوف منه، والعمل بالجوارح، فليس بإيمان، لا دخل له؛ المحبة، والخوف، والعمل بالجوارح، كل هذا لا علاقة له بالإيمان، يكفيك المعرفة فقط.

هذه فرقة من المرجئة، الذين هم منهم الجهمية، أتباع واحد اسمه (جهم بن صفوان)، هؤلاء الجهمية، اتبعوا منها ما لم يتبعه أحد في الدين، قالوا وزعموا: أن الكفر بالله هو الجهل به فقط، وقالوا: أن الإيمان هو معرفة الله فقط، يعني أنت تعرف الله كفى؛ أنتَ كفرتَ، عبدتَ الصليب، سجدتَ للصنم، عملت أي شيء في الدنيا من الموبقات، بُلْتَ على المصحف، -وهذا كلام خطير، هنا تظل أنتَ مؤمنًا!، حتى لو عملتَ هذه الأشياء؛ لأنك تعرف الله، أنتَ مُقرٌ بالله، معرفة الله فقط. لكن لو جهلت الله، جهلت الله لماذا؟ أنكرتَ إن هناك إله، لا يوجد إله أرسل الرسل، ولا أي شيء؛ إذًا أنت كافر. إذًا فقط هذا، لكن لا يوجد قلب ولا غيره، ولا خضوع، ولا عمل، ولا أي شيء.

مات هذا الشخص، ولم يفعل أي شيء في حياته، مهما عبد من النصائب والأصنام، فإنه في النهاية مؤمن؛ وزعمت الجهمية: أنه إذا أتى بمعرفة ثم جحد بلسانه، لا يكفر بجحده، تخيل!! ماذا يعني؟ واحد يقولك: أنا أجحد الصلاة، أنا أجحد الصوم، قال ذلك: (يجحد)، يعني هذه المقالة. حتى أحد من المرجئة هؤلاء قال: لا يكفر، مؤمن.

وقالوا: إن الإيمان لا يتبعَّض، كله كتله واحدة. لكن عندنا أهل السنة: الإيمان يتبعَّض، (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، طيب، إماطة الأذى عن الطريق عند واحد غير موجودة، الإيمان ذهب منه؟ لا؛ لأن الإيمان يتبعض عندنا، عندهم لا يتبعض، تخسر واحدة تضيع، هو كتلة واحدة، حتى في المرجئة؛ وذلك لأنهم لا يعترفون بالعمل. هو لا يدخل العمل عندهم أصلًا في الموضوع.

والصالحي هذا، سيد الصالحي يقول: "إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط؛ فلا إيمان بالله إلا بالمعرفة به، ولا كفر بالله إلا بالجهل به"، مثل الجهمية تمامًا.

وقالوا وزعموا: أن معرفة الله هي المحبة له أي: الخضوع لله، هنا اختلفوا فقط عن الجهمية، وأصحاب هذا القول لا يزعمون إن الإيمان بالله الإيمان بالرسول، وأنه لا يؤمن بالله إذا جاء الرسول، إلا من آمن بالرسول؛ يقول: حتى لو لم يؤمن بالرسول، لا يشترط، المهم يؤمن بالله. بالله عليك عقلًا كيف هذا!! هذه تخبيطات ودمار في تاريخ الفرق أصلًا.

وزعموا: إن الصلاة ليست بعبادة الله، وأنه لا عبادة إلا الإيمان به، وهي معرفته. يعني أنتَ تصلي لله، لا علاقة لها بالإيمان، ليست بعبادة، ما هي عبادة الله للصالحية؟ أتباع هذا الضال؟ العبادة: معناها معرفة الله فقط؛ لأن العبادة ليس معناها الطاعة والعمل. الطاعة: اسم جامع لكل أفعال الخير، لكن هؤلاء يخرجون العمل. إذا لم تكن الصلاة هي أصلًا عبادة؟ فما هي العبادة؟! لا يوجد عبادة في الدين أبدًا، انتهى!! هؤلاء يقولون ذلك.

وهناك (اليونسية)، أصحاب واحد اسمه يونس، هذه يزعمون إن الإيمان هو المعرفة الله أيضًا مثل هؤلاء أيضًا.

وهناك بعد ذلك فرقة اسمها (الشمرية)، هو نفس الكلام، يزعمون أن الإيمان المعرفة لله والخضوع له، والمحبة له بالقلب، والإقرار به أنه واحد ليس كمثله شيء؛ هذا تجده في بعض البرامج في الفضائيات، تقول لك: يا جماعة! نحن نتكلم في التوحيد فقط، نحن نريد نعرف نؤمن بالله فقط، ونوحد الله فقط، ولذلك تركيزهم على إثبات الوحدانية، ماذا يا رجل! أنت تخاطب أناسًا شيوعيين؟ أم لادينيين؟ هو قصر الإيمان على معرفة الله، أن تؤمن أنه خالق السموات؛ هذه البرامج التي تتكلم عن عظمة الله وخلق الله، لكن لاحظ! لا يتكلمون عن العمل، لا يتكلمون عن الأركان الأخرى، وخاصة العمل، حتى في البرامج هذه، يؤلفون كتبًا في عظمة الله والخلق.

ولذلك الحكومات المحاربة للإسلام، دائمًا تفضل هذه البرامج، لماذا؟ ينشرون هكذا: رأيت السمكة؟ مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، انظر هذه معجزة! انظر للمرأة التي تحولت لسحلية! أي كلام. وبعد ذلك الناس يستخدمون صور مركبة في الفوتوشوب، ويضحكون على البسطاء؛ واحد داس على القرآن مُسخ، الله أكبر، وينشرون هذه وكلها خرافات وخزعبلات؛ الرجل بال في غوانتنامو، ووضعوا المصحف في المرحاض، ولم يُسخطوا ولا خُسفت بهم الأرض؛ الناس تمزق المصحف ولا يُخسف بها، أنتم ستصنعون فتنة للناس!.

يقولون: "لا يا أخي! أحيانًا يحدث". الله يؤخر العقوبة، لا تفتنوا بهذا، يقول لك: الرجل الذي تكلم في الرسوم المتحركة عن الرسول ﷺ احترق، وأشاعوا خبر احترق ومات؛ وانظروا إلى الذي آذى الرسول، وبعدها ثبت أنه خرج ويتكلم، وواحد من استلم جائزة من أنجيلا ميركل، هذه مسخرة يا رجل في العالم الإسلامي!

وفي الآخر يقول لك: الحمد لله، نحن موحدون. واحد مرة اسمه شيخ، هذا الرجل يقول أمام ملأ من الفرق، وحوار ما يُسمى حوار الأديان، يقول: "نتفق على كلمة واحدة، لا إله إلا الله"، طيب والشطر الثاني يا عم الشيخ، أين ذهب؟ (محمد رسول الله) أين ذهب؟ يقول: "هذا هو الذي نستطيع أن نجمِّع به الناس!!".

أعوذ بالله، هذه (لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله)؛ طيب ما العرب كانوا قالوها، لو المسألة هكذا، كانوا قالوها وارتاحوا؛ (قل لا إله إلا الله) وكفى، هم كانوا مقرّين بأنه إله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}، إذًا يعرفون أنه يوجد إله، حتى أنهم قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ}؛ نحن لا نعبد الأصنام، لكن يقربونا إلى الله، تخيل! الشيخ الترابي هو الذي قال ذلك، قال: نريد أن نوحد الناس على (لا إله إلا الله)، وحذف (محمد رسول الله)؛ يقولك: هذا الذي يوحد الناس.

ولم يقل أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، ولم يقل محمد رسول الله؛ الرسول ﷺ يقول: (والذي نفس محمدٍ بيده، لو أن موسى بن عمران كان حيًا، ما وسعه إلا اتباعي)، وفي رواية: (لو أن عيسى بن مريم كان حيًا ما وسعه إلا اتباعي) يعني حي في الأرض، لكننا نؤمن أنه في السماء؛ ولكن انظر: (ما وسعه إلا اتباعي)؛ يعني لازم يؤمن بالله، بشهادة أن لا إله إلا الله؛ الركن الأول: تكفر بهذه الآلهة وتؤمن بالله، لا معبود بحق إلا الله. والركن الثاني، ما ينفع جسد بدون روح، هذا الركن الأول: أن تؤمن بالله، والركن الثاني: هذا الرسول المبلغ عن ربه. ولذلك هناك من يقول: أتقرب من الناس بالوحدانية والتوحيد، هذه هي الفرق التي كانت تضحك على الناس، لأنها لا ترتب عليها عملًا.

بعض الفرق الأخرى: (الثوبانية)؛ وهي تابعة لواحد اسمه أبي ثوبان، يزعمون أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسله، ولهم آراء مريضة هكذا. وهناك أيضًا منهم مجموعة قالوا: إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وأن من كان مؤمنًا، لا يزول عنه اسم الإيمان إلا بالكفر.

وفي فرقة بعدها اسمها: (الغيلانية)، أتباع غيلان الدمشقي، هؤلاء يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله الثانية، وقلت لكم، ما معنى المعرفة الثانية؟ هي الاستدلال العقلي؛ لذلك لا يقولون بإيمان مقلّد، لا ينفع أن يقلد. وهذا الكلام ما أوجبه الله، أوجب الله على كل مسلم، أن ينطق الشهادتين، خلاص انتهى الأمر. وردَّ عليهم ابن حزم، مسحهم ودمرهم تدميرًا، في كتابه (الفِصَل) ردَّ على الذين اشترطوا هذا الشرط؛ الذين يوجبون الاستدلال العقلي، قال: عشنا ونعيش هذا أعمارًا والناس تموت، ولا زلنا حتى الآن، ولا استدللنا هذا الاستدلال الذي يقولون به، ونحن نقر ونوقن الحمد لله، ومؤمنون بالفطرة بالله سبحانه، ونؤمن بهذا الدين ولا نشك فيه. يعني اشترطوا أشياء، ما أنزل الله بها من سلطان.

وهناك أيضًا (محمد بن شبيب)، فرقة ثامنة من أصحاب محمد، الذين يزعمون أن الإيمان الإقرار. لاحظ كلهم يقولون: الإيمان معرفة الله والإقرار به؛ أحيانًا بعضهم يزيد، يُدخل لفظًا آخر أو مصطلحًا آخر، وهو الإقرار بدل المعرفة، ومنهم من يزيد التصديق، لاحظ كلهم لا علاقة لهم بالعمل نهائيًا.

سأعطيكم مثالًا على خطورة هذا الكلام، حتى نختم به وتفهموا وتستوعبوا.

من هذه الفرق من قالوا: "إن الخضوع لله هو ترك الاستكبار"، زعموا أن إبليس، -لاحظ وصل الأمر لإبليس!-، قد عرف الله -سبحانه وتعالى-، وأقرَّ به، إنما كان كافرًا، لماذا؟ لأنه استكبر، ولولا استكباره لما كان كافرًا، وأن الإيمان يتبعَّض ويتفاضل أهله، وأن الخصلة من الإيمان قد تكون طاعة.

فرقة مصيبة أخرى، في مناظرة حدثت في مكة، بين واحد مرجئ كما ذكرها الإمام أبي الحسن الأشعري؛ ذكر: أن أحد العلماء قابل أحد العلماء الكبار من المرجئة، انظروا وصلت الخطورة لأي مدى!، فقال له: أخبرني عمَّن يزعم إن الله -سبحانه وتعالى- حرّم أكل الخنزير غير أنه لا يدري، لعل الخنزير الذي حرمه الله، ليس هو هذه العين. يعني ليست هي هذه الخنازير التي نعرفها الآن، خنزير آخر!، قال هذا: "أنا لا أعرف ذلك"، يزعم أن الله —سبحانه وتعالى- حرم أكل الخنزير، لكنه لا يدري، فقال: أهو مؤمن؟ قال: مؤمن.

طيب نعطيكم الأقوى منها، فقال له: هذا الرجل هو أبو عثمان الأدْمِي. قال أبو عمر: "فإنه قد زعم إن الله قد فرض الحج إلى الكعبة، غير أنه لا يدري لعلها كعبةٌ أخرى"!.

(القاديانية) فرقة قاديان: التي هي اختراع الإنجليز في القرن الماضي، ماذا فعلوا؟ جعلوا (قاديان) أم القرى، وقالوا عنها مكة، وعملوا لهم كعبة أيضًا، وكان القاديانية مع بعض الفرق الضالة الإنجليز، الذين كانوا يريدون أن يحجوا؛ قالوا: تُتعبوا أنفسكم، واللصوص، والطرق، والبحر، والباخرة، والأشياء، ولماذا تتعبوا كما في القديم؟ ابنوا لكم كعبة، وطوفوا حولها، وخلصت المسألة. قالوا: إن هذا لا يدري أن هذه الكعبة هي الكعبة، يعني يمكن كعبة أخرى، قال: "هو مؤمن". الطامة إن هذا العالم يقال له: "هو مؤمن"!.

اسمع الأسوأ: "زعم أن الله قد بعث محمدًا ﷺ، غير أنه لا يدري لعله هو هذا الزنجي"، واحد زنجي ظهر في البصرة، محمد بن علي، أعوذ بالله، تخيل! ليس الرسول، لعله واحد آخر، لعله هذا الزنجي، يعني هو يؤمن أن الله بعث رسولًا

اسمه محمدًا، ولكن يمكن هو (محمد بن علي) هذا الزنجي الذي ظهر بالبصرة، تخيل ماذا قال له! هذا كفر، الذي يشك في هذا يكفر أصلًا، ورغم ذلك قال له: هو مؤمن، لماذا؟ لأن عنده المسألة لا تتعدى إلا المعرفة فقط، يعني أن أعرف أن الله أرسل رسلًا فقط، إن الله أرسل رسولًا اسمه محمد، لا يهم محمد مَن؟ محمد علي، محمود، المهم أن اسمه محمدًا.

المسألة وصلت لهذا العبث، وضلال مبين وكفر؛ في أشد من هذا؟ يقول الكعبة ليست هي الكعبة! الرسول ليس هو الرسول! الخنزير ليس هو الخنزير، خنزير آخر! ماذا يدريني أنه ليس خنزير آخر؟ ماذا يدريني لعلها كعبة أخرى؟ وما يدريني لعله رسول آخر؟

هذا هو ثمرة الخلاف، حتى في مسمى الإيمان؛ لاحظوا الخلاف وصل في ماذا؟ إذًا المسألة عندما نتكلم في الخلاف في مسمى الإيمان، ليست المسألة مسألة عبثية، أو نوعًا من الترف الفكري أو التاريخي؛ لاحظنا هذا موجود، وقال به هؤلاء القائلون.

ووصل الأمر وحتى ذكرها الشهرستاني وغيره: أن من يسجد لصنم لا يكفرونه، يقولون: لا لا يكفر. هناك فرقة قالت: من قتل نبيًا أو لطمه فقال: لا يكفر، تخيل! من لطم نبيًا أو قتل نبيًا لا يكفر! هذا هو الأثر، تخيل وصل الأمر لهذا، وقال أبو معاذ: "يزعم أن من قتل نبيًا أو لطمه كفر، وليس من أجل اللطمة والقتل كفر؛ ولكن من أجل الاستخفاف"، أعوذ بالله! يعني لو قتله لهو ليس كافرًا لأنه قتله، ولطم النبي يعني صفعه على وجهه مثلًا، ليس كفرًا، الرجل كفر، ليس لأنه قتله، وليس لأنه لطمه؛ ولكن لأنه استخف به، انظر! أعوذ بالله، هذا كافرٌ بالجميع ظاهرًا وباطنًا.

مجرد الاستهزاء بالنبي، مجرد القتل في حد ذاته، هذا يكفر به، مجرد اللطم في حد ذاته يكفر به؛ ولذلك قالوا: "الذي يسجد لصنم ليس كافرًا في الصورة، ولكن قد يكون أثرًا في قلبه، أنه لا يفعله المسلم أو المؤمن"؛ هو مجرد سجوده للصنم كفر، وهذا لا علاقة له بقلبه، قلبه ظاهرًا وباطنًا كافر، هذا قاله أحد مشايخ السلفية يا جماعة! قالها أيامنا هذه، لا أريد أن أتعبكم، وأشق عليكم بأسماء تعظمونها؛ قالوا هكذا علانية، موجودة في اليوتيوب ومكتوبة، ويبررون هذه الأفعال الشنيعة، لهؤلاء المجرمين، الذين يعتدون على الإسلام والمسلمين، قال لك: لو سجد لصنم، رأيت واحدًا يسجد لصنم بهذه الصورة، قال: لا بد أن أسأله؛ الفعل في ذاته هو فعل كفر، لكنه ليس كافرًا من أتى به، كيف

هذا؟! واحد يسجد لصنم، الفعل كفر في الصورة، لكنه ليس كافرًا، ولابد أسأله وأفتشه! يا أخي الكريم بارك الله فيك لماذا تسجد للصنم؟ لماذا تسجد لبوذا؟ لما تسجد لهذه الحجارة! يقول لك: قد يقول لي رأي مثلًا!! وهذه مجرد العملية، هو كافر صوتًا وصورة، لحمًا وشحمًا.

أحد الحاضرين: يقصد الشيخ يكفر بمجرد الفعل؟

الشيخ: مجرد الفعل يكفر، مجرد الاستهزاء يكفر، اسمعوا القرآن ماذا يقول: كانوا يستهزؤون في سورة براءة، كانوا يجلسون جلسة، لو حكيناها أيامنا، الناس تستهزئ أعوذ بالله!! الله سبحانه أنزل في شأن المنافقين، الذين استهزؤوا قال: لأنهم آمنوا، كانوا مؤمنين في الظاهر، يعني {قُلْ أَبِاللَّهِ} جاءوا يعتذرون للرسول ﷺ: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ*لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}؛ إذًا الله –سبحانه وتعالى– سماهم كفارًا، هل فتشنا عن قلوبهم؟

هناك شيء اسمه القصد، لا يُشترط القصد في كل شيء تفتش عنه، هناك أشياء لا تحتاج إلى القصد، مثل الذي يقول لامرأته أنتِ طالق، هل نقول له: ماذا تقصد؟ هل كنت تقصد تطلقها؟ هذا سؤال عبثي، هو قال لها أنتِ طالق. هي تطلق بمجرد أن يقول لها هذا اللفظ، انتهى الأمر، هو يعلم، واحد يتكلم عربي يقول لها: أنتِ طالق.

ولذلك الرسول ﷺ، حتى يقضي على هذا، قال: (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد؛ الزواج والعتاق والطلاق)؛ مجرد تتلفظ اللفظة انتهى، لا تحتاج إلى القصد، مجرد صورة الفعل، واحد يسجد لصنم –أعوذ بالله–، تقول له الفعل فعل كفر، طيب والسارق؟ نقول ماذا؟ نقول الفعل فعل سرقة صح؟ طيب والشخص نسميه ماذا؟ سارق. واحد أمسكناه متلبسًا بالزنى، العملية هذه اسمها ماذا؟ زنى فعل زنى، والشخص الفاعل؟ نسميه ماذا؟ زانٍ، فاعل، طيب الذي يسجد لصنم، فعل أو لم يفعل؟

أحد الحاضرين: هذا فعل تعبدي يا شيخ.

الشيخ: تعبدي أو شهوة هذا كفر، تعرف أنك تحضر هذه المحاضرات لماذا؟ لأصحح لك ما عندك.

السائل: مسألة ارتكاب نهي، أما مسألة السجود لصنم، هذا نوع من العبادة والتعبد.

الشيخ: هذه التقسيمات ما أنزل الله بها من سلطان، دعك من الكلام هذا، أعيد لك البناء العقلي، لماذا تجلس هنا؟ حتى نعيد البناء العقلي، ونقول ما هو سبب المشكلة؟ لأن هؤلاء يعتبرون العمل شرطًا مكمّلًا، ليس ركنًا، هذا هو

السبب يا أخي الكريم! أنا أعرف القصص الخاصة بهم، وحججهم، وعلى فكرة هم مشايخ كبار، سبب المشكلة عندهم أو أصل المشكلة عندهم الخوف، هم قرأوا ويعرفون ولكن سبب المشكلة هو الخوف من الحكام، ولذلك أدخلوا التلبيسات هذه، ولكن لأنهم دخلوا فغالوا فضيعوا.

ولذلك سأعطيك مثالًا، هذا الكلام الذي أقوله ليس من عندي، هذا الكلام ذكره الأئمة الكبار؛ ابن تيمية وغيره، لكن لا أريد أن أشق عليكم.

هذه الأمثلة؛ قالوا من يسجد لصنم، من بال على المصحف، هل هناك أكثر من هذا؟ قالوا: من بصق في وجه نبي أو في القرآن، قالوا: هذا لا يكفر بهذا الفعل، فربما يكون مؤمنًا في قلبه، ولكن الفعل هذا صورة، فأنا لا أكفّره به؛ لأنني لا أعرف قلبه ماذا يريد ربما إن قلبه مؤمن. أعوذ بالله!!

أبسطها لك، لو تضع المصحف تحت قدمك الآن ماذا ستقول؟ كافر أو ليس كافر؟

أحد الحاضرين: لا يجوز.

الشيخ: ليس لا يجوز، كافر أو ليس كافر؟ تضع المصحف؟

أحد الحاضرين: لا يجوز.

الشيخ: لا يجوز؟ طيب أنا أقول لك؛ لا يجوز أن آكل الشكولاتة لأنها تتعب أسناني، لا يجوز لها درجات في الشرع، لكني أتكلم على الكفر والإيمان الآن، واحد يبول على المصحف، يمزق المصحف، ماذا أقول؟ هو مؤمن في الداخل، فعله فعل كفري، طيب في النهاية هو ماذا؟ حل لي اللغز، كفر ولا ليس كافر؟

أحد الحاضرين: الصحابي الذي كانت زوجته تريد تطعن النبي ﷺ وقتلها.

الشيخ: هو لم يسألها، هو لم يستفصل الآن، هذه مسألة أخرى في تطبيق الحكم الشرعي؛ هو ممكن يقتل، وممكن يقيم الحد، ولا يشترط أن يستفصل في مثل هذه الأمور.

أنا أعطيكم أمثلة فقط، حتى أقرأ لكم -إن شاء الله-. بعض الإخوة ضحايا؛ هل تعرف سبب عقد هذه الدورة؟ سبب عقد هذه المحاضرات، هذه الدورة أصلًا سببها أن بعض الشباب الأعاجم، جاءوني السنة الماضية، من منطقة

(وورلج)، ومنطقة (ولتشر)، وهم أعاجم لا يتكلمون العربية، وسألوني إن هناك بعض المداخلة الذين جيء بهم من السعودية، وهؤلاء يهتدون بالهدي الظاهر، ويتمسكون بالمنظر هكذا، ولكنهم يثيرون هذه الشبهات، ويثيرون الأراجيف، ويكتبون التقارير هنا؛ للاستخبارات البريطانية (اسكتلاند يارد، ولمايفيف)، يكتبون التقارير ضد هؤلاء الشباب.

باعتبار إن هؤلاء الإنجليز أولياء أمر: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ}، يناقشون الأعاجم المساكين هؤلاء الشباب. ثانيًا: يقولون لهم: لا يوجد مسائل العمل، هذا شرط مكمل، أحسنهم من يقول ذلك؛ وينقلون لهم شبهات لبعض مشايخهم، هناك من صناعة الاستخبارات. الذي صنع الجامية والمداخلة هي المخابرات السعودية؛ فلا نضحك على أنفسنا، هم الذين نشروا هذه الشبهات، على مستوى العالم الآن وأخذوها؛ لكن أصل هذه الشبهة جاءت من المرجئة، نحن نتكلم عن أصل الموضوع؛ فلذلك قلت لهم: لا بأس -إن شاء الله- نعمل لهم، وفعلًا خصصت لهم دورةً.

الحمد لله شرحت لهم الكتابين، وقلت لهم: دعكم من الرد على الشبهات شبهة شبهة؛ لأن طريقة الرد على الشبهات شبهة شبهة تتعبك كثيرًا؛ لأن الشبهات لا تنتهي، ولكن أعيدوا بناءكم العقدي، وتعلَّم أصل دينك، وتعلَّم ما هي المشكلة. قلت لهم: لا أدرس لكم لا العقيدة الطحاوية ولا غيره، العقيدة الطحاوية ممكن تأخذها من أي أحد؛ ولكن سنأتي على المسائل الخطيرة في الدين، وهي مسألة الإيمان، الشبهات جاءت في موضوع تعريف الإيمان، ومسائل الإيمان، وأركان الإيمان، والفرق، وسبب المشكلة؛ لو تعلمتم ذلك، ستستطيعون أن تحصّنوا أنفسكم أولًا، ثم تردون على هذه الشبهات بدون أن نحتاج أن نجلس؛ هو يقول شبهة، وأنا أرد عليها، نحن نبني بناءنا العقدي، ثم بعد ذلك هذه الشبهات تأتي، والعلماء ردوا عليها قديمًا؛ معظم هذه الشبهات —صدقوني- ذكرها ابن تيمية -رحمة الله عليه-، هؤلاء الذين تحتج بهم، يحتجون بابن تيمية ويعظمونه، ويعظمون ابن القيم، ويعظمون ابن رجب الحنبلي، ويعظمون هؤلاء العلماء الأكابر، الآجرّي وغيره؛ للعلم هم يعظمونهم، ورغم ذلك يخالفونهم، سبحان الله! هو يقول ضد تعريفاتهم للإيمان.

والإمام الآجرّي يقول كلامًا شديدًا جدًا، هو يقول: "الذي لا يؤمن بالثلاثة"؛ اسأل أي شيخ سلفي، الآن في أيامنا، من هؤلاء السلفية المعينين؟ أنا لا أعمم السلفية، لا أقصد أسيء إليهم، أنا أقصد سلفية معينة؛ اسألوا عن العمل، هل

هو ركن أم شرط كمال؟ سيقول لك: شرط كمال، ولن يقول لك: ركن. طيب الذي لا يأتي بجنس العمل، ماذا حاله؟ سيقول لك: يدخل الجنة، وسيقول لك: حديث البطاقة، وسيعطيك شبهات، وسأرد عليك، وعلى حديث البطاقة، وشهادة لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله؛ كل هذه الشبهات، -إن شاء الله- سأرد عليها؛ لأن هذا الكلام عبث أخذوه، نبشوا في كتب أصحاب البدع، وصدروها لنا؛ ولكن الحمد لله، نحن -يعني أهل السنة- لهم بالمرصاد.

ولذلك لماذا اعتمدنا على كتابي ابن تيمية (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط)؟ حتى لا يتقوَّل أحد أننا نأخذ من أي أحدٍ آخر؛ يعني الذي تعترفون به، الأئمة الذين تقرّون بهم وتعظمونهم، نحن نحترمهم أيضًا، فهذا ما أردناه، نأخذ كلامًا من هؤلاء الأئمة؛ الإمام الآجرّي، إمام من أئمة أهل الشرع، هؤلاء الأئمة الكبار، إمامنا الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، والإمام أبو عبيد القاسم بن سلّام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، هذا الإمام شيخ البخاري، شيخ الشيوخ، من أعظم العلماء، كتابه (الإيمان) ابن تيمية أخذ كلامًا كثيرًا من بداية الكتاب؛ لو قرأت لكم كلامه هو، يرد على كل هذه الفرق، ويؤكد أن العمل ركن، وابن تيمية أخذ معظم هذا الكلام، من الشيخ البخاري نفسه.

الإمام ابن معين، والإمام إسحاق بن رهاويه يقول: "أشهد الله -سبحانه وتعالى- أنه أفقه وأعلم مني"، وإسحاق بن رهاويه فحل من فحول الإسلام، علم، صيارفة الإسلام الكبار؛ أبو زُرعة الرازي، والإمام البخاري، وابن أبي حاتم، والرازي، وأبو القاسم، والأئمة الكبار؛ هؤلاء هم الذين كتبوا في (الإيمان)، والذين لم يحضروني، ذكرت كُتب في الإيمان كتب كثيرة؛ القاضي أبو يعلى الحنبلي، توفي سنة ٤٥٨هـ؛ قاضي الحنابلة، علم من علماء الحنابلة الكبار، لا يستطيع أي حنبلي في الدنيا، الذي يقرأ في الفقه الحنبلي تكاد تكون لا تخلو مسألة، إلا وللقاضي إذا قيل (القاضي) هكذا قديمًا، يقصدون القاضي أبي يعلى؛ كتب كتاب (مسائل الإيمان)، كتب نفس العنوان، الذي أخذته هذا (مسائل الإيمان)، وأخذها ابن تيمية ونقلها أيضًا.

إذًا نحن نتكلم عن جيل الصحابة وعن القرآن، وأنا لا يهمني فلان أو علان، نتكلم الآن بقال الله وقال الرسول بالأدلة؛ الإمام الآجري يذكر لك ستة وخمسين موضعًا لا يُذكر فيها الإيمان إلا بالعمل، ثم يأتي هؤلاء، ويقول لك العمل شرط كمال!، يعني حِلية، ديكور، زينة، هو معناه ذلك. لذلك اسجد لصنم، احكم بغير ما أنزل الله، سبب، الموضوع ليس قصة السجود لصنم، سببها الحكم بغير ما أنزل الله، هذا هو اللف والدوران؛ لماذا؟ يقولك: عامل

أصنام، عذرًا المسألة هذا كشرط كمال، لا يا حبيبي! العمل هنا ركن، إذا مات ولم يعمل جنس العمل فإنه لا يكون مؤمنًا، لا يُسمى مؤمنًا.

لكن جنس العمل ماذا يعني؟ واحد ليس عنده وقت في حياته أبدًا، لا نتكلم عن الذي يُصلي ويقطع ويفعل، لا تفهموا هذا، نحن نتكلم على الذي لا يُصلي إطلاقًا، لا يؤدي العمل إطلاقًا، هم يقولون: هؤلاء أصحاب المدارس السلفية الحديثة والفضائيات، يقولون: من ترك جنس العمل، ولم يركع لله ركعة، لم يسجد لله سجدة واحدة، فهو مؤمن. كيف هذا؟! طيب دعك مني أنا، رد على هؤلاء الأئمة، رد على هذه الآيات القرآنية.

إن شاء الله في الدرس القادم سنستكمل هذه المباحث، ونتكلم عن ثمرات الخلاف في هذه المسائل. أنا أعرف أن بعض الأشياء نقولها تصطدم مع بعض الآراء، وتصطدم مع بعض آراء الآباء والشيوخ، وبعض التعليمات والمدارس التي تعلمنا فيها؛ نعم، أنا أعلم ذلك، ولكن هذا هو ديننا، نحن نعبد الله -سبحانه وتعالى- كما يريد هو، لا كما تريد شخوصنا؛ ولذلك إذا رأى الشيخ أو الداعية رأيًا خطأً، فإنه يُعلن توبته، ويقول: أنا أخطأت في هذا، ويرجع إلى الله، ولذلك ما في أحد معصوم في هذه المسائل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}.

أنا لا أتعصب لأبي ولا لجدي ولا غيره، إذا كان كل واحدٍ يؤخذ منه ويُردّ إلا الرسول ﷺ معصوم، قال الله، قال الرسول؛ أما قال الشيخ، وأخطأ ولم يستدل خلاص، لكن يجتهد في مسألة، لا يوجد فيها دليل، يجتهد في مسألة ليس له فيها أصالة من علم؛ نعم، كما قال الإمام الشافعي: "إذا رأيتم كلامي يخالف كلام رسول الله ﷺ، فاضربوا به عرض الحائط"؛ الإمام الشافعي يقول هذا، والأئمة الكبار يقولون هذا، وسيدنا عبد الله بن عباس يقول: "ثكلتكم أمهاتكم، أنزل الله عليكم حجارة من السماء؛ أقول لكم قال الله، قال الرسول، وتقولون لي: قال أبوبكر وقال عمر؟!".

تخيل! أبو بكر وعمر الخلفاء المهديين الراشدين، الرسول ﷺ أمر بالاقتداء بهم، ورغم ذلك قال لهم: أقول لكم قال الله، قال الرسول؛ تقولون إن أبو بكر قال! هذا عبد الله بن عباس يقول هذا، يقول نزلت عليك حجارةً من السماء، كيف تخالفون؟! يقول لك: (أصل الشيخ)؛ الناس -أعوذ بالله- صارت تعبد المشايخ!، أكثر من: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}؛ قالوا: ما نعبدهم يا رسول الله، قال: (فتلك عبادتهم، ألم يُحلوا لكم الحرام، ويحرمون

عليكم الحلال)؛ إذًا طاعة الشيخ في معصية الله هي عبادة؛ ولذلك الذين يتعصبون لهؤلاء المشايخ هم يعبدونهم من دون الله، من دون علم، وبدون إن يدروا، لماذا؟ لأنهم يطيعونهم، العبادة هي الطاعة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يتغمدنا برحمته، اللهم إنا عبيدك، أبناء عبيدك نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حُكمك، عدلٌ فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء همنا، وذهاب غمنا وحزننا، ذكرنا منه ما نُسّينا، وارزقنا حسن تلاوته، آناء الليل وأطراف النهار لعلك ترضى.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وتول أمرنا؛ اللهم فقهنا في الدين، وعلمنا ما ينفعنا يا رب العالمين، واجعل كلامنا خالصًا لوجهك الكريم، يا رب العالمين؛ اللهم أذهب عنا النفاق، والرياء، وسوء الأخلاق يا رب العالمين؛ اللهم أبعد عنا النفاق، والشقاق، وسوء الأخلاق يا رب العالمين، اللهم لا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا، اللهم آمين، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدرس الثالث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

الإخوة المكرمون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نحن اليوم في اليوم الثامن عشر، من شهر ذي القعدة، لسنة ١٤٣٢، من الهجرة النبوية المباركة؛ ونحن أيضًا مع (الدرس الثالث)، من دورةٍ شرعية بعنوان (مسائل في الإيمان).

في الدرس السابق استعرضنا معكم أنموذجًا من بعض فِرَق المرجئة، وأقوال بعض هذه الفِرَق، سنختار بعد ذلك –إن شاء الله– الرد التفصيلي لنرد على المرجئة على العموم، ثم نختار فرقة الأشاعرة؛ لأنها عمليًا موجودة ومنتشرة في العالم الإسلامي الآن، وأيضًا الماتريدية سنتكلم عنهم، ونتكلم عن العلاقة بين الماتريدية والأشاعرة، وما الفرق بينهما؟

لكن اليوم: سنحاول أن نستعرض معكم، كما قلت لكم في البداية، نتكلم أصلًا للتثبيت، تعريف الإيمان عند أهل السنة. في الدرس الماضي قرأتُ لكم نصًا من كلام الإمام الآجري، المتوفى سنة ثلاثمئة وستين هجريًا، في كتابه (الشريعة). واليوم أيضًا نستأنس حتى تثبت المعلومة، ويثبت تعريف أهل السنة للإيمان عندكم؛ لأننا سنتكلم اليوم أيضًا عن الإيمان، عن **أقوى شبهة عند المرجئة: أنهم عرفوا الإيمان بالتعريف اللغوي**، حسب اللغة العربية فقط، وهذه هي سبب الشبهة. وسبب المشكلة؛ أنهم عرفوا الإيمان بالتعريف اللغوي، بمعنى التصديق اللغوي فقط، وهذا الذي رد عليه الأئمة الكبار؛ مثل: الإمام الآجري من قبل، والإمام ابن سلّام، وابن بطة، وهؤلاء جميعًا سنستعرض لكم بعض نصوصهم، الذين عَرّفوا الإيمان.

• الرد على شبهة تعريف الإيمان بالمعنى اللغوي عند المرجئة

فسأستعرض شبهة اللغة، وبعض الأشياء المتعلقة بمسألة الإيمان.

يقول الإمام أبو عبد الله ابن بطة –رحمه الله–، في كتابه (الإبانة الصغرى) يلقبه هكذا، ولكن هو الأصل في عنوان: (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة)؛ هو توفي سنة ٣٧١ هجريًا، يعني قبل ابن تيمية بحوالي أربعة قرون، قلنا لكم أن شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة سبعمائة وثمانية وعشرين؛ إذًا نحن نستعرض الآن الأئمة، الذين قبل ابن تيمية، حتى لا يقول أحد أن ابن تيمية –رحمه الله– اخترع لنا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لا، هو حرّر عقيدة أهل السنة والجماعة، وبيّن النقاء في هذه العقيدة، وفنّد شبه الفرق الأخرى.

قد يقول قائل: لماذا لم يذكر مثلًا هؤلاء الأئمة في مسائل الإيمان مسألة الشيعة مثلًا؟ لأنهم يعتبرون الشيعة لا علاقة لهم بفِرَق أهل السنة، ونحن نتكلم اليوم عن الفرق المحسوبة على أهل السنة، يعني عامةً، رُغم أن مصطلح أهل السنة له تعريف خاص، لكن الشيعة في الإيمان يناقضون كل هذه الفِرَق، فلا علاقة للشيعة بهذه الفِرق؛ لأن الإيمان عند الشيعة يختلف عن كل هذه الفِرَق، حتى كل الفِرَق الاثني عشر التي عدها الإمام الباقلاني، والإمام أبو الحسن الأشعري، وأصحاب الفِرَق البغدادي وغيره.

الشيعة في الإيمان إذا لم تؤمن بالاثني عشر إمامًا، يعني بإمامة علي بن أبي طالب وأنه أولى، وهذا ركن عندهم من الإيمان؛ فأنتَ كافر، أنتَ مخلد في النار. إذًا لا نحتاج أن نتكلم عن المشاكل التي بيننا وبينهم، إذًا أنتَ تتفق معهم في جزء وتختلف معهم في أجزاء؛ لأن هؤلاء المرجئة لم يكفروا أهل السنة بإطلاق هكذا؛ لأن فيهم الغلاة وهناك تقسيمات، لكن الشيعة لا علاقة لهم، هم لا يعترفون أصلًا بأركان الإسلام الخمسة، أو أركان الإيمان عندهم لا تهم؛ المهم عندهم أن تؤمن بولاية علي وأنه أولى، وأن الخلفاء هؤلاء اغتصبوا الخلافة منه، حتى الاثني عشرية أو الفرق الأخرى؛ فكل هؤلاء يدندنون حول هذا الموضوع.

يقول الإمام ابن بطة أبو عبد الله: "فأول ما نبدأ بذكره من ذلك ذكر ما افترض الله –عز وجل– على عباده، وبعث به رسوله ﷺ، وأنزل فيه كتابه؛ وهو الإيمان بالله –عز وجل–، ومعناه: التصديق بما قاله وأمر به، وافترضه ونهى عنه، من كل ما جاءت به الرسل من عنده، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين، فقال –عز وجل–: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}؛ والتصديق بذلك: قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجَنان،

وعملٌ بالأركان...". نكره مرةً أخرى حتى تحفظوه، سنظل نكرر هذا الموضوع للثلاثة أركان، حتى تحفظوه عن ظهر قلب.

قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة، المتوفى سنة ثلاثمئة وواحد وسبعين هجريًا، في كتابه (الإبانة الصغرى) أو (الشرح والإبانة): "والتصديق بذلك: قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجَنان، وعملٌ بالأركان". وبالجَنان يعني: بالقلب؛ إذًا الثلاثة التي قالها الآجري وغيره، هذه ثلاثة أركان، لا نستطيع أن نصف مؤمنًا، إذا أقر باللسان فقط ونفى العمل، أو نفى القلب أو العكس.

ويقول: "يزيده كثرة العمل، -أي: يزيد الإيمان بكثرة العمل- والقول بالإحسان، ويُنقصه العصيان، -أي: يُنقص الإيمان، يعني الإيمان يزيد وينقص- وله أولٌ وبداية، ثم ارتقاءٌ وزيادةٌ بلا نهاية"، لماذا يقول أولٌ وبداية؟ لأن كل الذين قالوا من المرجئة، الإيمان هو التصديق بالقلب أو بالإقرار فقط؛ معناه أنه لا يزيد ولا ينقص، ثابتٌ لا يتحرك؛ فيكون له أول، وممكن يكون الإيمان ضعيفًا، يبدأ يكبر هكذا بلا نهاية؛ يعني كلما تزيد من الخيرات يزداد إيمانك.

قال الله -عز وجل-: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ **فَزَادَهُمْ إِيمَانًا** وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}، وقال -عز وجل-: {**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**}؛ إذًا الإيمان يزيد وينقص، هذا عكس المرجئة، وعكس الجهمية، وعكس هؤلاء الفرق الذين قالوا: أن الإيمان لا يزيد أصلًا ولا ينقص؛ لأنه ثابتٌ عندهم. وقال تبارك وتعالى: {**لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا** مَعَ إِيمَانِهِمْ}.

وقال معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، الصحابي يقول لأحد أصحابه: "اجلس بنا نؤمن ساعةً"؛ يعني: نذكر الله فنزداد إيمانًا، وكل شيءٍ يزيد فهو ينقص؛ لأن بعض فِرَق المرجئة قالوا ماذا؟ أحدهم قال: الإيمان يزيد ولكن لا ينقص، وبعضهم فعل العكس. لا؛ كل شيء يزيد ينقص، هذا اعتقاد أهل السنة.

ولذلك يقول الإمام أبو عبد الله ابن بطة: "كذا كان يقول عبد الله بن مسعود، وبه أخذت العلماء من بعده؛ مثل علقمة، والأسود، وأبي وائل، ومسروق، ومنصور، ومغيرة، وإبراهيم النخعي، والأعمش، وحماد بن زيد، ويزيد بن زُريع، وبشر بن المفضل، ومعاذ بن معاذ، وسفيان بن حبيب، وسفيان الثوري، وابن المبارك، والفضيل بن عياض، وفي جماعة سواهم، يطول الكتاب بذكرهم"؛ يعني كثير جدًا هذا هو اعتقادهم، يعني: قولٌ وعملٌ واعتقادٌ في القلب، هذا هو الذي قاله الإمام ابن بطة.

ثم سنتكلم بعد ذلك عن: ثمرات الخلاف في هذه المسألة.

لكن حثَّ القاضي أبو يعلى في كتابه (مسائل الإيمان) -على اسم هذه الدورة- هو الإمام القاضي، قاضٍ حنبلي كبير، توفي سنة أربعمائة وثمانية وخمسين هجريًا، يقول في كتابه؛ هو يناقش مثل ما نناقش نحن، هو كتب الكتاب كمسألة على سؤال، يقول: "الحمد لله وبه نستعين، والصلاة على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه وسلم؛ سألتموني أحسن الله توفيقكم، عن مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- في حقيقة الإيمان ما هو؟ وهل ورد الشرع بنقله؟ وقلبه عما كان عليه في اللغة؟ -يقصد الرد على المرجئة، الذين قالوا: الإيمان هو التصديق في اللغة فقط- . وهل الفاسق الملّي -المنتسب للملّة- يُسمى مؤمنًا؟ وهل يجوز عليه الزيادة والنقصان أم لا؟ -أي: الإيمان يزيد وينقص أم لا؟-، وهل يتساوى إيمان جميع المكلفين؟".

المرجئة والجهمية يقولون: إيمان المكلفين كلهم سواء، أي: أن إيمانك أنت مثل إيمان أبي بكر الصديق، مثل إيمان الرسول ﷺ، مثل إيمان جبريل، كل الناس سواء؛ لأن التعريف عندهم الإيمان بالمعنى اللغوي فقط، يعني أنا مصدق بأن الله هو الخالق الرازق، الذي أرسل الرسول؛ إذًا خلاص لا يهم. الرسول مؤمن بذلك وجبريل مؤمن بذلك، وكلنا سواء!. وهذا قولٌ باطل، لأنهم يخرجون العمل، كيف يتساوى إيماني معهم؟ هل عملي أنا مثل عمل أبي بكر؟ مثل عمل الرسول ﷺ؟ مثل عمل جبريل؟ كيف هذا؟! لا يدخل في عقل العقلاء؛ وهذه شبهة خطيرة جدًا لهؤلاء.

وهو يقول ذلك، نقل كلام ابن بطة في حقيقة الإيمان، وقال: "الأصل الوضع اللغوي، الذي وضع فيه الإيمان، الإيمان بمعنى تصديق القلب، المتضمن للعلم بالمصدق به، حدّه في الشرع:هو جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، فالباطنة أعمال القلب، وهو تصديق القلب، والظاهرة: هو أفعال البدن، الواجبات والمندوبات، وقد نصّ أحمد على هذا في مواضع". ثم نقل كلام الإمام أحمد بعد ذلك.

لكن هؤلاء لا يعترفون بالأعمال الظاهرة، ولا حتى أعمال القلوب، المرجئة أو الجهمية لا يعتبرون أن القلب له عمل؛ يعني يخاف، يحزن، يحب، يوالي، يخشع، لا يعترفون بذلك.

لكن بعض المرجئة حاولوا يعالجوا هذه، وقالوا: نعم، القلب قد يكون له عمل، لكن هذه مسألة أثريَّة؛ يعني أثر من الإيمان، لكن لا يعترف بالعمل؛ اعترفوا بعمل القلوب نتيجة النصوص الشديدة، لكن معظم الجهمية والكرّامية طبعًا لم يعترفوا.

لكن نستأنس أيضًا بقول الإمام الحافظ، حافظ المغرب والمشرق، الإمام العظيم ابن عبد البر، توفي سنة أربعمائة وثلاثة وستين هجريًا تقريبًا، صاحب كتاب (التمهيد والاستذكار)؛ هذا فحل من فحول الإسلام، فالإمام ابن عبد البر في كتابه (التمهيد) يقول: "أجمع أهل الفقه والحديث، على أن الإيمان قولٌ وعملٌ، ولا عمل إلا بالنية –النية يقصد القلب–، فلا بد من الثلاثة؛ والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذُكر عن أبي حنيفة وأصحابه: فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تُسمى إيمانًا"؛ هذه مسألة أخرى، سنتكلم عن مرجئة الفقهاء في هذا الموضوع فيما بعد؛ لنثبّت المعلومة، أن الذي نقوله ليس بدعًا ولا أقوال شاذة، هذا كلام أهل السنة الكبار، وهذا الكلام منسوب إلى الصحابة؛ هذه آيات الله، أن الإيمان قولٌ، وعملٌ، وتصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ بالقلب، أو تصديقٌ مخصوص، هذا هو الذي نقوله.

ألخص لكم المسألة كالآتي: قلنا هناك فرقتان؛ يجب أن نعلم هذا، فرقتان مقابلتان لبعضهما البعض، لا يجتمعان، الجهمية والكرّامية، الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، ماذا قالوا في الإيمان؟ حتى نبسط المسألة في موضوع المرجئة.

الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين) عدَّ الجهمية من ضمن فرق المرجئة؛ لأنهم يتفقون معهم في أشياء. لكن الجهمية يعتبرون الإيمان هو ماذا؟ هو المعرفة القلبية فقط، لا يعترفون بالقول باللسان، ولا يعترفون بالأعمال أصلًا، ولذلك لا يعترفون بالصلوات، ولا من يخالف هذه الأعمال، لا علاقة لها بالإيمان عندهم؛ المهم أن تؤمن، لذلك غلاتهم وصفوا إبليس بأنه مؤمن، لماذا؟ لأنه يعرف ربه: {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}؛ إذًا هو يعرف ربه، فإبليس مؤمن في نظرهم؛ لكنه في الأثر استكبر، وغيره مسائل أخرى. لذلك وصفوه بهذا، ولهذا لم يصفه به أحد، لماذا؟ لأنهم اعتمدوا على التعريف اللغوي؛ الذي هو الإيمان بمعنى التصديق فقط، كأنه يقول: أنا أصدق أن الله تعالى هو الخالق، والذي أرسل الرسل وخلاص انتهى، في قلبه فقط؛ لذلك لا يشترط الجهمية أن تتكلم بلسانك، ولا حتى يشترطون أنك تشهد (أن لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله) أصلًا.

عكس هذه الفرقة، فرقة في مقابل الجهمية، طبعًا هم لهم أصول وأشياء كثيرة، أنا فقط أختار مسألة متعلقة بموضوع الإيمان، لهم أشياء في الأسماء والصفات، وينكرون صفات الله سبحانه؛ أرادوا أن يُنزهوا الله فعبدوا معدمًا، قالوا: الله –سبحانه وتعالى– لم يُكلم موسى تكليمًا، هذه أسماء مجوفة؛ حين نقول: (الله الحي القيوم)، قالوا: عبارة عن مصطلحات جوفاء، حي ليس بحياة، كل الصفات نزعوها من الله –سبحانه وتعالى–، بزعم التنزيه!

لذلك وصفهم أهل السنة، (أنهم عبدوا معدومًا)، أين الرب الذي لا يتكلم؟ قالوا: الله ليس حيًا، الله ليس مريدًا، ليس كذا، ليس كذا، صفات السلب كلها؛ ليست المسألة في قضية تعريف الإيمان فقط، لهم طامات أخرى.

هؤلاء تلاميذ الجعد بن درهم؛ أول من قال بخلق القرآن، قتله أحد ولاة بني أمية، سنة ثلاثمئة وخمسة هجريًا، على المنبر، وقال: "ضحوا، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم؛ فإنه كان يقول: لم يكلم الله موسى تكليمًا"، وهكذا في يوم الأضحى، في العيد نزل من على المنبر؛ لأنهم يصلون في مكان بعيد، وأتى بالنطع الذي هو جلد وذبحه؛ فهذا الجعد بن درهم، الذي أحدث فتنة خلق القرآن، وشبهه المصائب التي أحدثها أيضًا.

تلميذه جهم بن صفوان، هذا بتعريفه للإيمان ابتدع هذا التعريف وقال: "الإيمان معناه المعرفة القلبية فقط"، يعني تعرف الله بقلبك فقط، ولا يشترط الكلام. ولذلك الجهم بن صفوان اشترك مع الحارث بن سُريج في آخر خلافة الأمويين، أيام مروان بن محمد؛ لكنه قُتل بعد ذلك، سنة مائة وثمانية وعشرون هجريًا. وقال عنه الإمام الذهبي، وقال عنه العلماء: "مبتدعٌ ضال"؛ هو الذي أحدث فتنًا كثيرة إلى يومنا هذا، هو الذي ابتدع مثل هذه الضلالات، حتى قُتل في فتنة الخروج على الأمويين، سنة مائة وثمانية وعشرون هجريًا.

إذًا المقابل للجهمية الكرّامية، الجهمية يقولون: في القلب الإيمان داخلي فقط، طالما قلبك عرف الرب وآمن به، خلاص انتهى، لا يشترط الكلام ولا العمل ولا شيء.

عكس هؤلاء (الكرّامية)، أتباع محمد بن سعيد بن كرّام، هذا أيضًا ابتدع بدعة، لم يقلها أحد من أهل الإسلام؛ هو قال أن الإيمان، عبارة عن نطقٌ باللسان فقط، لا يشترط القلب ولا غيره؛ يعني إذا قال أحد: (أشهد لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله)، هو مؤمن، لا يشترط قلب؛ لذلك عنده المنافق يسميه مؤمنًا، وابتدع بدعة ما قالها أحد، قال عن المنافقين النفاق الأكبر أنهم مؤمنون، لماذا؟ لأنهم يقولون: (لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله)؛ يعني لو أنه رأى زنديقًا، في أيامنا هذه، من الذين يسبون الإسلام وغير ذلك، يقول: طالما أنه قال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) ولكن قلبه يكره الإيمان؛ لأنه منافق، فيكون داخله كارهًا للإسلام فيقول عنه مؤمنًا.

لذلك أحد الأخوة سألني عن موضوع الزنديق؛ بعض العلماء لم يقبل توبة الزنديق، الزنديق الذين قالوا بعدم توبته إذا قُبِض عليه مثلًا إلى القاضي، لو قال: (أشهد أن لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله)، وأنا أقيم الصلاة، وأنا كافر بكل دين غير دين الإسلام، وهكذا، فالذين قالوا لا تقبل توبته، هم يقصدون لا تُقبل توبته في الدنيا؛ لأننا لا نعرفه، لأنه

أُلعبان متلوّن، فهو رجع إلى الأصل؛ وكان يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله) من قبل، وكان يقول: (أنا مسلم) من قبل؛ فالذين قالوا: (لا تقبل توبته عند القاضي)، قالوا: (في حكم الدنيا)؛ يعني يقام عليه حد الردة وانتهى؛ لكن قد يكون هذا الشخص، في الحكم الأخروي عند الله، الله الوحيد المطلع على أنه مؤمن صحيح، وأنه هل فعلًا تاب توبة نصوح، لكن من الذي سيعرف؟ لا يعرف إلا الله؛ لأنه هو نفسه شخص مريب، لا نعرف له حالة، ولذلك الذين لم يقبلوا توبة الزنديق، لا يقصدون الحكم الأخروي، يقصدون حكمه في الدنيا.

نرجع مرة أخرى للكرّامية؛ الكرّامية الذين هم أتباع محمد بن كرّام، توفي في سنة مائتين وخمس وخمسين هجريًا، وقال هذه القولة الشاذة؛ إذًا عندنا جماعتان شاذتان في فرق الإسلام، في التعريف، مقابلتان لبعضهما البعض: الجهمية والكرّامية؛ الجهمية قالوا: الإيمان: (المعرفة بالقلب فقط)، والكرّامية قالوا: الإيمان: معناه (قول باللسان فقط)، يكفي أن تنطق باللسان فقط، قلبك خراب، قلبك أي شيء لا يهم؛ الجميع متفقون على إخراج العمل من الإيمان.

الذين وافقوا على إدخال العمل، هم: أهل السنة أي أهل الحديث، الصحابة، ومعهم الخوارج والمعتزلة؛ لكن اختلف الخوارج والمعتزلة مع أهل السنة، في مسألة مرتكبي الكبيرة، هؤلاء يخلدون في النار؛ أنا طبعًا سأتكلم عن مرتكب الكبيرة فيما بعد بالتفصيل.

ولكن أدلة المعتزلة والخوارج ما هي؟ والرد عليهم؟ وأدلة المرجئة أيضًا؟ لأن المرجئة يقولون: إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان؛ لماذا؟ لأنهم لا يعترفون بالعمل، فيقولون: الرجل شهد أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، حتى لو ارتكب الزنا، أو ارتكب أي شيء، فهو كامل الإيمان.

في فرقة عندهم سُميت (الواقفية): قالوا نحن نتوقَّف فيه، يعني ربنا قد يدخله النار أو لا يدخله، نتوقف لا نعرف. وفي فرقة جزمت، قالوا: لا يدخل النار أبدًا، سيدخل الجنة مباشرةً –ما شاء الله– معه (فيزا) أنه أنهى كل شيء!، كيف؟ الفيزا مكتوب فيها زنا، وسرقة وشرب الخمر، وكل ما تتخيله، ثم يدخل الجنة! لن يدخل النار أبدًا! لماذا؟ لأنهم يخرجون الأعمال.

لكن عند أهل السنة: قلنا لكم: لا، هو تحت المشيئة، إن شاء عفا عنه، وإن شاء أدخله؛ لكنه لا يخلده في النار، هذا هو الرأي عند أهل السنة.

الخوارج عكس غلاة المرجئة، المرجئة في العموم قالوا: يدخل النار للأبد، وهؤلاء يدخل الجنة للأبد؛ يعني طريقين متقابلين تمامًا.

هاتان الفرقتان لا تنساهما، حتى لا يشتبه عليك عندما نتكلم في المرجئة.

إذًا سنخرج هاتين الفرقتين، اعرف هذا جهمية: قلب فقط، كرامية: لسان فقط، أما المرجئة: فهم خليط كلهم جميعًا، يكاد يكون إجماعًا، أخرجوا العمل (جهمية، كرامية، مرجئة) بجميع طوائفهم كلهم أخرجوا بما فيهم حتى مرجئة الفقهاء، كل هؤلاء أخرجوا العمل، لكن المرجئة أصناف منهم من أدخل مسألة قول اللسان، يعني بعض المرجئة يقول: (الإيمان: إقرارٌ بالجنان وقولٌ باللسان فقط).

عندما نرد ونتكلم على فرقة الأشاعرة بصفة خاصة، سنقوم بالتعليق على أحد بنود العقيدة الطحاوية؛ لأن الإخوة التي تدرس العقيدة الطحاوية، قد لا يلتفت أحدٌ في البند الذي ذكره الإمام الطحاوي، وشرحه الإمام ابن أبي العز، في بندٍ خاص بتعريف الإيمان؛ ولأنه حنفي -رحمه الله-، ولأنهم يُخرجون الأعمال من تعريف الإيمان، فتجد التعريف في العقيدة الطحاوية خلا من العمل، سنتكلم فيها -إن شاء الله-. وحتى ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- ذكر آراء المذاهب الأخرى، ولكنه ذكر الإمام أحمد، والإمام الشافعي، والإمام مالك، يدخلون الأعمال؛ أما الإمام أبي حنيفة، الذي هو يتبعه أصلًا يخرج العمل.

لذلك معظم الأحناف يُخرجون العمل من الإيمان، هذا تعريفهم في الطحاوية نفسها؛ ولذلك يجب تنتبه، وتعرف الشرح أو بعض التعليقات؛ لأن هذه مهمة، لربما تحفظ البند، أنا كنت أحفظ البند، هي ١٤٥ بندًا في الطحاوية، وهذه من أسهل وأبسط كتب العقيدة، ولكن في بعض الاستدراكات البسيطة، يعني مثل هذه الأمور، والشراح كثر شرحوها واستدركوها يعني الحمد لله.

إذًا ندخل الآن في الشبهة التي قالها.

أحد الطلاب: أنت قلت يا شيخ أن الإمام الباقلاني هو الذي تراجع عن عقيدة الأشاعرة؟

الشيخ: لا أبو (الحسن) هو الذي قال تراجع، لكن الباقلاني لا؛ الإمام الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٢هـ، هذا له كتاب اسمه (إعجاز القرآن)، هذا فحل من فحول الأشاعرة، لم يتراجع، ولكنه كان مناظرًا، وذكيًا في مواجهة كل اليهود،

والنصارى، والشيعة، والمعتزلة. -ما شاء الله- كان داهية، وله ترجمة كبيرة، أنا كتبت عنه كتابة جيدة، عندما كتبت مقالًا أرد فيه على (البابا)، (أي الفريقين أحق بالهدى يا بنديكتوس؟)؛ عندما كان يشن البابا بنديكتوس السادس، على الرسول ﷺ منذ عدة أعوام؛ فرديت عليه بمقالة، ذكرت في مطلع المقالة مناظرة الإمام الباقلاني، لأساطين وأحبار الكنيسة في ذلك الوقت، ومسحهم مسحًا، وتمت استضافته من عند الإمبراطور والبابا، وأحضروا له أحبار.

وذكرت كلامًا ممكن تراجعه، في المقالة موجودة، التي هي مقالة الرد على البابا: (أي الفريقين أحق بالهدى يا بنديكتوس السادس عشر؟).

فنقرأ كلام الإمام؛ يعني عندما يتكلم الأئمة كالإمام ابن تيمية، وهؤلاء الأئمة أنصفوا هؤلاء العلماء؛ يعني عندما يتكلم الإمام الباقلاني هو يقول كلامًا خطيرًا في تعريفه، ولكنهم كانوا يحسنون الظن بهم؛ لأنهم كانوا يحبون الإسلام، وأنها عبارة عن اجتهادات لكنهم يخطئون، كانوا يخطئونهم، لكنهم قدموا للإسلام أشياء، وكانوا يجاهدون، وكانوا أمّارين بالمعروف، ناهين عن المنكر.

ستجد علماءً من الأشاعرة، رغم خطئهم في مسائل الإيمان، وتعريف الإيمان. لكن المشكلة جاءت في الأتباع، وجاءت فيمن يستثمر هذه التعريفات، في إخراج بعض الكفار، أو بعض من يرتكب الموبقات، أو المخالف لمعلوم الدين بالضرورة، ويعتبرهم مؤمنين أو مسلمين. لكن العلماء أنصفوهم، حتى الإمام ابن تيمية، ستجده ينصف العلماء الأشاعرة، كالإمام الباقلاني وغيره من الأئمة الكبار، ولم يجّرحهم؛ بمعنى أنهم يعني كفار، ولا خرجوا عن الملة، ولا حتى الإمام ولا تلامذته، كابن كثير، ولا الإمام الذهبي ولا غيره؛ لم يشنعوا عليهم، بمعنى أنهم كفروهم مثلًا؛ لأنهم يقولوا أقوالًا شنيعة شديدة.

فانظر ماذا قال؟ هي مناظرة علمية، ولكن الخطورة التي يتكلم عنها شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره هي الثمرة، التطبيق العملي هذه هي المشكلة، انظر! ماذا يقول الباقلاني في كتاب (التمهيد)، ليس كتاب (التمهيد) لابن عبد البر، له كتاب (التمهيد) في المسائل العقدية؛ لأن معظم هؤلاء يتقنون علم الكلام ويناظرون وهكذا، قال القاضي أبو بكر الباقلاني وهو من بغداد، أو من العراق: "فإن قالوا خبرونا ما الإيمان عندكم؟ قيل: الإيمان هو التصديقٌ بالله تعالى، وهو العلم، والتصديق يوجد بالقلب.

فإن قال قائلٌ: فما الدليل على ما قلتم؟ قيل له: إجماع أهل اللغة قاطبةً، على أن الإيمان قبل نزول القرآن، وبعثة النبي ﷺ؛ هو التصديق، ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَنْت بِمُؤْمِنٍ لنا وَلَو كُنَّا صَادِقِين}، أي: بمصدقٍ لنا، ومنه قولهم فلانٌ يؤمن بالشفاعة، وفلانٌ لا يؤمن بعذاب القبر، أي: لا يصدق بالشفاعة، أي: لا يصدق بعذاب القبر.

فوجب أن يكون الإيمان في الشريعة، هو الإيمان المعروف في اللغة؛ لأن الله تعالى، ما غيَّر لسان العربي ولا قلبه، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله، وتوفرت دواعي الأمة على نقله، ولغلب إظهاره على كتمانه، وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك؛ بل إقرار أسماء الأشياء، والتخاطب بأسره على ما كان فيها؛ دليلٌ على أن الإيمان في الشريعة، هو الإيمان اللغوي؛ ومما يبين على ذلك، قول الله تعالى: {وَمَا أرسلنَا من رَسُول إِلَّا بِلِسَان قومه}؛ وقوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا}.

فأخبر أنه أنزل القرآن بلغة القوم، وسمى الأشياء بتسمياتهم، ولا وجه للعدول بهذه الآيات، عن ظواهرها بغير حجة، ولا سيما مع القول بالعموم وحصول التوقيف، على أن القرآن نزل بلغتهم؛ فدل ما قلناه: من أن الإيمان ما وصفناه، دون ما سواه من سائر الطاعات، من النوافل والمفروضات".

هذا لفظ أبي بكر الباقلاني؛ هذا عمدة من نصر مذهب الجهمية، انظر الكلام وجيه؛ يعني فعلًا يأخذه، لذلك أنا أعطيتك الأول التثبيت، حتى تأخذ بالك؛ لأنك لما تقرأ لأصحاب الفرق، ممكن يحدث لك مشكلة: إنك لما تقرأ الشبهة تظن أنها صحيحة.

طيب اقرأ رد الأئمة من قبل، رد الإمام القاسم بن سلّام على هذه الشبهة، ثم رد ابن تيمية بعد ذلك؛ ولكن أيضًا انتبه، أحيانًا! أحيانًا لما تقرأ مثلاً في (إعلام الموقعين)، لابن القيم -رحمه الله- عندما يقول ويرد على نفاة القياس، يرد على الإمام ابن حزم، في نفي القياس؛ لو قرأت كلام ابن حزم في نفي القياس، صدقني، إذا لم يكن لك دراية سابقة، ستقتنع بكلام ابن حزم، خطير! حتى له كتاب هكذا، أو في أحكام يأتي بالأشياء البسيطة، الذي ليس له أثارة من علم ممكن يضيع؛ فلذلك هناك بعض الشباب، أو بعض الناس، يذهب يقرأ فيعجبه كلام ابن حزم، يتبنى كلام ابن حزم مباشرة؛ لأنك لم تقرأ الرد، اقرأ الرد وأنت تعرف تقارن.

لذلك ممكن تقرأ لي خمسين صفحة، ابن القيم ذكر لك الرد، كل هذه ردود مثلًا ابن حزم، طيب انتظر رد ابن القيم، يقولك: الحمد لله، خلاص أنا اكتفيت بهذا واقتنعت، أغلق الكتاب. هذا بعض الناس، ممكن يقرأ هكذا من باب

الاختيار، مثل أيام الامتحانات أليس كذلك؟ يأتي قبل الامتحانات بيوم يقرأ صفحتين، هؤلاء يمكن يأتي الامتحان هنا، يقرأ لك جزء في المقدمة، وفي الوسط، يأخذ أجزاء، لعله ينجح؛ لأنه فاشل، لم يقرأ، لا يذاكر جيدًا، يأخذ بالاختيار؛ أو بعض الشباب يقول لك: اصنع لي ملخصًا، يعني يلخص لك كتاب..

أحد الطلاب: (البرشام).

الشيخ: يعني يسموه (برشام)؛ هذه الملخصات (البرشام أو المسكنات)، قد تصيب وقد تخطئ، ولكن لا ينفع، ممكن واحد يكون أمامه الكتاب صدقني، وهو لم يمر عليها من قبل، صدقني أيضًا سيفشل، حتى لو الكتاب أمامه.

إذًا فالكلام يجب أن ننتبه إليه، طبعًا رد العلماء على كلام الباقلاني، قلت لكم: أنا أمهد لكم الكلام، حتى تفهموا أن المسائل فيها صعوبة، في المسائل اللغوية وهكذا، هم يعتمدون على اللغة العربية في التعريف؛ لاحظ فرق المبتدعة، حتى لاحظ الشيعة، على ماذا يعتمدون؟ أيضًا على اللغة العربية، ولا يعتمدون على الآيات القرآنية والأحاديث، وإذا ذكروا آية يؤولونها تأويلًا فاسدًا، ثم يعتمدون على الأقيسة العقلية.

تقول له: هذه آية، هذا حديث الرسول، هذا كذا، لا يعتمدون هذا؛ لذلك دائمًا هو ممكن يؤلف كتابًا من ألف صفحة أو ألفين صفحة، كلها لا علاقة لها بقال الله وقال الرسول.

هم قالوا في اللغة العربية معناها: التصديق؛ إذًا هذا الإيمان معناه التصديق، إذًا لماذا يقول هذا الباقلاني؟ يعني معناها: لا تقول لي إن الإيمان قولٌ وعمل، لا الإيمان تصديقٌ فقط، هذا هو في اللغة. أو حتى لو قلت بالقول، فأنت تصدق أيضًا؛ فإذًا كل هذا لكي يخرجوا العمل من تعريف الإيمان.

وقالوا: والدليل على ذلك، اللغة نزلت قبل القرآن، ومن قبل ابن تيمية العلماء الكبار لم يسلِّموا لهم بهذا، ولم يقولوا لهم هذا الكلام؛ هذا الكلام خطأ، تعرف ما معناه؟ أما أنت تعترف أن الإيمان باللغة العربية فقط التصديق، أنت تعرف ما معناها؟ خطير جدًا، معناها أن الإيمان يكون كاملًا، لأنهم يعتبرون أنت صدقت، إذًا إيمانك كامل.

الإمام أبو عبيد القاسم بن سلّام، المتوفى سنة ٢٢٤هـ، تكلمت عنه وأشرت إليه من قبل؛ هذا الإمام العظيم، وهو أحد مشايخ الإمام البخاري، ذكر في كتابه (الإيمان) ردًا على هذه الشبهة أيضًا، وأخذها أيضًا ابن تيمية منه؛ يعني رد ابن تيمية ونمَّاها وقوَّاها وكبَّر فيها بما فتح الله من علوم. إذًا قالوا له: لا نسلم لكم من الإيمان معناه، في اللغة العربية:

هو التصديق فقط؛ لا، الإيمان قد يكون بمعنى بالتصديق، وقد يكون بمعنى الإقرار، وقد يكون بمعنى من الأمن والأمان.

إذًا أنتم تقولون، أجمعت أهل اللغة قاطبة، من قال لكم هذا؟ لذلك ابن تيمية سألهم سؤالًا، من نقل لكم هذا الإجماع؟ أعطوا لنا أئمة الإجماع، هل نقل لكم ابن الأعرابي أئمة اللغة؟ أو أبو عبيد؟ أو نقله الأصمعي؟ أو نقله من هو من فحول اللغة الكبار لكم؟ أهؤلاء العلماء الفحول الكبار، كالأصمعي، وابن الأعرابي وغيره، وأبو عبيد، هؤلاء كلهم كانوا ينقلون ويسمعون، ويأخذون كلام العرب، هؤلاء علماء مسلمون، من أهل السنة كبار يعني، فهؤلاء هم علماء اللغة، وهم الذين يعتمد عليهم في اللغة، فهؤلاء هم.

من أين سمعتم؟ هم سمعوها من الناس، لم ينقل بسند، ولم يرد لنا سندٌ صحيح أن هناك إجماع على هذا الموضوع، قالوا أنها نزلت قبل القرآن، والقرآن جاء بلسانٍ عربي، من قال لك أن كل شيء يوجد في الجاهلية؟ أي قبل الإسلام كاسم يُشترط في الشرع أنه يكون هو هو؟ والدليل على ذلك: قالوا: طيب أنتم تقولون الإيمان هو: التصديق. نعطيكم مثالًا على كلمة إيمان؛ هل كان العرب يعرفون مصطلح إيمان؟ نعم، يعرفون مصطلح إيمان. كانوا يعرفونه بمعنى تصديق، بمعنى الأمن، من أصل الأمان والطمأنينة.

وقال لهم: طيب كانت (الصلاة) معروفة أيام الجاهلية، كلمة صلاة لها معنى في اللغة العربية أم لا؟ معناها في اللغة العربية، كانوا يتعارفون كلمة صلاة، معناها: الدعاء، العرب كانت تعرف ذلك، لكنها في الشريعة بمعنى ماذا؟

لما القرآن تكلم: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، أصبح ما معناها؟ الصلاة صارت بالأوصاف الشرعية، وصارت مقيدة كما يريد الشرع، صارت الصلاة ليست هي الدعاء فقط، الصلاة صارت لها نية، وأعمال، وحركات، وسجود، وركوع، وتقرأ فيها شيئًا من القرآن، وواجبات؛ يعني الذي لا يفعل هذه الشروط والأركان، لا تسمى صلاة.

إذًا قد تكون في اللغة العربية هي الصلاة، المصطلح موجود، ولكنه في الشريعة ليس هو المصطلح بتمامه، الشريعة جاءت وغيرته، وأعطته تقييدًا ليس على إطلاقه؛ يعني أنا لما أقول لك الصلاة بمعنى الدعاء، طيب: صلِ الظهر الآن، أو صلِ العشاء الآن، يقول لك: اللهم تقبل مني صلاة العشاء؟ خلاص انتهى دعاء، دعا ربنا يتقبل منه صلاته، ولم يصلِّ؟!

أحد الطلاب: المفهوم اللغوي.

الشيخ: هذا المفهوم، هذا رد عليهم، انظر أنت رديت وحدك الآن، هذا هو المفهوم اللغوي؛ إذًا الشريعة جاءت وخاطبت العرب بلغتهم صح، ولكن القرآن جاء، والقرآن هو الحجة، وليس كلام العرب: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ}؛ نعم باللغة العربية، لكن حتى بالخطاب العربي المقيد، الذي قيده الشرع، كلمة (زكاة) كانت معروفة عندهم بمعنى التطهير أو الطهارة؛ لكنها في مصطلح الشرع، جاء وقيدها وخصصها بشيء معين، الزكاة صارت ماذا؟ هذه الفريضة التي لها نصاب محدد، وتخرج في وقت محدد، وبنصاب معلوم، ونزل فيها آيات التي هي في آية سورة التوبة.

أحد الطلاب: قبل كانت بمعنى الطهارة؟

الشيخ: كانت بمعنى تزكية، يقول لك: أزكيك: يعني أنزهك أطهرك، وقولك: هذا يزكّي فلانًا، يعني يثني عليه، ويطهّره وينزّهه من الجرائم. يقول لك: زكّي لي الأخ، وأنت تريد تتزوج ابنتي، أقول لك: أحضر من يزكيك، نحن نستخدم مصطلح زكاة الآن، ولكن زكاة هنا ما معناها؟ أنك تثني على الرجل، بأنه ليس سيئًا، وأنه ليس مرتكب جرائم؛ يعني تنزّهه، تطهّره من الدَّنس، من أشياء معينة، من الموبقات أو شيء معروف عرفًا هكذا.

ولكن عندما أقول له: أخرج الزكاة: {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، نقول عنها التنزيه اللغوي؟ أو الطهارة اللغوية؟ أم نقول الزكاة التي لها نصاب شرعي، التي مصارفها الثمانية الموجودة في سورة براءة. هذا هو؛ إذًا التعريف اللغوي يعرفه العرب، لكن له مصطلح آخر.

كلمة (منافق) هذه، ما كانت معروفة ومنشورة عند العرب، بالمعنى العام؛ لكنها مشتقة من كلمة (نَفَقَ)، وهذه العرب تعرفها، لكن مصطلح منافق لم يكن بالمعنى الشائع؛ حتى جاء الرسول، وجاء القرآن بذكر كلمة المنافق.

فلماذا العرب لم تعترض؟ مثلًا كفار قريش جاءوا وقالوا للرسول ﷺ: ما هذا؟ أنت تأتي بمصطلحات ما عرفناها في آبائنا؟ ما أحد جادل الرسول في هذا، كانت المشكلة في أنهم تتنزَّل الآيات، تأخذ بألبابهم من إعجاز القرآن، وبلاغة القرآن، وحلاوة القرآن، فلم يعترضوا على المصطلحات، لكن مصطلح هم يعرفونه.

كلمة (منافق) موجودة عندهم في اللغة، ما معناها؟ معناها نفق، فمشتقة من كلمة نفق، نفق يعني خرج، يبقى نفقت الضفدعة، نفقت الفأرة؛ يعني خرجت. وأحيانًا نقول هذا نفوق، نفق: يعني زهقت روحه أحيانًا، فنفقت يعني خرجت؛ ولذلك يقول المنافق أي: الخارج عن الإيمان والدين، إذًا كلمة المصطلح اللغوي للمنافق، ما كان كمصطلح؟ موجودة، ولكن كان موجود المشتق، وهو: نفق، إذًا المصطلح قد يكون موجودًا، ولكنه تغير.

كلمة (حج)، هل العرب كانت تعرف الحج؟ نعم تعرف الحج، وكانت حتى تعرفه من الحنفية القديمة؛ كانوا يطوفون حول الكعبة عراة، وكان بالليل النساء، والرجال بالنهار وهكذا؛ وكانوا يطوفون، وكانوا يؤدون بعض المناسك، بقية من الحنيفية عند سيدنا إبراهيم. لكن جاء مصطلح الحج، بالمعنى الشرعي وقيّده، قيده بهذه الشروط والأركان، الحج عرفة، وشرط له فرائض وأركان، وشروط ومندوبات. فعندما أقول لك: الحج، فصار في مخيلتك أشياء، وأركان، غير التي كانت متصالحة عند العرب.

كمصطلح (الجهاد) أيضًا، كان معروفًا عند العرب، كلمة: جهد: هو إفراغ الوسع، جهد واجتهد أي: سعى أفرغ وسعه في الشيء؛ ولذلك اجتهاد أو من الجهد: بذل الشيء، لكن كمصطلح الجهاد هكذا؛ فهذا من حفريات ونحت المصطلح الإسلامي، الإسلام هو الذي جاء بهذا المصطلح بهذه الطريقة، لكن هل اعترضت العرب على مصطلح الجهاد؟ لا، لم تعترض؛ لأنهم يعرفونه، أصله مشتق من اللغة العربية، لكنه مقيد في الإسلام بقيود.

ولذلك الرسول ﷺ سئل: يقاتل أحدنا حمية، ويقاتل أحدنا شجاعة، وهذا يقاتل على دينه، وعلى عرضه، أو حمية، يقاتل من أجل وطنه، أو من أجل شيء؛ قال الرسول ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله)، وهذا اسمه: الجهاد في سبيل الله، لذلك لا يعترف بأي شيء، غير الأوصاف القيود التي قيدها الشرع.

حتى في الترجمة اللغوية؛ عندما تترجم كلمة جهاد، لا تجد له ترجمةً في اللغة الإنجليزية، بالمعنى الحرفي، إلا أقصى كلمة قالوها ماذا؟ (holy war) ، هذه كلمة ضارة جدًا، من الناحية اللغوية، لماذا؟ لأن (holy war) يعني: حرب مقدسة، حرب مقدسة عندهم مصطلح مذموم، هذه طحن بين النصارى مع بعضهم، دمروا بعضًا من أجل ماذا؟ شراء القساوسة؛ هم الذين كانوا يحكمون، ويبيعون الجنة، ويخرجون هذا من النار، وجماعة ضلال يحرفون الكتاب المقدس عندهم؛ فصارت مذابح. كلمة (holy war): معناها مذابح، مجازر باسم الله، باسم الكتاب المقدس.

فصار التعريف هذا سيًا الآن، نتيجة شيوع الحركات الإسلامية والجهادية في العالم؛ صاروا يترجمون مصطلح (holy war) يكتبوها الجهاد (al jihad)، هل تقدر تعرفه أنت بطريقة أخرى؟ تقول له: نعم، هذه حرب مقدسة، لكن ليست في مصطلح.

مثلًا عندما أقول لك معنى صلاة؛ عندما تأتي تترجمها للغة الإنجليزية، يقول لك (pray) يا أخي (pray) هذه ليست معناها بالمعنى الذي أنت تتصوره؛ (pray): يعني ينفع أي شيء، عبادة الأوثان، عبادة أي شيء، ولكن هذا معنى تقريبي؛ لذلك عندما تركز على المصطلح، يعني لغتك هي التي تفرض نفسها، دينك هو الذي يفرض نفسه.

ولذلك كان يقول ابن خلدون: "القوي هو الذي يفرض لغته"؛ هو يجعل الضعيف يقلده، حتى في المصطلح يردده؛ لذلك نقول الآن: بعض المترجمين الآن في الكتب، عندما يقول صلاة لا يقول (pray)، يقول صلاة؛ لأنه خلاص صار المعنى متعارفًا متداولًا. كلمة زكاة نفس القصة، سيقولك لك، ماذا؟ ستقول زكاة (Donations) هذه أم (charity)، أم كيف ستعرّفها؟ كل تعريفات الزكاة باللغة الإنجليزية، لا علاقة لها بكلمة الزكاة، كمصطلح شرعي جميل؛ عندما أنا أقول لك كلمة زكاة، أنت تفهمها بسرعة، مصطلح بالذات التلقي اللغوي المباشر.

إذًا هذا كلام دحض وتفنيد لكلام الجهم ابن صفوان، الذي أخذه الإمام الباقلاني، والإمام الجويني وغيره؛ هؤلاء الذين أسسوا وأصّلوا، وقالوا: أجمع أهل اللغة، أين أهل اللغة؟ نحن هنا، نقول لكم وننقل لكم النقول، إن اللغة العربية حتى بالمناقشة البسيطة هذه، نعم تعرف المصطلحات، ولكن هذه اللغة مقيَّدة بالشرع، لذلك الإيمان معناه التصديق، حتى لو سلمنا أن معناه التصديق فقط؛ وهو معناه تصديق بالقول، تصديق بالقلب، تصديق بالعمل، لكن هم لا يعترفون بهذا، لا يعترفون إلا بالتصديق بالقلب فقط، والذي يتجاوز يقول لك، باللسان، لكن العمل لا يعتبرون به، حتى القلب لا يعترفون بأن له عملًا أصلًا، هو القلب له معرفة فقط.

إذًا ما معنى الإيمان؟ إذا كان معناه في اللغة العربية القديمة قبل الإسلام، الذي كان موجودًا معناه التصديق، والعرب كانت تقول معناه التصديق؛ إذًا هذا التعريف مطلق، لكن الإسلام جعله مقيدًا بضوابط وشروط، الذي هو الإيمان، إذا كان معناه التصديق مطلق هكذا، لا هو مقيد، أن يكون تصديقٌ بالقلب، وتصديقٌ بعمل القلب، وتصديقٌ باللسان، وتصديقٌ بالعمل العام بالأركان.

إذًا هو هذا هو الذي يدندن حوله الأئمة الكبار، منذ أيام الصحابة عبد الله بن مسعود وغيره، وعلقمة وغيره؛ وهؤلاء القاسم بن سلام –رحمه الله–، في كتاب (الإيمان) أيضًا يدندنون حول هذا، ويؤكدون هذا، والإمام الآجري، وابن تيمية ومدرسته كل هؤلاء.

أهل السنة يقولون: إن تعريف الإيمان بالاستناد إلى التعريف اللغوي باطلٌ على الإطلاق. نعم يعترفون بالإيمان، لو سلمنا لكم الإيمان بمعناه اللغوي: التصديق فقط، رغم أن الإيمان له معنى آخر؛ ممكن يكون بمعنى الإقرار، ممكن يكون بمعنى الأمن، من الأمان، ولكن لو سلمنا لكم بذلك أيضًا؛ فإنه مقيَّد. لذلك كل المصطلحات الشرعية التي جاءت؛ مثل الصلاة، الزكاة، الحج، كل المصطلحات الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، هذه المصطلحات كانت معروفة، أو مشتقة عند العرب، ولكنها مقيَّدة بالشرع، مقيدة بقيود الشرع؛ فلما لا تعترفون بذلك؟ هذا المصطلح (الصلاة)؛ كان معروفًا عند العرب، وكان معناه الدعاء، وله شروط وضوابط محددة، وأركان محددة؛ إذًا الشرع قيَّده وضبطه؛ أنا أريد أن تفهم، عندما يحتج عليك محتج.

أنا أحكي لكم هذا، صدقوني ليس من باب الترف التاريخي، والأثر عن فرق؛ هذا الكلام يقوله أناس يعيشون بيننا الآن، يقولون هذا التعريف اللغوي فقط، ويقولون أن تعريف الإيمان التصديق، هؤلاء من الماتريدية والأشاعرة، وكثير من هؤلاء، يؤكدون على التعريف اللغوي، حتى مرجئة الفقهاء، يؤكدون على التعريف؛ كل هؤلاء يستندون إلى التعريف اللغوي.

إذًا نحن لا نتكلم عن فرق خلاص اندثرت؛ لا، هؤلاء لهم آثار، ولهم أتباع ويتكلمون، ولهم عمل، ولهم ثمرة عمل للأسف الشديد.

إذًا هذا هو تعريف الإيمان هنا، بالمعنى اللغوي باطل؛ وأن المسألة، أن التعريف الذي يحتج باللغة، نقول له: نعم، نحتج معك باللغة أيضًا، ولكن بالتقييد. يعني تعريف الإيمان في اللغة العربية، مقيدٌ بالشرع، مقيدٌ بما ذكره القرآن، مقيدٌ بما ذكرته السنة النبوية المشرفة.

ولذلك يقول: انظر إلى الإمام يذكرنا ببعض المسائل، قال الإمام ابن سلام –رحمه الله–، وهو فحل قلت لكم إسحاق بن رهواي –رحمة الله عليه– يقول عن الإمام ابن سلام: هو أفقه وأحفظ مني. ويقول عنه الإمام أحمد بن حنبل،

يقول: الله يحب الحق، الناس كانت مفتونة بابن رهوان –رحمة الله عليه–. قال: "أبو عبيدة أعلم مني وأفقه"؛ انظر لشهادة العالم!

يا أخي! يعني هناك بعض الصغار، الذين يسرقون بعض النصوص، ويدونونها في كتب. أحد هؤلاء صدقوني، جمع لك كتبًا، رأيته هنا في لندن، نسأله عن أحد الكتب، كاتب في الفرق، وكاتب في العقيدة، وكاتب في التجويد، كاتب مؤلفات، وطبعًا لا يعزو إلى عزواه؛ سارقها، سرقة هكذا، وجاء وجلسنا عنده من سنوات، وقلنا له: طيب يا شيخ! ألست أنت مؤلفًا في التجويد؟ طيب ممكن تقرأ لنا؟ ابدأ في سورة النساء، وقال لنا: أنا أحفظ القرآن عن ظهر قلب، ماشي يا شيخ! احفظ القرآن. والله يا جماعة كنا جالسين أكثر من ١٦ أو ١٧ أخ، هنا في لندن، هنا منذ سنوات، وفك الله أسر من في السجون، وهناك شهود على هذا.

فكنا جالسين، وقلنا: يا عم الحج اقرأ! والله ما استطاع يكمل آيتين، ليس بالتجويد، هذا باللغة العربية، الفتحة والضمة، وهذا شيخ؟! طيب أنت ماذا تقرأ؟ قال: الذي يقرأ في التفسير، وكاتب كتبًا في التفسير. طيب ما هي الكتب التي تستند إليها في التفسير؟ يعني في تفسير القرآن الكريم؟ ألَّف كتابًا في التفسير، ويقول لك: أنا قرأت كل كتب التفسير. قال: استند إلى كتاب تفسير، ماذا كتاب التفسير؟ إلى كتاب قال: كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة)؛ فطبعا نحن كلنا ضحكنا، فقلنا له: ما علاقة فقه المذاهب بالتفسير؟ طيب من هو مؤلف كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة)؟ فطبعًا ما استطاع حتى أن يذكر الجديري، الذي هو مؤلف الكتاب، ومع أن هذا مستدرك عليه مشاكل كثيرة لهذا الإمام.

وهذا أيضًا يوجد أخ يألف كل يومين؛ كتابًا في تفسير الأحلام، كتابًا في العقيدة، كتابًا في الفرق، يا أخي ما هذا؟ أحد يأخذ كتب الآخرين؟ اتق الله، حرام عليكم، هذا جلسنا معه منذ سنوات؛ كان أنا، والشيخ أبو قتادة، والشيخ أبو وليد، وإخوة الله يعلم، أنا أحكي لكم على أسماء؛ كنا جالسين كلنا مع بعض وامتحناه، ويقول: أنا في اللغة العربية. قولت له: طيب تعال! الحمد لله، أنا في اللغة العربية لي إثارة من علم، تعال! ما استطاع يا رجل! ما في شيء! اتفق الجميع عليه.

بالله عليك، ننصحك نصيحة وسجلوها، وهو أحضر تسجيلًا معه لكي يناظر؟ كانت فضيحة! فقاموا نصحوه، قال: يا أخي أنت ما استطعت، لا طالب علم مبتدئ، ولا عامي؛ ننصحك بالتعلم. وكانوا أشفقوا عليه، وقالوا: قطعوا

الشريط يا جماعة، حرام يعني الفضيحة هكذا، ويذهب يعظ الناس، وهو ليس له في هذا؛ وقالوا: ننصحك في الله، نحن إخوانك، وسنعلمك وهكذا، وبدء التعليم من جديد؛ حتى أحد الإخوة -ربنا يفك أسره- قال له: يا أخي أنت لست طالب علم أصلًا، أنت عامي أنت، وعمال تقدم نفسك أنك شيخ؟ بإنجازات! كيف هذا يا أخي؟!

تتطاول وتقول نحن أهل علم، يعني واحد يتفضل على الناس بعلمٍ ليس بعلمه، ويتقول ويسند لنفسه؛ فأنا قلت: يا أخي الإنسان الذي يسرق علم العلماء، وليس بعالم، يجب أن يفهم الشباب، أن هذا ليس بعالم، ويسرق أصلًا، وهذه سرقة علمية؛ لأن ممكن بعض الشباب يفتتن بهذا الشخص، ويتخيل أنه من أهل العلم؛ وهم يطبعون كتب، الواحد عمال يتناسل كتبًا، كيف يا رجل قدرت تكتب كل هذه الكتب؟! لأن للأسف الشديد الإنترنت وهذه الموسوعات التي دونت بالحاسوب، صار كل من هب ودب، خش اعمل (cut & past)، وادخل واعمل، وألف لك كتابًا حلوًا هكذا، وسيجمع كل كرنفال!

هذا علم؟ أين لذة الكتب ولذة البحث هنا؟ وأين شخصيتك في الكتاب؟ هل أنا سأقعد أجمع؟ أين أنت؟ أين رأيك؟ أين الجدل العلمي؟ هذه هي الكتب. تقرأ كتاب لابد تجد نفس العالم فيه، نفسك كشخصية. أنا هذه فقط وضعتها، واللبيب بالإشارة يفهم.

ماذا قال أبو عبيد بن سلَّام -رحمة الله عليه-، قال: "أما بعد؛ فإن كنت تسألني عن الإيمان، واختلاف الأمة في استكماله وزيادته ونقصه"؛ تذكر أنك أحببت معرفة ما عليه أهل السنة من ذلك، وما الحجة على من فارقهم فيه؛ انظر يا أخي هذا الكلام الرجل كتبه قبل ٢٢٤ هجريًا، هو توفي سنة ٢٢٤ هجريًا، يعني هو كتبه قبل ذلك، يعني هناك أئمة يكتبون؛ أنا دائما أقرأ كلام لابن تيمية، من كتاب (الصارم المسلول) لابن تيمية، هذا كتاب (الصارم المسلول) وتقرأه متعة، يعني تحفة من العلم الشرعي، في الانتصار لرسول الله، وتفنيد الأدلة؛ هذا كتبه في شبابه لم يكتبه وهو كبير.

استمتع ماذا قال العلماء، هذا قبل أن يستوي ابن تيمية مثلًا، قبل أن يستوي هؤلاء، كتبوها كذلك في شبابهم؛ مثل كتاب (زاد المعاد) كتبه ابن القيم هكذا، في رحلة في سفرية معظمه من رأسه.

وبعد ذلك تكلم عن الإيمان، ثم ذكر بعد ذلك تعريف الإيمان عند أهل السنة، كما قلنا لكم، ولا أريد أن أذهب كثيرًا؛ ولكن هو يبين على مسألة خطيرة الآن، هي مسألة الإيمان الكامل؛ يعني لو أننا سرنا على موضوع اللغة

العربية، فقط للتصديق، يعني الناس كلها تستوي؟! لا، لا يستون، من قال لك يستوون؟ طيب الذين آمنوا في أيام أول البعثة.

والذين آمنوا في أيام بعثة الرسول في البداية، لم تفرض عليهم الصلوات، لم يفرض عليهم الصلاة، لم يفرض عليهم الصيام، لم يفرض عليهم الجهاد، لم تفرض عليهم التشريعات الكاملة كل هذه؛ بل منهم من كان آمن فقط، بـ(أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) ومات؛ إذًا ليس كل الناس يتساوون، هذا الذي مات؛ طيب بعد ذلك الذي كان يصلي، لما ذهبوا إلى المدينة، يقول: فلما أثاب الناس إلى الإسلام، وحسنت فيه رغبتهم؛ زادهم الله في إيمانهم، أن صرفَ الصلاةَ إلى الكعبة؛ أليسوا كانوا يصلون إلى بيت المقدس؟ بعد ذلك صرفهم إلى الكعبة التي نصلي لها الآن، بعد أن كانت إلى بيت المقدس.

فقال: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ}؛ خلاص أمر قرآني الآن، لكن قبل ذلك كانوا يصلون إلى القبلة الأولى، وهي بيت المقدس؛ ثم خاطبهم وهم بالمدينة باسم الإيمان المتقدم، قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}؛ في كل ما أمرهم به ونهاهم عنه، لاحظوا في مصطلح الإيمان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فقال في الأمر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا}، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ}.

وقال في النهي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا}؛ هنا تفاصيل التشريع، وعلى هذا كل مخاطبةٍ كانت لهم فيها أمرٌ أو نهيٌ بعد الهجرة، وإنما سماهم بهذا الاسم بالإقرار وحدَه؛ إذ لم يكن هناك فرضٌ غيره، يعني سماهم هكذا، فلما نزلت الشرائعُ بعد هذا، وجبت عليهم وجوب الأول سواء، لا فرق بينها؛ لأنها جميعًا من عند الله وبأمره وبإيجابه

فلو أنهم عند تحويلِ القبلة إلى الكعبة، أبوا ورفضوا، قالوا: نحن كنا نصلي فقط عند بيت المقدس، لا نريد القبلة الجديدة هذه؛ فلو أنهم أبوا أن يُصلُّوا إليها، وتمسكوا بذلك الإيمان، قالوا: (نحن مؤمنون من قبل)؛ يعني الإيمان التصديقي من قبل، الذي لزمهم اسمُه، مادام أنت مؤمن؟ هم يقصدون هذا؛ فهو يلزمك حتى مماتك، والقبلة التي كانوا عليها، لم يكن ذلك مُغنيًا عنهم شيئًا؛ ولكان فيه نقضٌ لإقرارهم، لو قالوا: لا نحن كنا مؤمنين من قبل، صلينا لبيت المقدس، لن نصلي للبيت الحرام الآن، الذي فيه الكعبة في مكة؛ كان نقضًا للإقرار، يعني صاروا كفارًا؛ لأن الطاعة الأولى ليست بأحق من الطاعة الثانية، الذي أمرك بالطاعة الأولى، هو الذي أمرك بالطاعة الثانية؛ لماذا ترفض هذا؟

إذًا لا تقل الناس كلهم يستوون في الإيمان، لا يختلفون؛ الإيمان كان في الهجرة، يختلف عن الإيمان فيما بعد ذلك، الناس كانوا مؤمنين بالقدر الذي جاءهم من الشرع؛ لكن لو آمن الذي جاء بعد الهجرة في المدينة، بنفس الذي آمنت به، قال: أنا سألتزم كما أيام الرسول فقط قبل الهجرة، يعني سأؤمن كما آمن أهل مكة فقط؛ إذًا ماذا نقول له؟ هل هذا مؤمن؟ نصِفُه بالإيمان؟ لا، لأنه لن يصلي للكعبة، لن يصوم؛ كل هذه الفروض فُرضت بعد السنة الثانية من الهجرة.

واحدة تقول لك: لن أتحجب؛ ما كان فيه حجاب إلى سنة ٥ هجريًا، يعني لم ينزل فرض الحجاب إلا مع سورة الأحزاب في السنة الخامسة هجريًا؛ يعني يقول لك: ماذا؟ لا، أنا سأظل على القديم، لن آخذ بسورة الأحزاب؛ لذلك قالوا: فلما أجابوا الله ورسوله إلى قبول الصلاة، كإجابتهم إلى الإقرار، صارا جميعًا؛ المرحلتان معًا هما يومئذ الإيمان، إذ أضيفت الصلاةُ إلى الإقرارِ.

والشاهد على أن الصلاة من الإيمان الحديث لما قالوا: يا رسول الله إخواننا الذين ماتوا وكانوا يصلون ناحية بيت المقدس؟ أعمالهم أين ذهبت؟ يعني مؤمنون أم غير مؤمنين؟ نزل قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}؛ إيمانكم هنا: يعني صلاتكم، يعني العمل وليس القلب والمعرفة القلبية.

بعضهم الذي يقول: سموا الإيمان بالمؤمنين بالقول فقط؛ لما سمعوا تسمية الله إياهم مؤمنين أوجبوا لهم الإيمان كله بكماله، يعني قالوا: ماذا؟ هم كانوا مؤمنين، إذًا هم مؤمنون بكماله من أول يوم. طيب الذي يأتي بعد ذلك، فُرضت فروض، ونُسخت أشياء، ماذا نقول عنهم هؤلاء؟ ولذلك الناس لا تتساوى في الإيمان. الإيمان يختلف من شخص إلى آخر، ومن وقت إلى آخر.

طبعًا سنضطر نقف عند هذا المقدار في هذا الموضوع.

الدرس القادم -إن شاء الله- نبدأ بتفنيد بعض الشبه، ثم بعد ذلك نعرض لكم مناظرة بعض الأئمة؛ كالإمام أبي ثور عندما ناظر المرجئة، وبماذا أفحمهم؟ وكان له نص جيد جدًا، وسنقرأه عليكم -إن شاء الله- لتفهموا كيف كان يتخاطب علماء أهل السنة مع المرجئة ويناظروهم. والإمام أحمد له مناظرات جيدة، ورسائل قيمة جدًا في هذا، وانتصر هو والأئمة الكبار كالأوزاعي وغيرهم -فرحمة الله عليهم- جميعًا.

مداخلة: بارك الله فيكم يا شيخ، نحن فهمنا أن عقيدة أهل السنة وعلماء أهل السنة، أن الإيمان تصديقٌ في القلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان. وهذا هو قول علماء أهل السنة الصحيح في تعريف الإيمان؛ فأنت ذكرت أن علماء الفرق الأخرى، الذين قالوا: بأن الإيمان تصديق.

الشيخ: في اللغة فقط.

مداخلة: فرض أن علماء أهل السنة، يُثنون على علماء لحسن نيتهم، ما حكمهم؟ هل هم يعدّون من أهل الضلال؟ أم نعتبر أنه اجتهد في المسألة وأخطأ؟ فما يكون حكم هؤلاء العلماء، الذين أخطأوا في هذه المسألة؟ رغم أن العلماء يثنون عليهم، وقلت هم نوع من العباد وو..؛ هذه مسألة. المسألة الأخرى: مسألة الجهمية والمعتزلة، نفس الفرقة أم فرق مختلفة؟

الشيخ: لا، المعتزلة تختلف تمامًا عن الجهمية؛ المعتزلة ضد الجهمية، لأن المعتزلة في تعريفهم للإيمان، يؤمنون بالثلاثة أركان؛ بالقلب وباللسان وبالعمل، وقلنا لكم: أن الخوارج والمعتزلة، يتفقون مع أهل السنة والحديث في إدخال العمل في الإيمان.

مداخلة: في مسألة الإيمان؛ لما ذكرت في المادة الأخرى، التي هي تعطيل الصفات..

الشيخ: نعم، لهم تأويلات، ولكن تختلف إلى حد بعيد.

نكتفي بهذا السؤال، أحسنت بارك الله فيك. بالنسبة لهذا السؤال، علماء أهل السنة، منصفون حتى مع خصومهم، كما قلت لكم وسيأتي لكم -إن شاء الله- بعض النصوص في إنصافهم لهؤلاء العلماء، ستجدهم يترجمون ترجمةً وافية؛ ويقولون العالم الفحل، الزاهد العابد، الذي كان قامة على أهل البدع وغير ذلك، ولكنهم يقولون من باب الأمانة: ولكنه كانت عنده بدعة في هذا؛ يعني مثلًا عندما نقول الإمام الباقلاني، كان إمامًا ناصرًا للإسلام، وكان هو يعتقد أن هذا هو المذهب الحق في رأيه هو، وأن هذا ينصر مذهب أهل السنة؛ رد على الشيعة ورد على المعتزلة.

لأن كل هذه الفرق، ظهرت في قرنه بقوة، وكانت المناظرات قوية، ورد على اليهود والنصارى. هذا لا تستطيع أن تقول: هذا لا يُحمد على فعل، بل شكروه وحمدوه على فعل ذلك، ولكن بيّنوا خطأه. فيقال مثلًا: هذا إمام عظيم، وفقيه من فقهاء المسلمين الكبار، ولكن كان فيه بدعة في مسائل الإيمان، كانت فيه بدعة في مسألة الأسماء

والصفات، يعني تقيد الموضوع، لا تستطيع مثلًا أن تقارن الإمام الباقلاني بالإمام القاسم بن سلام مثلًا؛ لأن هذا شيخ صافٍ فعلًا، إمام عقيدة نقاء، كان ضد هؤلاء؛ فطبعا ستقول هذا إمام فحل، من فحول أهل السنة.

الإمام أحمد بن حنبل مثلًا؛ لا تستطيع أن تقول في المسائل العقدية، لكن الإمام الباقلاني والجويني، وغيرهم من هؤلاء الأئمة المشاهير، حتى الإمام أبو الحسن الأشعري في مراحله.

ولذلك أنت تقول: هذا إمام، ولكن عنده أخطاء في كذا، ولذلك حتى الأئمة الكبار؛ لاحظ الإمام ابن عقيل الحنبلي، هذا فحل من الفحول، من أساتذة الحنابلة الكبار، ورغم ذلك ابن تيمية انتقده في بعض المسائل العقدية، وبعض مسائل التأويل، وبعض مسائل في الأسماء والصفات؛ بعض التعريفات التي تأثر ابن عقيل فيها قديمًا؛ هو إمام حنبلي، وليس معنى أنه حنبلي، أنك تقول أنه معصوم، فابن تيمية ناقش بعض الأئمة الكبار.

طيب هذا الإمام السفاريني كتب كتابًا اسمه (لوامع الأنوار)، هذا الإمام السفاريني توفي سنة ١١٨٨ هجريًا، هذا الرجل كان من (سفارين) قرية من قرى (نابلس)، وهو إمام حنبلي، وله قصيدة كبيرة جدًا أكثر من ٢٠٠ بيت؛ عقد فيها عقيدة أهل السنة بشعر، وشرحها الشراح، مثل الشيخ الإمام السعدي؛ لكن استدركوا عليه بعض المسائل، حتى في موضوع الأسماء والصفات، استدركها عليه بعض العلماء مثل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين وغيره من العلماء، الذين شرحوا (لوامع الأنوار).

إذًا، ما فيه أحد معصوم في هذا؟ ، يعني العالم الموسوعة المجتهد المطلق هذا، لا يوجد. يقال لك: الإمام الذهبي أثنى على الإمام ابن حزم، ابن حزم هذا بحرٌ لا حد له، كتابه (المُحلى) هذا عبارة عن موسوعة، كتاب (الإحكام) لابن حزم، (الفصل)، هذا عالم موسوعي كبير جدًا؛ ولكن وقع في أخطاء، رغم أنه كان ظاهريًا ولكنه للأسف الشديد أوّل الأسماء والصفات، ووقع في أشياء خطيرة جدًا؛ فقالوا: ونحن لا نكفره ولا نضلله، بل كان متأولًا، وكان محسنًا؛ انظر الإنصاف للإمام الذهبي! هو يتكلم عن ابن حزم –رحمة الله عليه–، المتوفَّى سنة ١٠٦٤ هجريًا.

إذًا ابن حزم عنده مسائل خطيرة جدًا؛ ورغم ذلك الأئمة أنصفوه. وهكذا كان العلماء ينصفون بعضهم بعضًا، لذلك أرجو من الإخوة أن يفهموا عندما ننتقد.

هؤلاء العلماء المشكلة أن الأجيال التي جاءت من بعدهم دمرت الدنيا، أخذوا كلامهم وتبنوه، بزعم أن هذا الإمام الكبير الباقلاني قال كذا، الإمام الجويني قال كذا، وهم الذين يعيشون فيما بيننا، الآن يؤولون ذلك.

رغم أن هؤلاء بصراحة كانوا يجاهدون، وكانوا يرابطون، وكانوا أمَّارين بالمعروف ناهين عن المنكر؛ معظم الأئمة من القرن الرابع الهجري إلى وقتنا الحاضر، يكاد يكون معظم العلماء البارزين أشاعرة، الذين جاهدوا؛ صلاح الدين الأيوبي، هذا البطل العظيم الذي حرر فلسطين، وعماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي، وأبوهم آق سنقر، وكل هؤلاء الذين حملوا مشعل الجهاد، سيف الدين قطز؛ كان لديهم كوكبة من العلماء، كانوا أشاعرة، كان العالم منتشرة فيه الأشعرية، للأسف الشديد.

فلذلك أنت لا تستطيع أن تمحو تاريخ الإسلام والمسلمين. نحن نقول ما هو مذهب السلف؟ مذهب السلف: هذا نجده غالبا في سلف القرون الأولى، ثم بعد ذلك الانحراف بدأ من القرن الرابع، نعم آثاره بدأت في القرن الثاني، أو في آخر أيام الصحابة؛ عندما ظهرت القدرية، ومعبد الجهني، لما رد عليهم عبد الله ابن عمر -رضي الله عنه-، لكن قوة أهل البدع متى ظهرت؟ منذ القرن الرابع الهجري وبعد ذلك.

لكننا ننصف ونقول: هذا عالمٌ جيد في كذا، ولكن عنده بدعة في كذا، أخطأ في كذا، وهذا لا ينقص من قدره أي شيء؛ حتى لا أضلل الشباب، وألبس عليهم. عندما يقول الأخ: أنت تقول الباقلاني، أقول لك: لا، الباقلاني عظيم، لكن انتبه عندما تقرأ له، في المسائل الفقهية لا بأس، مسائل من الردود على اليهود والنصارى والمعتزلة لا بأس جيد؛ لكن عندما تأتي في تعريفه للمسائل في الإيمان، مسائل في الأسماء والصفات، والرحمن على العرش استوى، هذه المواضيع عندهم فيها ضلال مبين، إذًا يجب أن تحذر هذه أيضًا.

لكن بعد ذلك خذ منه ما ينفعك. نحن نعمل حصانة؛ يعني أنت تعرف النقط الحمراء التي عند العالم، خذ منه النقط الخضراء التي لم يتكلم عنها العلماء، أو اتفق فيها مع معظم علماء أهل السنة، ولكن اختلف معهم في مسائل محددة.

ولذلك نحن نتكلم عن مسائل محددة بعينها، لذلك أقول لكم اخترنا (مسائل في الإيمان)، وليس كل مسائل الإيمان؛ لأن هناك فرعيات أو مسائل في الدين كثيرة، أنا آخذ المسائل المهمة في الإيمان، التي ينبغي عليك أن تعرفها، ولها أثرٌ في الواقع؛ هذا الذي نحدث عنه له أثرٌ في الواقع، والدليل هذا السؤال بارك الله فيك.

نسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يتغمدنا برحمته.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

الدرس الرابع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ. وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الإخوة المكرمون ها نحن مع اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة لسنة ١٤٣٢ من الهجرة النبوية المباركة، ونحن أيضًا مع الدرس الرابع من دورة شرعية بعنوان: (مسائل في الإيمان).

واليوم –إن شاء الله– سنتكلم عن الخوارج والمعتزلة، ونتكلم عن حكم مرتكب الكبيرة.

وقبل أن أتكلم وأخوض في الموضوع أحب أن أستعرض معكم العناوين، حتى تعلموا ما تبقى وما أخذتموه من هذه الدورة، فنعطي ملخصًا بسيطًا حتى تكون على بينة من موضوع الدرس.

بالنسبة للدرس الأول الذي بدأناه في الرابع من ذي القعدة سنة ١٤٣٢، كنا تكلمنا فيه عن أقسام الناس في عهد النبي ﷺ. وفي الدرس الثاني تكلمنا عن الاختلاف في مسمى الإيمان وقرأنا حديث جبريل واستعرضنا معكم بعض التعريفات من كتاب (الشريعة) للإمام الآجري، واستعرضنا أهم فرق المرجئة.

الدرس الثالث في الأسبوع الماضي تكلمنا عن شبهة من قال إن الإيمان في اللغة العربية هو التصديق فقط، وفرّقنا بين الجهمية والكرّامية وقلنا إنهما فرقتان متناقضتان في مسألة تعريف الإيمان، وعرّفنا الإيمان عند أهل السنة وقرأنا نصًا

للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام. وقرأنا أيضًا من كتاب الحافظ أبي عبد الله بن بطة، وقرأنا من كتاب القاضي أبي يعلى الفرّاء. وأيضًا قرأنا نصًا من كتاب (التمهيد) للحافظ ابن عبد البر. ثم شرعنا بعد ذلك في قراءة نص الإمام الباقلاني، وهو إمام كبير من أئمة الأشاعرة، وبتعريفه الإيمان كما في اللغة العربية، وهو يقصر تعريف الإيمان، ورددنا على هذه الشبهة.

ثم الدرس اليوم سيكون -إن شاء الله- عن الخوارج والمعتزلة وحكم مرتكب الكبيرة. وسيكون الموضوع كالآتي: سنتكلم عن نص سؤال ورد للإمام أبي ثور نستفتح به، وهناك مناظرة بين أهل السنة والمرجئة في تعريف الإيمان، وقد نقرأ نصًا من كتاب (صريح السنة) للإمام الطبري. وسنشير في عجالة إلى رد الإمام ابن تيمية على الباقلاني في استشهاده بقوله: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} أن الإيمان هنا بمعنى التصديق، وقال يُقال إن فلانًا يؤمن بعذاب القبر، وفلانًا لا يؤمن بعذاب القبر، وفلانًا يؤمن بالشفاعة وفلانًا لا يؤمن بالشفاعة، فالباقلاني يقصد في ذلك أن كلمة "يؤمن" هنا بمعنى يصدق. وهذه الشبهة سنرد عليها سريعًا.

وبعد ذلك يمكن أن نتكلم عن أصل شبهة المبتدعة؛ اعتقادهم أن الإيمان كلي لا يتجزأ، وأنه لا يجتمع في الإنسان إيمان وبعض كفر، وأيضًا سنتكلم عن مرتكبي الكبيرة ورأي الخوارج والمعتزلة. ومن هم الخوارج ونبذة عنهم، ومن هم المعتزلة ونبذة عنهم. هذا هو الدرس الرابع اليوم. طبعًا هذا حسب الوقت، يعني لو أن الوقت داهمنا فسنضطر نرجئ بعض المسائل للحلقة القادمة، لكن أنا أعطيكم ذلك من الناحية النظرية.

الدرس الخامس -إن شاء الله- سيكون عن الأشاعرة والماتريدية وهذا درس مهم جدًا لحركة فاعلة موجودة في العالم الإسلامي. فسنتكلم عن الأشاعرة وعن الماتريدية، ونتكلم عن نبذة عن المؤسس الأول في كل فرقة، والخلاف بين الماتريدية والأشاعرة.

ونتكلم نبذة عن الأحناف بصفة خاصة عن الإمام أبي حنيفة وبعض المتعلقات في القضية، لأن الأشاعرة والماتريدية وهذه الجماعات معظمها -وخاصة الماتريدية- أحناف. يعني لا تكاد تجد ماتريديًا مالكيًا أو شافعيًا، معظمهم أحناف. فسنتكلم عن هذه المسألة وخاصة ما يُسمى بـ(مرجئة الفقهاء) باعتبار أن الإمام أبي حنيفة ممن يوصفون بأنه من مرجئة الفقهاء.

والدرس السادس -إن شاء الله- بعد ذلك سنتكلم فيه عن ثمرة من ثمرات الخلاف، وهي: هل الإيمان يزيد وينقص؟ ونتكلم عن الاستثناء في الإيمان عند الفرق، يعني هل يجوز إذا سألني أحد فقال: هل أنت مؤمن؟ أقول له: أنا مؤمن إن شاء الله؟ سنستعرض هذه المسألة ونتكلم عن مراتب الدين في هذا الموضوع.

الدرس السابع من هذه الدورة -إن شاء الله- سنتكلم فيه عن نواقض الإيمان ونماذج من هذه النواقض والرد على بعض الشبهات ومسائل خاصة بحكم ترك جنس العمل. من يترك جنس العمل؛ جنس الصلاة يتركها بالكلية، والخلافات بين العلماء في هذه المسائل بسبب أن هذه المسائل ليست مسائل ترف أو ليست في التاريخ القديم ولكنها مسائل واقعية. وهناك من يتبنَّى هذه الأفكار ويحتجّون بقول: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) مثلًا وبعض الأحاديث كحديث البطاقة وغيره، كل هذا سنرد عليه من الشبهات.

الدرس الثامن وهو تقرير مذهب السلف بالإجمال، في النهاية بعد أن استعرضنا كل هذه الفرق سنقول مذهب السلف بالجملة في موضوع الإيمان وسيكون أقرب ما يكون لمراجعة عامة، ولكن سنستعرض ما يجب عليك أن تعتقده أنت هنا وما كان عليه السلف الصالح.

نبدأ بقراءة نصٍ ذكره الإمام اللالكائي المتوفى سنة ٤٠٨هـ، وله كتاب اسمه (اعتقاد أهل السنة والجماعة)، هذا الكتاب من عدة أجزاء، حوالي تسعة أجزاء تقريبًا على حسب نوع الطبعة وعلى حسب المحقق فيها، هذا الكتاب جامع لكل المسائل الشهيرة؛ مسائل الأسماء والصفات، ومسائل في الرد على القدرية، وخصص جزءًا -غالبًا الرابع أو الخامس- لمسائل الإيمان، وهو يستعرض كالآتي: يأتي بالآيات القرآنية ثم يأتي بالأحاديث ثم بعد ذلك يأتي بالتابعين وتابعي التابعين هكذا إلى زمنه. وهكذا كان الإمام الآجري كما رأينا يستعرض الآيات في كتابه (الشريعة) ثم يستعرض الأحاديث.

لذلك تجد الطمأنينة وأنت تقرأ في كتب السلف وهم يحاجّون الفرق الأخرى. الفرق الأخرى لا تجد عندهم أدلة شرعية، معظم الأدلة إما من اللغة أو من القياس أو من تأويلات فاسدة، ويدوخّونك في أقيسة وأشياء، وفي النهاية لا تخرج إلا وأنت مشتَّت. أما في كتب السلف يقولون هذا قول الله وهذا وقول الرسول وهذه الأحاديث وهؤلاء

التابعون، ثم يناقشونهم في اللغة. رأينا تفنيدات العلماء ورأينا الإمام أبي عبيد القاسم بن سلّام أنه فنّدهم ودحضهم دحضًا شديدًا، لفرق المرجئة والفرق الذين اعتمدوا على الإيمان فقط بتعريفه باللغة العربية.

ولذلك فإن الإمام ابن تيمية لما احتجَّ الباقلاني على {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}، وقال: هذا الإيمان معناه التصديق، فقال: لا، لا يُسلم بهذا؛ لأن كلمة الإيمان في اللغة قد تكون بمعنى التصديق، بمعنى الإقرار، بمعنى الطمأنينة، لكن هنا كلمة الإيمان دائمًا تأتي في الغيب، الأشياء الغيبية نقول عنها إيمان ولا نقول عنها تصديق. الخبر المباشر أقول لك مصدق أو صادق، ولذلك {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} إخوة يوسف لما جاءوا أباهم جاءوا ليخربوه عن ماذا؟ عن خبر هو رآه وهم رأوه أم يخبرونه عن شيء غيبي؟ يخبرونه عن شيء غيبي؛ عندما يحكون له عن قصة أخيهم والفبركة التي أتوا بها وبدم كذب، فإذًا يتكلم عن غيب.

ولذلك ابن تيمية يقول: الإيمان في هذه الحالة خاص هنا، لا يُقال دائمًا إلا إذا كان عن شيء غيبي، نقول: نؤمن بعذاب القبر. ويقول الدليل الذي استند إليه الباقلاني هو دليل ضده أصلًا، وهو لا يجد أدلة أقصى شيء عند الباقلاني هذا، قال: والإيمان نقول هذا فلان يؤمن بالشفاعة وهذا شخص يؤمن بعذاب القبر مثلًا أو لا يؤمن فمعناها يصدق، فقال لا؛ هذه المصطلحات ظهرت بسبب وجود هذه البدعة التي أنكرت الشفاعة. وجود بدعة الذين أنكروا عذاب القبر، فأنتم الذين ابتدعتموها، هذه البدعة أظهرها المعتزلة وغيرهم. فهذا كلام غير صحيح.

لأنه عندما يقول: أنا مؤمن بالشفاعة ليس معناها مؤمن يعني تصديق معرفة فقط، معناها مؤمن بالشفاعة يعني يؤمن حقيقة أن الرسول ﷺ سيشفع في أصحاب الكبائر والذنوب، وهناك شفاعة على حسب المستويات، والمؤمنون يشفعون، والملائكة تشفع، هذه نؤمن بها. والمعتزلة لا يؤمنون أصلًا بموضوع الشفاعة لأنهم يكفّرون أصحاب الكبائر، فكيف سيشفع له؟! لذلك ينكرون هذه الأحاديث.

فهو يرد يقول لا، لا يوجد واحد يقول: أنا أؤمن بعذاب القبر ولا يتصور أن هناك عذابًا، يعني أصدق بعذاب القبر هو يؤمن بعذاب القبر أنه لو مات الإنسان سيتعذّب في البرزخ، في هذه المرحلة بين الدنيا والآخرة.

إذًا معناها أن الذي استدل به الباقلاني هذا كلام غير مسلَّم له، لأنه لا يوجد إيمان اسمه التصديق فقط والمعرفة القلبية فقط، ولا يُتصور أن الإيمان بمعنى أن أؤمن لو مت سأتعذب، أنا أؤمن بالشفاعة في أهل الكبائر، هؤلاء لا يؤمنون أصلًا بالشفاعة.

طبعًا عندما نتناول فيما بعد -إن شاء الله- تقرير مذهب السلف في مسائل الإيمان سنستعرض لكم أصل الشبهة ومن أين أتت، وهي شبهة الذين أخرجوا العمل من الإيمان، وتسببت في الخلاف في مرتكب الكبيرة، قلنا لكم شبهة أنهم يعتقدون أن الإيمان كل لا يتجزأ. ما معنى كل لا يتجزأ؟ ضربوا أمثلة على ذلك قالوا الإيمان معناه التصديق، المعرفة القلبية أو التصديق فقط أو هكذا. أو القول باللسان فقط ولا يهم العمل.

ولذلك الخوارج عندما سنتكلم هم والمعتزلة اعتبروه كلًا لا يتجزأ، ولذلك قالوا: مثل رقم عشرة، لو حذفت منه واحدًا ما عاد رقم عشرة، فالإيمان هكذا لو أزلت منه جزءًا، يعني لو واحد ارتكب كبيرة أو ارتكب أي ذنب هنا معناه انتهى الإيمان، هذا هو منظورهم. ابن تيمية رد عليهم: رقم عشرة لو أزلت منه واحدًا يكون رقم تسعة، إذًا الإيمان لا يزال موجودًا.

وكان عندهم محلول من العسل والخل ضربوا هذا المثل بالمحلول، المحلول هذا لو أخذت مركبًا منه لم يعد هو المحلول، فقال: لو أخذنا الخل بقي العسل ولو أخذنا العسل بقي الخل، يعني هو رد عليهم بنفس كلامهم، وقال لن أسلم لكم بهذه الأمور، لأن هناك أشياء مركبة لو فصلناها تذهب فعلًا في هذه الحالة، مثل الروح والجسد، لكن هناك أشياء ليس بالضرورة أن تذهب، وهذه الأمثلة التي ضربتموها والدليل على ذلك لفظ العبادة، هم قالوا أي لفظ أنك تعمله هكذا فإما أن تأخذه كله أو لا، إذا نقص ينتهي التعريف.

قال لفظ العبادة ينطبق على الصلاة والصيام والزكاة والحج وينطبق على أشياء كثيرة جدًا، فلو أزلنا جزءًا منها هل نقص كلمة عبادة؟ وضرب أمثلة كثيرة، إن شاء الله سأحكيها لكم في تقريرات مذهب السلف بالتفصيل، وخاصة في هذه المسائل.

فهم ضربوا أمثلة كثيرة معظمها عقلية، وأمثلة من الواقع، ولكن أعطوهم أمثلة أخرى كثيرة جدًا. قال حتى القرآن، عندما كان في مكة نزلت سور كسورة الكهف والسور المكية فكان يُسمى قرآنًا أم ماذا يُسمى؟ يعني عدد السور التي كانت نزلت في العهد المكي، يعني القرآن لم يكتمل، فهل سنسميه قرآنًا أم ماذا سنسميه؟ لأن بمنطقهم لا يُسمى قرآنًا، لكن لم يكتمل إلا بآية {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} لم يكتمل إلا بسورة النصر {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}.

فهذا أمر خطير جدًا ورد مفحم من شيخ الإسلام، قال لهم هذا القرآن إذا أنتم تقولون أن الكل إذا نقص منه أي جزء لا يُعرف، فالقرآن في العهد المكي لم يكن كاملًا والله يقول {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ}، {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}، فهذه السور كسورة يوسف وغيرها نزلت وتتكلم عن القرآن الكامل. لاحظوا هذه المقدمات في السور لم تتكلم عن جزء من القرآن بل تتكلم عن القرآن كاملًا، والقرآن في هذه الفترة لم يكتمل. إذًا هذا رد عليهم حتى من ناحية الاستشهاد اللغوي والعقلي الذي استندوا إليه.

قبل أن ندخل لموضوع الخوارج أقرأ لكم نص الإمام أبي ثور -رحمة الله عليه-، الإمام أبو ثور إمام كبير من أئمة المسلمين، ولكي تعلموا كيف كانوا يردون، لا كما يتصور الناس، يعني يقول له هو هكذا وإن لم يعجبك، هذه هي الآية حتى وإن لم تعجبك. لا، بل كانوا يناقشونهم وربما يستخدمون العقل معهم، ويعطونهم مقدمات لما يفهمونه.

يعني ليس كما تأتي لتسأل أحد المشايخ يقول لك هو هكذا وانتهى، يا أخي أنا عندي شبهة، أنا مريض عالجني، حتى لو عنده شبهة خطيرة، يقول له: هو هكذا اذهب تعلم دينك. أنا أصلًا أتيت لك أنت كي تعلمني!، يعني إذا أنت لم تعلمني ديني من سيعلمني؟! فهذه المشكلة أنه ليس عندهم سعة صدر أن يتحمل شبهة، يأتي شاب إلى شيخ في المسجد أو إلى مدرس أو غيره فيثير شبهة ويريد أن يتعلم، فعلمه يا أخي.

أنا سأقرأ لكم النص لتعلموا كيف كان يتخاطب هؤلاء العلماء مع الآخرين. وكان هؤلاء أصحاب علم وتنظيرات. الإمام أبو ثور هذا وكان اسمه إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان، مولود في بغداد، كان من علماء بغداد، تُوفي سنة ٢٤٠هـ، يعني قبل الإمام أحمد بن حنبل بسنة. الإمام تُوفي سنة ٢٤١هـ وهو من بغداد أيضًا.

- سؤال أحد الطلاب: هل يلتقي نسبه بالصحابي حذيفة بن اليمان؟

الشيخ: الله أعلم هذه النسبة لا تثبت، الذي هو شبه مؤكد أن أبا الحسن الأشعري منتسّب إلى الإمام أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل، أما هذا فيُقال أنه لابن أبي اليمان، أو نسبة إلى اليمن يعني، ولكن الله أعلم.

بالنسبة للفترة التي عاش فيها الإمام أبو ثور كانت فترة ظهر فيها الجدل، لأن في فترة بداية الجدل عن طريق بداية الخوارج ثم المعتزلة وهؤلاء ظهروا في هذه الفترة وأثاروا بعض الشبهات. كانت المسائل كلها عبارة عن تنظيرات علمية، دولة كانت إسلامية قوية جدًا، هناك خلافة، هناك جهاد، هناك خيول تدك أماكن الرباط عند الكفار وتُغير عليهم.

ولذلك كان العلماء يتكلمون في هذه القضية، تتعجب كيف كانوا يتكلمون في هذه القضايا؟ لأن الدولة مستقرة، فهذا قد يكون نوعًا من أنواع التَّرف عند البعض، لما استحدث بعض الخلفاء وخاصة في أيام المأمون الترجمة، هذه الترجمات السيئة التي أضرّت. وقلت لكم الخليفة المأمون كان متهمًا بأنه شيعي زيدي، والمعتزلة أثّروا عليه جدًا، فهنا ظهرت مثل هذه حركات الإرجاء من الحركات القديمة أيضًا. وطبعًا بالنسبة للاعتزال ظهر في أيام الدولة الأموية، في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه هشام بن عبد الملك ظهرت مثل هذه الأشياء، وسنتكلم عنها في المعتزلة.

فهذه رسالة كما يقول الإمام اللالكائي ذكرها في كتابه أن الإمام أبا ثور جاءه سؤال هو ساق بسنده فقال: "سأل رجل من أهل خراسان أبا ثور عن الإيمان وما هو يزيد ينقص وقول هو أم قول وعمل، وتصديق وعمل؟"؛ يعني هو يقول له احكي لي بالضبط ماذا هو.

قال: "فأجابه فقال: سألت -رحمك الله وعفا عنك- عن الإيمان وما هو، وهل هو يزيد وينقص، وقول هو أو قول وعمل، وتصديق وعمل.

فأخبرك بقول الطوائف: فاعلم -يرحمنا الله وإياك- أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان عمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال أشهد أن الله -عزَّ وجلَّ- واحد وأن ما جاءت به الرسل حق وأقرّ بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به، أنه ليس بمسلم"؛ يعني الذي يقول ذلك ويقر ويشهد، ويقول في نفس الوقت: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به، أنه ليس بمسلم.

يقول: "ولو قال: المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام، وقال: لم يعقد قلبي على شيء من ذلك، أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمنًا، ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمنًا حتى يكون مصدقًا بقلبه مقرًا بلسانه". يعني لازم الاثنين معًا، أي الأركان التي قلنا لكم، الإمام الآجري قال لا بد تقر باللسان وبالقلب وبالعمل، ثلاثة أركان، ما ينفع تقطع واحدًا منهم. والإمام أبو ثور طبعًا قبل الآجري، يعني الآجري أخذها منه أيضًا.

يقول: "فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عنده مؤمنًا، وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمنًا. فلما نفوا أن الإيمان شيء واحد وقالوا يكون بشيئين في قول بعضهم

وثلاثة أشياء في قول غيرهم لم يكن مؤمنًا إلا بما اجتمعوا عليه من هذه الثلاثة، وذلك أنه إذا جاء بالثلاثة أشياء فكلهم يشهد أنه مؤمن فقلنا بما اجتمعوا عليه من التصديق بالقلب والإقرار باللسان وعمل بالجوارح".

يقول: "فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان فيُقال لهم ما أراد الله -عزَّ وجلَّ- من العباد إذا قال لهم: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}؟ فهل طلب منهم الإقرار أو الإقرار والعمل؟"؛ يعني بقوله {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} يريد إقرارًا وعملًا أم إقرارًا فقط؟ يعني هو يقول أنا مؤمن بهذه الآية {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، نقول له: وهل الله -سبحانه وتعالى- أراد منك أن تقر وتصدق فقط بالصلاة والزكاة؟ أم أراد منك الإقرار والعمل؟ أن تصلي وتعمل وتزكي؟ يريد منك الاثنين أم يريد منك واحدة فقط؟

يقول: "فإن قالت -يعني هذه الطائفة- إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل فقد كفرت"؛ لأن الله يقول {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} يعني يأمرك بالعمل، يفرض عليك الصلاة، فكيف تقول هو أراد الإقرار فقط؟! يقول لو قالوا هذا الإقرار فقط إذًا كفرت.

يقول: "وإن قالت أراد منهم الإقرار والعمل، قيل لهم: فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعًا فلم زعمتم أنه يكون مؤمنًا بأحدهما دون الآخر؟"؛ إذا كنتم تؤمنون أنه أراد الإقرار والعمل، فلماذا تقولون إنه مؤمن بواحدة فقط؟

هم يقولون مؤمن فقط بالإقرار، يعني يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله)، علىا رأي معظم الطوائف المرجئة وغيرهم، أو بالتصديق في القلب، يقر بقلبه. لكن إذا لم يعمل لو مات على هذا يدخل الجنة. لماذا حدث التفريق هنا إذا كنتم تقولون يؤمن بالاثنين معًا؟

يقول: "فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعًا لم زعمتم أنه يكون مؤمنًا بأحدهما دون الآخر وقد أرادهما جميعًا"؛ الله أرادهما جميعًا يعني {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} وأنتم تقولون نعم إن هذه آية قرآنية تؤمنون بها، والآية فيها عمل.

يقول: "أرأيتم لو أن رجلًا قال: أعمل جميع ما أمر الله به ولا أقر به، أيكون مؤمنًا؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإن قال أقر بجميع ما أمر الله ولا أعمل به أيكون مؤمنًا؟".

يعني لاحظوا، قال: أنا أعمل جميع ما أمر الله به لكن لا أقر به، يعني سيصلي ويصوم ولكن لا يقر ذلك في قلبه، يعني لا يعتقده، ولا في لسانه، هو يصلي فقط، أفيكون هذا مؤمنًا؟ طبعًا لا؛ لأنه لا بد من الاثنين معًا، كيف تصلي آليًا هكذا وأنت لا تؤمن بأن هذا من عند الله؟ يعني عقليًا استحالة.

فإذا قال: أقرّ بجميع ما أمر الله به ولا أعمل به، هو أتى لهم بها من العكس، هي المشكلة عندهم العمل، هو يحاول يحاصرهم في قضية العمل. يقول: "فإن قالوا نعم، قيل ما الفرق؟ فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين معًا فإن جاز أن يكون أحدهما مؤمنًا إذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر إذا عمل به ولم يقر مؤمنًا"؛ يعني إذا أنتم فرّقتم وأقررتم بأنه يكون مؤمنًا إذا أقرّ فقط فلم فرّقتم في موضوع العمل؟ ونحن ممكن نقول لكم الإقرار فقط لا يكفي إذًا لا بد من العمل، أنتم تحذفون العمل من أصل الإيمان، فهذه هي المشكلة عندكم. ولذلك انظر إلى طريقة الحوار وطريقة الجدال معهم بهذه الطريقة الطيبة.

• الخوارج

سندخل الآن في موضوع الخوارج والمعتزلة، ونعطيكم بعض الأشياء عن هذه الفرق.

طبعًا الخوارج لن نتكلم عنهم بكل تفاصيل الخوارج، المسائل صعبة جدًا وفيها تفاصيل كثيرة، نحن نختار فقط مسألة محددة وهي موضوع خاص بقضية الخلاف في مرتكب الكبيرة، لأننا قلنا لكم أن الخوارج والمعتزلة يوافقون أهل السنة والسلف الصالح في إدخال العمل في مسمى الإيمان، يعني هم لا يوجد أي خلاف عندهم في هذه التسمية. لكن المشكلة عندهم أنهم في مسألة مرتكب الكبيرة. لكن لا بد أن نعطي نبذة عن الخوارج.

بالنسبة للخوارج ذكرهم الإمام الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ، وذكر أيضًا عبد القاهر البغدادي في (الفَرق بين الفِرق)، تكاد تكون هذه المسائل متشابهة عندهم، وكتاب أيضًا (التبصير في معالم الدين)، وغيرهم، هؤلاء جميعًا ذكروا أصل الخوارج ظهروا في سنة ٣٧هـ، في موقعة صفين.

المشكلة حدثت في موقعة صفين بين جيش سيدنا علي بن أبي طالب وجيش سيدنا معاوية –رضي الله عنهم جميعًا–. فحدثت الفتنة وحدث التحكيم، فسبب المشكلة هنا ظهور الخوارج، لكنهم ظهروا أيام الرسول ﷺ ولكن لم يكن لهم

أثر. واحد أتى أيام الرسول ﷺ قال لرسول الله ﷺ عند تقسيم الغنائم: اعدل يا رسول الله، فالرسول اشتد غضبه، فقال: (من يعدل إذا لم أعدل؟)، ثم قال سيدنا عمر: أقتله فإنه منافق؟ وكان الرجل خارجًا فقال الرسول ﷺ: (سيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)، ثم وصف الرسول ﷺ صفات الخوارج في هذا الحديث، وهو يُعتبر حديثًا معجزًا لأن الرسول وصف لهم صفات الخوارج التي رأوها وظهرت عبر التاريخ بالصفات كما نبهنا إليها الرسول ﷺ.

إذًا الخوارج في التعريف العام: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة، يُسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم في أيام التابعين وتابعي التابعين والأئمة في كل زمان ومكان. الذي يخرج عن الإمام الحق. هذا وصف اسمه تعريف عام، لكن هم بدايتهم كان لهم أسماء، هم أكثر من عشرين فرقة، وكل فرقة منقسمة على نفسها، وهم كانوا ينشطرون كالذرة، وأصحاب البدع هكذا.

لكن الجماعة الأولى كانوا يُلقبون بالمحكِّمة، ثم الأزارقة، ثم النجدات، والحرورية، هؤلاء الذين كانوا مشاهيرًا عندهم، لكن هناك أكثر من عشرين فرقة، وهذه الجماعة يتفقون جميعًا على أشياء محددة. يعني معظمهم يجتمعون عليها، وطبعًا هناك خلافات بينهم، هم كفّروا بعضهم البعض، فرق كفّرت وهذا يخرج ويتوب على التوبة، يعني أشياء غريبة ومضحكة حتى في التاريخ.

فهؤلاء اتفقوا جميعًا على تكفير أصحاب الجمل، وصفّين، وتكفير السيدة عائشة، وتكفير الزبير، وتكفير طلحة بن عبيد الله، وتكفير سيدنا علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان كفر بعد الست سنوات الأخرى، لأنهم كانوا يوالونه في الأول ثم الست سنوات الأخرى اعتبروه قد كفر والعياذ بالله. وطبعًا يعتبرون دور مخالفيهم أنها دور كفر وشرك، وأنهم أيضًا لا يصححون مناكحات الآخرين من المسلمين، اعتبروا أنك تنكح واحدة كافرة. ويكفّرون أصحاب الكبائر، ولهم موضوع ثانوي عندهم أنهم يخرجون على الأئمة، ولكن هذا كان بقدر الاستطاعة.

ومعظمهم ما كان يستخدم التقية، يعني معظمهم في البداية ما كانوا يستخدمون التقية، بل إنهم يحرمونها كالأزارقة وغيرهم، يعني هم عكس الشيعة، لأنهم يُظهرون لا يُخفون. ويتحدُّون، وعندهم شجاعة وبطولة، كقطري بن الفجاءة وغيرهم الذين ظهروا في التاريخ، وشبيب، أبطال، ولكنهم كانوا في الضلال.

هؤلاء الذين ظهروا في أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وكانوا في حرب صفّين، كان منهم واحد اسمه مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين الطائي.

هؤلاء الجماعة لما رأوا أن الصحابة أرادوا أن يوفقوا وبعض الناس تدخلوا لما يُسمى بالتحكيم، فهم الذين لما رفع جيش الشام المصاحف وقالوا لا حكم إلا بالقرآن، فقالوا له كيف تقاتل من يريدون التحاكم إلى القرآن؟ فقال لهم سيدنا علي كما في السير: إنها خديعة يخدعونكم ولكنه نزل على رغبتهم وقالوا نبعث حكمًا، فاختاروا أبا موسى الأشعري –رضي الله عنه– فيما بعد.

ثم بعدما وافقوا على التحكيم –يعني هم أصلًا دفعوه إلى التحكيم–، وافق على التحكيم، وحدث ما حدث، وفشل موضوع التحكيم طبعًا بسبب هذه الفتن، ثم حدث ما حدث، قالوا له بعدها مباشرة: أنت حكّمت الرجال ولم تحكّم كتاب الله، ثم نابذوه. يعني هم الذين ضغطوا عليه ثم بعد ذلك لما وافق على التحكيم ثم لم يأتِ التحكيم على حسب هواهم فإذا بهم يقولون: أنت خالفت القرآن وحكّمت الرجال في القرآن!، وحدثت مناظرة بينهم. إذًا هذه هي البداية.

ولكن كبار الفرق منهم التي هي المحكِّمة الأولى الذين كانوا يرفضون التحكيم وقالوا إنك حكّمت الرجال هؤلاء، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية؛ طبعًا الإباضية معاصرة حتى الآن لهم دولة في عمان وفي الجزائر وفي ليبيا، جبل نافوسا في ليبيا كان أصله مقر للإباضية. والإباضية لهم دولة كانت في طهارات في الجزائر، حتى اليوم موجود الإباضية في الجزائر. وظل حكمهم حوالي مائة وأربعين سنة تقريبًا. ثم جاء أبو عبيد الله الشيعي الرافضي هذا الذي قتلهم واستباح بيضتهم، دمّرهم وشتتهم تشتيتًا ثم ظهرت الدولة العبيدية فيما بعد، وهي ما تُسمى الفاطمية. يعني أبو عبيد الله الشيعي هذا الذي قضى على الدولة الإباضية.

المحكّمة الأولى هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حينما ظهر أمر المحكمين. واجتمعوا بحروراء ولذلك يسمونهم الحرورية، مكان قريب من الكوفة اجتمعوا فيه. ورأسهم شخص يُسمى عبد الله بن الكوّاء وعتّاب بن الأعور وعبد الله بن وهب الراسبي، هؤلاء كبار الخوارج، وعروة بن جرير ويزيد بن أبي عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير، هؤلاء هم الذين نابذوا أمير المؤمنين –رضي الله عنه– العداء، وهم الذين كانوا اعترضوا عليه في المسجد وهو يخطب، وقالوا: لا سمع لك، يعني صبر عليهم صبرًا، وأتعبوا سيدنا علي بن أبي طالب.

ولذلك لم ينتصروا بسبب هذا، يعني جيش الشام كان منظمًا ولا يوجد فيه مثل هذه الفتن. أما جيش سيدنا علي بن أبي طالب وهو من هو في المنزلة كان هناك مجموعة من المشاغبين يشغّبون عليه في كل شيء، كل ما يقول كلامًا يضغطون عليه، كلما رأى شيئًا يضطر يتنازل لأجلهم، فأتعبوه حتى في النهاية نبذوه وكفّروه، وكانوا عبّادًا، يعني لم يكونوا أصحاب مجون وخلاعة، والنبي ﷺ يصفهم يقول: (يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم)؛ يعني يصلي ويعبد ووجوههم مصفرة من كثرة الصيام، وركبهم مثل خفاف الجمل من كثرة العبادة.

لذلك الذي أضرّ الإسلام في كثيرًا من هؤلاء العبّاد والنسّاك الذين كانوا يزعمون التنسّك. مثل ابن تومرت في بلاد المغرب، عندما ظهر ابن تومر ودمّر دولة المرابطين، بسبب سكوت المرابطين عنه لأنه كان يبدو زاهدًا وورعًا، ثم ظهر أنه رجل خبيث يدعو نفسه بالمهدي ويدعو لأهل البيت بزعم أنه يحبهم وينكر المنكرات وهكذا، واتضح أنه مفسد ودمّر وقتل من العلماء وهو الذي تسبب في إزالة دولة المرابطين، وقامت دولة بدعية اسمها دولة الموحدين فيما بعد.

إذًا أقصد أن العبَّاد هؤلاء كانوا يخدعون الناس، ولذلك الخوارج خدعوا جماهير في منطقة العراق وإيران وكل هذه المناطق كانت المكان الرئيسي لهؤلاء الخوارج، ثم انتشروا بعد ذلك في بعض الدول مثل اليمن ثم ذهبوا إلى المغرب الإسلامي ثم في تونس ثم في الجزائر، وارتكزوا هناك في الجزائر بصفة خاصة وتونس.

وهؤلاء أيضًا الخوارج ناظرهم سيدنا علي بن أبي طالب في بعض الأشياء. ومن الخوارج من يُسمون الغلاة، الخوارج أنفسهم كفّروهم، وأهل السنة طبعًا كفّروهم، لأنهم قالوا لم يعترفوا بسورة يوسف وسموها اسمًا سيئًا وقالوا إنها ليست من القرآن. وهناك منهم من أنكر أشياء خطيرة جدًا، ولا نحب أن نذكرها، لأنها فِرق اندثرت.

وهناك بعضهم من تكلم عن أسماء الله –سبحانه وتعالى– وتأثروا ببعض الجبرية وغيرهم أن كل شيء مجبور، وأن العبد لا أفعال له، مثل الجهمية أيضًا فقد قالوا الله يفعل كل شيء والعبد لا يفعل أي شيء، لا يوجد فعل للعبد نهائيًا، يعني عكس القدرية؛ فالقدرية نفوا الفعل عن الله ونسبوه للعبد، أن العبد يفعل أي شيء وهكذا. أنت تفعل شيئًا الله لم يقدّره وأنت الذي فعلته الآن. ولذلك قالوا: القدر أُنف؛ يعني هذا موضوع مستأنف، يعني شيء جديد أنا أعمل الآن لكن الله لم يقدّره.

ونحن لا نقول هذا، الله –سبحانه وتعالى– خلق الخير، وخلق الشر، وخلق الأفعال ويخلقها لنا إذا هممنا بها. يعني أنا أريد أن أحمل الكتاب هذا، الله يخلق لي الفعل الآن، هو يخلقه لي لأني هممت به. ونكتفي بهذا حتى لا تتشتتوا في هذه المسائل.

إذًا هؤلاء الخوارج لما ظهروا ناظرهم سيدنا علي بن أبي طالب، وقالوا حكّمت فينا الرجال، ثم ردّ عليهم علي بن أبي طالب فيما بعد وقال: إذا كنت أنا حكّمت الرجال فالقرآن نفسه فيه التحكيم، ولم يكن في الإمامة أو في الخلافة الكبرى أو في حروب بين المسلمين، بل كان في الزوج والزوجة {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}. كيف تقولون حكّمت؟! القرآن هو الذي حكّم الرجال.

وقالوا له إنك محوت اسمك في الصلح مع معاوية وكتبت: علي بن أبي طالب، ولم تكتب أمير المؤمنين، فقال كنت حاضرًا في الحديبية مع رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو أصرّ على ذلك وقال: لو كنا نعرف أنك رسول الله لأسلمنا، فاكتب اسمك واسم أبيك فقط، ورضي رسول الله وكتبها هكذا: محمد بن عبد الله، فقال الرسول فعل ذلك.

والرسول ﷺ حكّم في بني قريظة سعد بن معاذ في دمائهم وأموالهم، لما قالوا ننزل على حكم سعد، لأنه كان صديقًا لهم ومحالفًا لهم فلما حاصرهم الرسول ﷺ قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ، فحكّم فيهم الرجل. فهم يقولون أنت تحكّم الرجال وها هو التحكيم موجود. حتى في صيد الحرم {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ}. فإذًا موضوع تحكيم الرجال موجود.

فهذه شبه خطيرة دمّروا بها الناس، يقولون: ولا حكم إلا بالقرآن، وهل القرآن سيمشي هكذا وحده؟! هناك رجال يحكمون والقرآن يأمر الرجال بالحكم {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}، أليس يحكم الرجال لتحكم؟! يقولون أنت حكّمت الرجال! انظر إلى عقولهم. وأثّروا على الدهماء وكونوا جيشًا كبيرًا جدًا.

وقال ما تنقمون مني أيضًا؟ قالوا ننقم منك أنك عندما قاتلتهم في موقعة الجمل التي كان بها السيدة عائشة وسيدنا طلحة بن عبيد الله والزبير –رضي الله عنهم–، لما هزمهم في موقعة الجمل قالوا له لم تجهز على جريحهم وأبحت أموالهم ولم تُبح نساءهم؟ فقال لهم: نحن لم نكفرهم أصلًا حتى نستبيح دماءهم ونستبيح نساءهم ونجهز على الجريح، فقالوا له: فلم استحللت الأموال؟ قال لأنهم أخذوا الأموال لما أتوا إلى الكوفة، أخذوا أموالنا فأخذناها منهم كما أخذوا، وقاتلناهم كما قاتلونا، يعني المسألة كأنها قتال بين مسلمين مع بعضهم البعض ولم أقاتلهم قتال الكفار.

قالوا فكيف تفرّق بين المال والنساء، وفي حكم الغنائم أن النساء أيضًا يكونون سبيًا، وأنت لم توزعهم؟ قال لو كان الأمر كذلك فأيكم تكون أم المؤمنين عائشة في حظه؟! فخجلوا، لم يستطع أحد التكلم، لأنه لو قال واحد منهم إن عائشة -رضي الله عنها- أم المؤمنين تكون سبية يكفر في الحال، من الذي يجرؤ والله -سبحانه وتعالى- يقول: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} يعني هي أمك، هل ستنكح أمك؟! أمك يعني محرمة على الأمة منذ أن نزل هذا النص القرآني إلى قيام الساعة، إلى أن يرث الأرض ومن عليها، لو افترضنا أنها عاشت فهذا تحريم أبدي. لأنها أمك بحكم الشرع، غير التحريم بحكم الولادة، هذا تحريم بالشرع. وهذا تكريم لرسول الله ﷺ.

فأخذ منهم حوالي أربعة آلاف، استتابهم وقالوا نتوب إلى الله، فقبل توبتهم. أما حرقوص بن زهير وهذه المجموعة عيّنوا ابن الكواء أميرًا عليهم وسموه أمير المؤمنين، ثم حاربهم في منطقة النهروان في العراق، وهزمهم هزيمة شتتهم بها ودمّرهم تدميرًا. سيدنا علي بن أبي طالب استطاع أن يضع لنا فقه البغاة وأحكام المرتد، كل هذه مأخوذة من فقه سيدنا علي بن أبي طالب، لأنه عاملهم عمليًا.

فهم عطّلوه، وانظروا في الفتوحات الإسلامية في تاريخ الإسلام تجد فتوحات في أيام أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فتوحات في أيام عمر، فتوحات في أيام عثمان، أما علي بن أبي طالب لا تجد له ذلك. حتى الإمام الكلاعي الحميري عندما جاء في دول الإسلام حذف دولة سيدنا علي بن أبي طالب من الفتوحات، قال لا يوجد فتوحات، بل كان -رضي الله عنه- مشغولًا بأصحاب الفتن هؤلاء، فقد كان يحارب الخوارج، يعني الخمس سنين التي حكمها سيدنا علي بن أبي طالب أتعبوه وأرهقوه حتى قُتل شهيدًا -رضي الله عنه-.

إذًا هذه نبذة عامة عن الخوارج، والخوارج لهم فرق موجودة حتى وقتنا. واندثروا طبعًا عبر التاريخ، وهم كانوا يظهرون ويختفون، تحاربهم الدولة ويقاتلون، لأنهم ما كانوا يستخدمون التقية، كانوا يبرزون هكذا، الجيش يذهب يحاربهم ويحاربونه. أحيانًا يستولون على ممالك وأمم ثم بعد ذلك تقضي عليهم دولة الخلافة.

لكن أسسوا دولًا كما في الإباضية أتباع عبد الله بن إباض، هذا ظهر في أيام هشام عبد الملك وعمل دولة، وبعضهم هرب إلى المغرب وإلى ليبيا، ثم بعد ذلك أسسوا دولة اسمها الرستمية -دولة بني رستم- حكمت حوالي مائة وأربعين سنة.

وكانت نفس مبادئ الخوارج، هم يقولون إنها أقل الفرق غلوًا لكنها من الخوارج. حتى الإباضية الموجودة الآن طبعًا حصل لها تدهور في أشياء كثيرة واختلاط، لكن لها نفس المبادئ القديمة على الأقل. لكنهم لا يصرحون مثل الخوارج القدامى، يعني يقولون عن المسلمين الآن أنهم مسلمون، ويقولون في حكم مرتكب الكبيرة أنهم أهل توحيد، ولذلك يجيزون النكاح والزواج منهم، هذا تفعله الإباضية، ولكن الذي يموت من هؤلاء الموحدين قالوا هو ليس مؤمنًا بل كافر مخلَّد في النار!

يعني هو في الدنيا له أحكام الدنيا، نفس فكرة المعتزلة التي هي المنزلة بين المنزلتين، ولكن المعتزلة كانوا يسمونه فاسقًا، يعني يعطونه حكم الدنيا، فيجوز التعامل معه، وتجوز المناكحة وغيرها، أحكام الدنيا كلها ظاهرة عليه، لكن لو مات هو يموت على كبيرة فهو كافر مخلد في النار. فالإباضية يعتقدون ذلك، لأن بعض الناس يدلّس ويقول لا يقولون ذلك، ها هي كتبهم ومراجعهم الأساسية تقول ذلك، وأنهم يعتبروننا أهل توحيد، يعني المسلم المخالف لهم يقولون: اسمهم أهل توحيد. لماذا؟ لأن عندهم الشهادة، يشهدون (ألَّا إله إلا الله ومحمد رسول الله)، وعندهم أشياء يؤمنون بها هم يشتركون معًا لكن هم أهل توحيد، فيجوز التعامل معهم في كل شيء، لكن لو مات الواحد منهم يُخلَّد في النار.

يعني يعطيك حكمًا دنيويًا فقط، أما الأخروي فأنت في النار ومحروم من الجنة، يعني محظورة عليك إذا مت وارتكبت كبيرة. وطبعًا هم دخل فيهم الفكر الاعتزالي، معظم الفرق كلها توأمة مع الاعتزال في الاعتقاد، الشيعة الزيدية رغم عموم النص والإمام زيد وغير ذلك، حتى الشيعة الإمامية، فعقيدة المعتزلة هي التي طغت عليهم، في مسائل التأويل والأسماء والصفات وأشياء اعتقادية كثيرة. ومعظم اعتماد باب العقائد عند أهل البدع معظمه مأخوذ من المعتزلة.

أثّروا عليهم تأثيرًا كبيرًا جدًا، بسبب كثرة النقاش والجدال، فالمعتزلة كانت تعتمد على هذا فأثّروا فيهم، وأصحاب البدع تجده مرة معتزليًا أو خارجيًا أو معتزليًا وجعفريًا إماميًا، أو معتزليًا وزيديًا، إباضيًا معتزليًا، وهكذا. فأصحاب البدع تجد أن هناك توأمة وتقارب فيما بينهم.

ولذلك فهذه الإباضية التي ظهرت في تلك الفترة هذه موجودة الآن في سلطنة عمان، هذا هو المذهب الرسمي.

- أحد الطلاب: الإباضية خرجت من الخوارج؟

الشيخ: نعم هم أصلهم خوارج، عبد الله بن إباض من ضمنهم، حتى تجد في كتب الفرق كل من تكلم في هذه المسألة عدّ الإباضية من ضمن فرق الخوارج، نفس مبادئ الخوارج ولكنهم أخف في الأوصاف في بعض الأحكام. يعني عندما يقولون علينا أهل توحيد، لكن الأزارقة مثلًا لا يقولون بذلك، هو أصلًا يكفّر القعدة الذين هم أتباعه هو، الذين لا يجاهدون؛ يقول لهم انفروا في الجهاد ولم ينفروا يعتبرهم كفارًا وهم أتباعه! وهذا هو الخلاف الذي بينه وبين نجدة بن عامر لما قالوا لا نكفّر القعدة ويعذرونهم، فهذا خلاف حدث بين النَّجدات والأزارقة. والأزارقة كانوا من أكبر فرق الخوارج.

وهؤلاء هم الذين ذهبوا والنجدات إلى سيدنا عبد الله بن الزبير. بعض المؤرخين يقول إن سيدنا عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه– عندما خرج الأمويون وعبد الملك بن مروان والصراع الذي حدث، فجاؤوا وقالوا له نريد أن نقاتل معك ونجاهد معك لما كان عائذًا بالبيت في مكة. بعض المؤرخين يعيبون على عبد الله بن الزبير أنه لم يستفد من قدرات الخوارج، جاءوه وهم أقوياء أشداء وقال لهم: لا حاجة لي فيكم، يعني لأنه لم يكن ميكافيليًا انتهازيًا. فهم أول شيء امتحنوه قالوا له: نريد أن نقاتل معك ولكن بشرط: ماذا تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهم، وهم يترضون على أبي بكر وعمر ولا خلاف عندهم في هذه المسألة. وعثمان في النصف الأول، لكن يكفّرون سيدنا عثمان بعد ذلك. فهو ترضَّى عن عثمان وترضَّى عن علي وزجرهم زجرًا شديدًا، كيف أتبرأ من عثمان وأتبرأ من علي وهؤلاء أصحاب الهدى، يعني قال كلامًا طيبًا فنفروا منه. فقال لهم لا حاجة لي بكم، لا أريدكم.

الذين يعيبون عليه يقولون كان استغل وميّع السؤال، هم يحلّلون على طريقة الواقع السياسي المرير الآن، نظام الكذب والدجل وهكذا. يريدونه أن يكذب وتكون فتنة عظيمة أن عبد الله بن الزبير يسب عثمان ويسب علي بن أبي طالب ويتبرأ منهم، معناها أنه مثل الخوارج!.

وأنا رددت على هذه الشبهة منذ أكثر من عشر سنين في (مجلة المنهاج) في عبد الله بن الزبير المفترى عليه، للأسف من أهل السنة من يفتري على سيدنا عبد الله بن الزبير ويثير هذه الشبهات في بعض الكتب، حتى كتب التاريخ العامة للأسف الشديد ظلموا سيدنا عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه وعن أبيه–.

نأخذ بعض شبهات هؤلاء الخوارج:

ما الأدلة التي أتعبونا بها وأتعبوا العالم الإسلامي؟ يعني بعض الناس يقول الخوارج ظهروا هكذا بدون علم؟ لا، عندهم أثارة من علم. فمثلًا من شبهات الخوارج: أنهم يفسرون مسألة الإيمان أن تأخذه كله؛ فإن نقص منه شيء فلا يوجد إيمان أصلًا، هذا هو سر التعريف عندهم رغم أنهم أدخلوا العمل. هؤلاء اعتقدوا ذلك وجاؤوا بنصوص، هل عندهم أدلة؟ هل لدى الخوارج أدلة شرعية استدلوا بها على كفر هؤلاء؟ نعم لديهم أدلة، ولكن هذه الأدلة ردّ عليها العلماء من أهل السنة قديمًا وحديثًا ولا يزالون يردون.

هذه الشبهة لا يزال بعض حتى المتسكعين والمتنطعين والمغالين الذين ينتسبون إلى الخوارج يرددونها. والخوارج هذه لم تندثر بالمعنى، اندثرت بالاسم، لكن كحركة ظهرت مثلًا في مصر في السبعينيات على يد شكري مصطفى. شكري مصطفى كان مهندسًا زراعيًا يدرس في كلية الزراعة واعتُقل في فترة أيام عبد الناصر وتأثر بالتعذيب والهول الذي كان في السجون في تلك الفترة عندما اعتقلوا الإخوان المسلمين، وكان عبد الناصر يمارس التعذيب، فحدث في هذه الفترة جدال بين المساجين، فبعضهم كان يقول: الذي يعذبني هذا ليس مسلمًا، والآخر يقول له لا هو مسلم، جادلوا بعضهم في مسألة حكم عبد الناصر، كانوا يتناقشون في حكم عبد الناصر ولا يتناقشون في العموم. فبعضهم يقول هو كافر، وبعضهم يقول هو مؤمن، والآخر يقول هذا يعذبني فهل هذا دليل على الإيمان أو الدين؟

فبدأت هذه المسائل من خلال أثر التعذيب، فسبب خروج الخوارج وفكر شكري مصطفى كان بسبب معاناة التعذيب. قالوا هذا لا يفعله مؤمن، واحد يستهزئ بالقرآن، واحد يعذبني أنا كمؤمن، لأنني أصلي، ولأنني أريد الشرع وأريد الدين، ويعذبني لديني، فهذا هو سبب المشكلة عندهم. لكن المسألة كبرت وتضخّمت عند شكري مصطفى وكان شخصًا آثرًا جدًا وبليغًا وقويًا، فأثّر على أتباعه وكان يدرس في كلية الزراعة في جامعة الأزهر، وعمل رسائل كثيرة في الردود، وطبعًا ظل يتدرج في التكفير حتى كفّر للقرن الثالث!

وما كان يعترف بمصطلح أهل السنة، وعنده أشياء خطيرة جدًا ويأتي بأدلة، وأنا قابلت بعض الأتباع له وقد كانوا في الكتيبة الخضراء، والكتيبة الخضراء هذه كانت لتصفية الخصوم، يعني يجادلك إذا لم تعترف، يعني يقيم عليك الحجة في الدعوة فإذا لم تؤمن يصفّونك بالمطاوي، يضربوك أو يذبحوك، وعملوا مشاكل كثيرة جدًا وأثاروا الذُّعر.

والنظام استدرجهم أيام السادات حتى أعطاهم قطعة أرض، وقالوا نحن نريد الهجرة بعيدًا عن هذه المجتمعات الفاسدة!، لأنه كان له رسالة اسمها (التوسُّمات)، يقصد بالتوسمات أنه يتخيل أن هناك شيئًا سيحدث، هو كان يتخيل أن صراعًا سوف يحدث، أمريكا تضرب في روسيا وروسيا تضرب في أمريكا، وبالحرب النووية هذه يفنوا بعضهم البعض، والعالم يعود مرة أخرى إلى الأسلحة التقليدية والخيل، لأنه كان يؤمن بالأحاديث التي تتكلم عن الخيل، (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم)، فكان يؤوِّل مثل هذه الأحاديث.

يقول هم سيتحصنون في مكان معين ثم الناس ستتصارع والحرب النووية تقوم والعالم ينهار، فيقوم المؤمنون الموحدون من البداية، تبدأ البداية هنا كما بدأت أيام الصحابة، هذه (التوسّمات) رسالة كتبها يتوقع أشياء ستحدث في العالم. وهناك أشياء قالها قد تكون حدثت، مثل صراع وانتهاء اتحاد السوفييت لكن ليس كما تصور، وكان يتخيل أن يحدث انهيار، يعني الأسلحة النووية تنتهي ولا يوجد إلا أسلحة السيف والرمح وهكذا.

ثم بعد ذلك استُدرجوا أيضًا فقاموا بالاعتداء على رجل لم يكن حتى كوزراء الأوقاف في أيامنا هذه، يعني الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي، وهو رجل كان بسيطًا، وزير أوقاف، ولا يوجد مثل علي جمعة وهؤلاء القبوريين وبعض الذين يدافعون عن الأنظمة ويحاربون الخروج عليهم، يعني لم يكن حتى كطنطاوي، بل كانوا بسطاء، يعني وزير أوقاف حتى لا تشعر به.

فقاموا باختطافه من بيته ووضعوه في شقة ثم قتلوا الرجل -رحمه الله-. يعني حتى استفزاز وعوام الناس لم تتحمل، كيف تأتي إلى شيخ أزهري بسيط وتقتله، خطفوه من بيته وعملوا له تمثيلية هكذا وأخذوه، قصة حزينة واستخدمها النظام طبعًا استخدامًا مريعًا في ذلك الوقت. الإعلام المصري استخدمها بطريقة كبيرة، يقتلون أهل الإسلام، ويقتلون المشايخ، والعوام كانوا متضايقين. أنت كمسلم بسيط عندما كنا في تلك المرحلة كنا شبابًا بسيطًا هذا الخبر كان مرعبًا جدًا، عندما يختطفون الشيخ الذهبي وهو شيخ أزهري، أنا لم أكن أعرف من هو الشيخ الذهبي في تلك الفترة، هو شيخ أزهري فقط وهو وزير الأوقاف.

يعني أتوا إلى أضعف حلقة في النظام وقاموا بقتله. بعدها انتهت، حاصرهم الأمن وقضى عليهم، وقدمهم للمحاكمة، وأعدم شكري مصطفى ومعظم القيادات الكبرى، وناظرهم في المحكمة العسكرية مناظرة قوية، أتوا له بمجموعة من العلماء في الأزهر لم يستطيعوا أن يردوا عليه. كان رهيبًا جدًا ويناقش بمفرده في المحكمة، وكان هناك بعض المحامين

وغيرهم سرّبوا شرائط قديمة كان الدكتور عبد الله رشوان وغيره سرّبوا بعض الشرائط، فما كان يوجد الmp3 والتكنولوجيا هذه والموبايلات، فبعضها أخرجوه وكتب بعض الناس، لأن مرافعاته دُوّنت في المحكمة وهي مرافعة قوية جدًا، إذا لم يكن عندك خلفية جيدة في عقيدة الخوارج ممكن تتأثر بكلامه، ولذلك أثّر على كثير من الشباب، فقد كان قويًا جدًا وشخصية آثرة كما يُقال.

فهؤلاء ظهروا ولا يزالون. وهؤلاء الذين يعتقدون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار، هؤلاء لا يزالون موجودين سواء في مصر أو في الجزائر أو في الجزيرة وفي العالم الإسلامي، مجموعة من هؤلاء الذين يكفّرون، لا تزال موجودة كفرق خطيرة جدًا في الإسلام.

سنأخذ نقاطًا سريعة في شبهاتهم، وسنرجئ موضوع المعتزلة للمحاضرة القادمة -إن شاء الله-، لأن المعتزلة أيضًا فيها بعض الردود والتشعيبات الكثيرة، ولكن سآخذ نقاطًا من هذه المسائل عند الخوارج بصفة خاصة. يعني بالنسبة للخوارج استدلوا ببعض الأدلة على أن العصاة مخلدون في النار. و-إن شاء الله- في المحاضرة القادمة نتكلم عن معنى الكبيرة، لأن بعض العلماء قال ليس للكبيرة حد، والعلماء اختلفوا كثيرًا.

وفي كتاب (الكبائر) مثلًا للإمام الذهبي حاول أن يحصر الكبائر في سبعين كبيرة، ونحن نعلم في أحاديث السبع الموبقات، الكبائر سبع أو تسع. وبعضهم حصرها في ثلاثمائة أو أربعمائة كبيرة، والإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه (الزواجر) عن اقتراف الكبائر، كتب أكثر من حوالي أربعمائة كبيرة تقريبًا وقسّمها على الأبواب الفقهية.

والعلماء اختلفوا فيها كثيرًا ما هي الكبيرة بالضبط هل هي التي يترتب عليها وعيد، يترتب عليها نص بالحد أو هناك لعن أو الاستهتار بالذنوب، هل هناك تقسيم صغائر وكبائر؟ وجمهور العلماء يقول نعم هناك صغائر وكبائر {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ}، {إِلَّا اللَّمَمَ} يعني هناك صغائر.

فالمسائل فيها صغيرة وكبيرة هذا كلام مؤكد. ولكن لا يوجد معصية صغيرة في حق الله، يعني كل شيء حتى لو كان صغيرًا فهو في حق الله شيء كبير مستقبح. لكن من ناحية أن ذنبًا أكبر من ذنب.

واستدلوا بقول الله تعالى: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} فإذًا فهو مخلد في النار. وقالوا كلمة سيئة نكرة في سياق عام، كسب سيئة يعني أي سيئة، يعني معصية. معنى ذلك أن

الذي يرتكب سيئة يعني ذنبًا أنه مخلد في النار. أخذوا هذا النص العام. لاحظوا الخوارج يستدلون دائمًا بالنصوص العامة والكلام العام.

واستدلوا أيضًا بنص آخر: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}. قالوا: يعصِ الله أي معصية فهذا مخلّد في النار لو مات على ذلك.

وأيضًا من ضمن الأشياء التي استدلوا بها قالوا في آكل الربا {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، إذًا يتكلم في آكل الربا أنه خالد في النار أي النص العام. وحتى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

وهناك بعض الأحاديث عن الرسول ﷺ مثل: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)، (لا يدخل الجنة نمام) أخذوا السياق العام هكذا. و(أيما عبد أبق من سيده فقد كفر حتى يرجع). و(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر). فهذه النصوص التي اعتمدوا عليها حتى نص (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، (لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)، (ولا يشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمن). إذًا قالوا معناها أنه مخلد في النار لو مات على ذلك.

لكن هذه الأدلة العامة لما تأخذها هكذا قلنا لكم القرآن وِحدة واحدة، والتشريع منساق مع بعضه، لكن هذا الذي يعتمدوه على الأدلة العامة.

نأتي إلى الأدلة الخاصة، وهذا الخاص يقيّد العام:

انظر في الأدلة مثلًا: اعتمادهم أصلًا على مسألة قول الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا}، الله –سبحانه وتعالى– يقول: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}، وحديث الغامدية التي زنت وأقام الرسول ﷺ عليها الحد، وهذا الرجل ماعز الذي جاء فقال له أبِكَ جنون، أبك مس، أبك كذا؟ فقال الرسول ﷺ ارجموه. وهؤلاء حتى إن بعضهم لما قالوا لعنها الله، فقال: (لا تلعنها فإنها تابت توبة لو وُزعت على أهل المدينة كفتهم). أيضًا بالنسبة للسارق حتى في {فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ}.

فهم في مناقشة أهل السنة قالوا: لو المسألة أن السارق يدخل النار مخلدًا فيها، وهذا الذي يشرب الخمر مخلدًا فيها، فالسارق لو سلبنا منه الإيمان ويكون مخلدًا في النار فلماذا يقطع يده ولم لا يقطع رقبته؟ يقتله ردة لأنه مرتد. فهذا حد

لأنه لا يزال مسلمًا. شارب الخمر لماذا يجلده ولا يقتله؟ لأنه في هذه الحالة لم يخرج عن الملة، بمجرد الذنب أنه شرب خمرًا فهذه الحالة نحن عندنا أهل السنة نعتقد أنه حتى لو أصرّ فإنه لا يكفر، طبعًا ليس معناها الاستهتار، فإذا مات على ذلك وأصرّ على الكبيرة ومات عليها ولم يتب فإنه تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه، لكن لا يخلّده. عكس الخوارج يقولون يُخلد في النار دائمًا فيها.

حتى بالنسبة للأدلة الأخرى التي اعتمدوا فيها، الله -سبحانه وتعالى- سماهم إخوة {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}. بالله عليك أنا سأسمي القاتل أخًا؟ أصلحوا بين أخويكم الكفار؟ لكن هي أصلحوا بين أخويكم المؤمنين.

فهذه الشبه عند الخوارج. وطبعًا هناك شبه كثيرة جدًا، ولكن حتى لا نستغرق الوقت -فإن شاء الله- نستكمل هذه المحاضرة القادمة. وأنا أعطيتكم العناوين الأساسية في المحاضرة القادمة: الخامسة. طبعًا سنضطر نأخذ من الخامسة ونتكلم عن المعتزلة وعن شبهات المعتزلة والرد، وبعض المسائل الخاصة بالخوارج أيضًا حتى نهضم هذه المسألة جميعًا.

لكن يجب عليكم في النهاية أن تعتقدوا **أن أهل السنة لا يكفّرون بالذنب،** لا نكفر أحدًا بذنب ما لم يستحله. يعني هذه الذنوب الكبار، مثل ذنب الخمر، شرب الخمر واستحلّها يكفر، إذا شربها ولم يستحلّها فهو مرتكب كبيرة يُجلد إذا قُدم للقاضي، مات عليها هكذا ولم يتب عندنا أهل السنة فهو في حكم المشيئة إن شاء الله عذّبه وإن شاء عفا عنه وإذا عذّبه لا يخلده. هذا أهم شيء، أنا لا يهمني شبهات الخوارج وغيرها لكن يهمني ماذا نعتقد في هذا الموضوع.

ونحن نؤمن أن الإيمان من ثلاثة أركان: تصديق بالجنان (القلب)، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح. الثلاثة مجتمعات، لا ينفع تقسمهم عن بعض.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتغمَّدنا برحمته. وبارك الله فيكم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدرس الخامس

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الإخوة المكرمون ها نحن مع اليوم الثاني من شهر ذي الحجة لسنة ١٤٣٢ من الهجرة النبوية المباركة، ونحن أيضًا مع الدرس الخامس من الدورة الشرعية بعنوان (مسائل في الإيمان).

واليوم -إن شاء الله- سنتكلم عن **المعتزلة** كفرقة خالفت أهل السنة في أشياء كثيرة ووافقتهم في جزئيات معينة، ولكن لا بد أن نتعرَّف على هذه الفرقة بإلمامة سريعة ونظرة سريعة، وإلا مثلًا عندما تكلمنا في الدرس الرابع الماضي عن الخوارج لم نعطِهم حقهم، وتكلمنا فقط عن مسائل هامة عن الخوارج. ولكن سنتكلم فيما بعد عن الجامع بين المعتزلة والخوارج؛ لأن المعتزلة والخوارج يتفقون على مبادئ معينة وإن كانوا يختلفون مع بعضهم البعض في أشياء كثيرة، حتى إن المعتزلة فيما بينها انقسمت إلى أكثر من عشرين فرقة، وهي الفرق الرئيسية، ولكن هناك فرق منها ما انقسم إلى إحدى عشر فرقة للفرقة الواحدة، يعني ستجد هذه الفرق تنشطر وتنقسم لمجموع كبير جدا من الفرق.

سنتكلم عن المعتزلة الأوائل أو الفرق الشهيرة في الخوارج، ولكن لهم فرق عبارة عن فروع ونتوءات هكذا من الفرق تجمعهم مبادئ عامة. هذه التي سنتكلم عنها اليوم -إن شاء الله-.

• المعتزلة

طبعًا لن أبدأ بنصوص معينة في الإيمان اليوم بسبب أن موضوع المعتزلة يحتاج إلى تركيز قوي جدًا في البداية، وبعض النصوص وخاصة في الخوارج سأرجئها إلى آخر المحاضرة -إن شاء الله-.

أما بالنسبة للمعتزلة سنتعرف اليوم على نشأة هذه المعتزلة وكيف ومتى ظهرت. ونتكلم أيضًا عن أهم فرق المعتزلة لأنها ليست فرقة واحدة، ونتكلم عن المبادئ الأساسية التي لا يُقال عن رجل أنه مُعتزلي إلا أن يؤمن بهذه الأصول الشهيرة عندهم.

هذا رغم أن دورة الإيمان تتكلم فقط عن موضوع المعتزلة وعلاقتهم بمرتكبي الكبيرة وتعريف الإيمان لكن على طريقة (الطهور ماؤه الحِل ميتته)، فنحن سنزيد بعض المعلومات الخاصة على هذه الفرقة الخطيرة لأن لها أثرًا في واقعنا، ولأن هناك من العلماء والشخصيات المشهورة من علماء المسلمين بصفة خاصة من يهتمون بهذه الفرقة ويؤمنون بأنها هي من حررت العقل وأنها أعطت الفرد الحرية في الفعل، حتى الشيخ محمد عبده مفتي مصر الأسبق عندما كان يُحيي ويُمجّد في المعتزلة تمجيدًا نعتقد أنه غير مُبرَّر لأنه سنجد حقيقة هذه المعتزلة لها شعارات في منتهى الخطورة إذا طبقناها.

ولذلك تجد أن مجال الطعن في الإسلام دائمًا من هذه الفِرق، فِرق أهل البدع؛ فتجد مثلًا هؤلاء العلمانيين يهتمون كثيرًا بهذه الفرق الماركسيين يهتمون بها ويحيون هذه الفرق ويمجّدونها باعتبارها مدخلًا للطعن في الإسلام؛ بسبب كثرة تمجيد العقل عند المعتزلة، الناس فُتنوا بهم لما ظهرت العلمانية في الغرب حاول بعض العلماء أن يلفّقوا ويقولوا نحن عندنا ونحن أسبق منكم في تمجيد العقل وآمنوا بتمجيد العقل، فأحيوا كتب المعتزلة وخاصة المستشرقين الذين نشروا كتب هذه الفِرق، ولا يزال الحبل على الجرار في الطعن في الدين خاصة في هذا المجال، وسنجد هذه الأقوال الخطيرة جدًا في الدين من خلال بعض الآراء لهؤلاء.

بالنسبة للمعتزلة أولًا: **المراجع الأساسية للحديث عن هذه الفرق** هي كتب مشهورة معروفة: كتاب (الفَرق بين الفِرق) للخطيب البغدادي، كتاب(المِلل والنِحل) للشهرستاني، وكتاب(الفِصل) لابن حزم، وكتاب (طبقات المعتزلة) لأحمد بن يحيى بن مرتضى، ويُسمى الإمام عند الزيدية وهو من أئمة الشيعة الزيدية كتب كتاب (طبقات المعتزلة)

وتوفى سنة ٨٤٠ هجرية، والقاضي عبد الجبار وهو من أئمة المعتزلة ايضًا له كتاب (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، وله كتب كثيرة.

وهذه هي المراجع الأساسية، هناك مراجع أخرى في كتب التاريخ ستجد (تاريخ الطبري) و(البداية والنهاية) لابن كثير و(تاريخ الإسلام) للذهبي، وكتب التراجم ككتاب(سير أعلام النبلاء)ذكر معظم أئمة هؤلاء مذاهب وتكلم عنهم، كل هذه المصادر مجتمعة مصادر الفِرق.

ثم نأتي لكتب معاصرة مثل (مذاهب الإسلاميين) للدكتور مصطفى الشكعة، والدكتور سُهيل ذكار وغيرهم الذين كتبوا عن القرامطة، هذه الكتب كثيرة ومعاصرة، ولكن هناك بعض من يسرقون هذه الأفكار وينشرونها باسمهم رُغم أنه لا يُقدم شيئًا هو يأخذ قصًا ولصقًا!. لكن هذه الكتب إذا أردت أن تعرف شيئًا في الفرق فارجع إلى الكتب، والكتب مطبوعة الحمد. فالحمد لله المادة العلمية المرجعية ومصادر هذه الفرق موجودة، ولهم كتب ولهم أتباع ليومنا هذا.

بالنسبة للمعتزلة ظهروا أصلًا في أيام الدولة الأموية، وكان هذا في أيام الإمام حسن البصري وهو إمام مشهور من أئمة أهل السنة وتوفي سنة ١١٠ هجرية، في نفس السنة التي توفي فيها العالم الكبير ابن سيرين المنسوب إليه تفسير الأحلام، فهذا توفي قبله بثلاثة أشهر تقريبًا، فالإمام حسن البصري كان يعطي حلقة وكان يحضر عنده الناس، لأن الاعتزال والبدع ظهرت من البصرة، بداية المصيبة ظهرت من هناك.

كل المصائب ظهرت من هناك على فكرة من منطقة العراق فتن كلها ومشاكل، لذلك ستجد أمهات الفرق ظاهرة من هناك، والرسول ﷺ قال: (الفتن من ها هنا) يقصد المشرق، العراق ظهرت فيها هذه الفرق لأنها كانت على المحك وكانت تابعة للفرس قديمًا وفتحها المسلمون، بقيادة سعد بن أبي وقاص أيام سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر–رضي الله عنهم–، ولذلك لما انهارت دولتهم ظهر هناك التأثر بالجدل والديانات القديمة فأدخلوا هذه وتأثروا بها، منهم من تأثر عمدًا أو حاول أن يجانس الزنادقة الذين تكلمنا عنهم، ومنهم من تأثر بجهل فأعجب بهذه الطريقة التي تُثار عند المثنوية والديانات الزرادشتية وغيرها التي كانت في الفرس قديما.

ولكن الشاهد هنا أن الحسن البصري كان في المسجد ويجلس يعطي درسه، فدخل رجل كما يقول الشهرستاني وقال له: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، الكبيرة عندهم كُفر يُخرج عن الملة، وهم

وعيدية الخوارج. وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضُر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مُرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟ هذا هو نص السؤال.

إذًا رجل دخل على الحسن البصري في حلقته في المسجد وهو يعطي الدرس فقال له هذا القول: يا إمام الدين ظهرت في أيامنا فرقتان؛ فرقة تكفّر بالكبيرة، وفرقة ترجئ تقول لا يضر مع الإيمان معصية وهي المرجئة، يعني كما لا ينفع مع الكفر طاعة، متقابلتان، فما تقول؟ أنت في اعتقادك ماذا نفعل؟ نميل إلى هذه أم تلك؟ وهذا يدل على أن فرقة الخوارج أقدم فرقة ظهرت في الإسلام، أول فرقة ثم بعد ذلك المعتزلة ثم الروافض وغيرهم، لأن الروافض ظهروا بعد ذلك.

فالخوارج بدايتهم كانت أيام الرسول ﷺ ثم ظهروا أيضًا في مسألة التحكيم في سنة ٣٧ هجرية، يعني أقدم فرقة في تاريخ الإسلام ظهرت وأحدثت هذه الشُقة وهذا الخلاف هي الخوارج، ثم ظهرت المعتزلة وتأثروا من الخوارج في بعض المسائل. لكن ماذا قال الحسن البصري؟ فتفكَّر الحسن في السؤال وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء الغزال هذا التلميذ الذي هو صاحب المعتزلة يكاد ينسب إليه أنه أسس هذه الأفكار، ووضع فكرة المنزلة بين المنزلتين وتوفي سنة ١٣٠ هجرية، وكان ألدغ أي لا يستطيع نُطق الراء سليمة وله خطبة شهيرة عندما دعاهُ الوالي البصرة تلك الفترة، قال دعاه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وكان واليًا في ذلك الوقت.

يعني الأستاذ جالس لم يمهله فقام التلميذ وهو واصل بن عطاء فقال: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمنٌ مُطلقًا ولا كافرٌ مطلقًا بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يعني عمود من أعمدة المسجد ليُقرّر ما أجاب، وجمع الناس. طبعًا هو كيف يقول هذا وشيخه جالس لم يتكلم هو الذي أجاب ذلك، فالحسن البصري طرده عندما تكلم، وقيل أنه فقام إلى اسطوانة ركن آخر في المسجد والتف حوله جماعة من الناس ومنهم عمر بن عبيد المعتزلي الشهير، وهو كان أيضًا من النُساك والعباد تخيل عمر هذا نفى القدر وطعن في الصحابة بل فسّقهم ولم يقبل شهادتهم، خطير جدًا هذا الرجل، ويُعد في العُباد والنُساك، وكان يدخل هذا على أبي جعفر المنصور في أيام الدولة العباسية فيكرمه جدًا، وكان الناس يقولون هذا رجل مبتدع فكان يقول أبو جعفر المنصور كان يعطي الناس يأخذون ويطلبون العلماء أما هذا فكان لا يقبل عطايا أو مالًا من الخليفة، فالخلفاء كانوا يحبون

الذي يزهد فيما عندهم لذلك كان يقول: كلهم يبغي الصيد إلا عمر بن عبيد، يعني كلهم يريد مالًا إلا عمر بن عبيد.

فافتتن الناس به رغم أنه كان من أشد الناس بدعة وخطرًا وفسقًا، وسب الصحابة هذا المبتدع، سموه المبتدع الضال، فلا نغتر بالزهد كما قلت لكم لأن الزهد والورع الكاذب أحيانًا يضر ويُحدث فتنًا شديدة، وهذا حدث في تاريخ الإسلام للأسف الشديد.

فقال الحسن: "اعتزلنا واصل"، أو "اعتزل عنا"؛ فسُموا مُعتزلة بسبب قول الإمام الحسن البصري لواصل بن عطاء، وهذا المشهور. وقيل سبب التسمية أنهم اعتزلوا الأمة في أفكارها ومبادئها وعقائدها وخالفوا الأمة في أشياء كثيرة فسُموا معتزلة، ولكن السبب هذا هو البداية والسبب المشهور هو الحادثة التي حدثت في مسجد الصبرة على يد الإمام حسن البصري، والمؤسس الحقيقي للمعتزلة هو واصل بن عطاء.

إذا هذه هي بداية فرقة المعتزلة، ولها فرق كثيرة انقسموا إلى ٢٠ فرقة، ومعظم هذه الفرق تُكفّر بعضها بعضًا، سأعطيكم أمثلة شهيرة لا أستطيع أن أحصي كل الفرق، الفرق الشهيرة هي الواصلية يعني نسبة لواصل بن عطاء، والعمراوية وهي نسبة لعمر بن عبيد، والخابطية لواحد اسمه محمد بن خابط، والحمارية، الحمارية والخابطية هؤلاء من غُلاة المعتزلة كفّرهم المعتزلة قبل أهل السنة لأن هؤلاء الخابطية قالوا أن الله سيبعث نبيًا أعجميًا، وهذا النبي الأعجمي له كتاب موجود في السماء قرآن كامل يعني سينزل على هذا الأعجمي، طبعًا كفّرهم العلماء وقالوا لا يوجد إلا كتاب الله، والنبوة خُتمت بمحمد ﷺ، كفّرهم حتى المعتزلة، سماه العلماء من الغلاة الخارجين عن الإسلام، هذه الفرقة الخابطية والحمارية مثلهم من اسمهم، يعني تخيل حمارية ماذا ستقول يعني!.

وعندك من الفرق الهذلية أوالهذيلية لأبي هذيل العلاف الشهير، وفيه النظامية وفيه الإسكافية وفيه الجاحظية وهم أتباع الجاحظ الشهير صاحب (البيان والتبيين) و(الحيوان) وله كتب كثيرة، توفي سنة ٢٥٥هجريا وكان معتزليًا، وكان فيه دعابة كثيرة وكان دميمًا، يستهزئ كثيرا ويسخر من العامة ويسخر من الناس وهكذا، في كتاب (البيان والتبيين) ستجد هذه السخرية والاستهزاء، وله معتقدات كان منحرف العقيدة، الجاحظ هذا الذي يُمجدونه في كتب الأدب، نعم له في كتب الأدب طريفًا ككتاب (البخلاء)، ولكن في العقيدة منحرف الاعتقاد، وله فرقة اسمها الجاحظية.

وأيضًا فيه الجعفرية والبشرية والكعبية والبهشمية والمريسية والهشامية يعني أسماء كلها منسوبة للمؤسس.

وكل فرقة بالتفصيل ستجدونها في كتب الفرق سواء كتاب (الفرق بين الفِرق) لعبد القاهر البغدادي أو (الملل والنحل) للشهرستاني أو (مقالات الإسلاميين) للإمام أبي حسن الأشعري، هذه كتب عُمدة الفرق. هناك كتب حديثة تُطبع تجد فيها جدية وتجد فيها جهد عالٍ؛ لأنه عندما يأتي ليؤلف كتابًا في المعتزلة يقول معتزلة البصرة فيتكلم عنهم، لأن فيه معتزلة بغداد، ويعطيك الأفكار والفرق بينهم وبين معتزلة بغداد، فتشعر أن هناك قيمة علمية في البحث، أما الذي يأخذ قصًا ولصقًا أين القيمة العلمية أين تُناقش في هذا؟!

فهذه كتب أمهات الفرق، عشرون فرقة هذه الفرق الشهيرة.

لذلك المعتزلة لما قالو بهذا المبدأ: المنزلة بين المنزلتين في مرتكبي الكبيرة، بعض العلماء قالوا: لا هو كافر مطلق لأنه معه إيمان ولا هو مؤمن مطلق، يعني لا هو كافر مطلق ولا مؤمن مطلق، فهو فاسق بين المنزلتين، طب فاسق يعني إيش؟ قلنا يُعامل معاملة الدنيا يعني ممكن يُتزوج منه وممكن يتعامل معه المعاملات العادية كمسلم ولا يُحارَب ولا يُقاتَل، وهذا هو الفرق بينهم وبين الخوارج، ولكنه إذا مات في الآخرة هم يقولون أنه يدخل النار.

لذلك العلماء قديمًا سموهم مخانيث الخوارج، هذه المصطلحات كانت تُقال قديمًا، قالها العلماء على الجهمية قالوا: مخانيث الجهمية، فهذه مخانيث الخوارج لماذا؟! للذين لا يعرفون معنى مخانيث فهي من خنثى والخنثى هو الذي يولد ولا نعرف هو ذكر أم أنثى، بين بين، فأحيانًا يولد فيه عضو تناسلي ذكر ولكنه ضعيف، وأحيانا يولد بالاثنين معًا، فنحن لا نعلم نعامله معاملة ذكر أم أنثى، شكله ذكر لكنه أنثى وأحيانا شكله أنثى وهو ذكر وأحيانا الاثنين معا، فلا هو رجل ولا هو أنثى فهو خنثى، فالعلماء من باب التهكم على المعتزلة قالوا لهم: مخانيث الخوارج لماذا؟ فالخوارج كانوا رجال صرحاء كفّروا وريحوا قالك المرجئ كافر وداخل النار وكانوا يقاتلون أهل الإسلام، قاتلوا سيدنا علي بن أبي طالب وقاتلوا الأئمة والصحابة وقاتلوا التابعين ودول الإسلام، وقالوا أنهم كفار وكانوا متناغمين مع أنفسهم.

أما المعتزلة عبارة عن ألعبانات متلوّنين، يعني يقول أنه في الآخرة داخل النار أما في الدنيا أعامله معاملة المسلم لكن لا أقول عنه مسلما ولا مؤمنا وأقول عنه فاسق، ولم يحاربوا لذلك ولم يعلنوا حربًا ولم يُقاتلوا مثل الخوارج، الخوارج قاتلوا ودافعوا لذلك سموهم مخانيث لأنهم غير واضحين، هذه المصطلحات طريفة عند العلماء قديمًا من باب التهكم عليهم.

وأيضا المعتزلة لهم **مبادئ وأصول خمسة**، هذه المبادئ والأصول الخمسة لا تكاد تجد معتزليًا لا يؤمن بهذه الأصول، هذه الأصول كيف قرروها؟ من خلال المجادلات والمناظرات، حتى معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد كانوا يتناظرون فيما

بينهم في هذه الأمور، لذلك تولَّدت عنهم في النهاية هذه المبادئ الخمسة، ولذلك شرحها القاضي عبد الجبار فيما بعد في كتاب كبير ضخم (شرح الأصول الخمسة)، ما هي الأصول الخمسة؟ الأصل الأول عندهم: التوحيد، والأصل الثاني: العدل، والأصل الثالث: الوعد والوعيد، والأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين، والأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الأصول الخمسة لا يوجد معتزلي لا يؤمن بها.

(التوحيد) عندهم هذه مصطلحات لا تغتر بها، كتب العلمانيين في أيامنا هذه تمجّد هذه الأشياء، وما يصفونهم بالثوريين الجمهوريين لأنهم لا يشترطون القرشية وأنهم متحرِّرون ولا يوجد عندهم شيء، وهم أول ناس أمَّروا على أنفسهم امرأة، في حديث عن البخاري (لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)، الخوارج هم أول من ولَّى أمرهم امرأة وهي غزالة التي كانت تحارب الحجاج بن يوسف، نحكي لكم بعض الطرف؛ لما مات زوجها الشبيب فإنهم عينوها وكانت ملثمة وكانت تلبس مثل الرجل وكانت مقاتلة، وكان الخوارج يعلّمون نساءهم القتال؛ لأنهم أقلية والفرق دائمًا تشعر بالاضطهاد ولأن فيه إغارة عليهم كثيرًا ويخشون على نسائهم، فكانوا يعلموهن الفروسية أيضًا وكانوا يعتزلون أماكن وكانوا يقاتلون، وكانت المرأة تقاتل مثل الرجل عندهم بحيث إذا اشتبكوا مع خصومهم، لذلك هذه عينوها أميرة، ولذلك يفرح هؤلاء المنهزمون بمثل هذه الأشياء وهي أنهم عينوا امرأة عليهم، وماذا بعد؟ هي فشلت ودمرت وصاروا أثرًا بعد عين، هذا الذي حدث للخوارج.

المهم هم عندما يتكلمون عن المعتزلة لهم تمجيد أكثر، يعني هم يحيون الخوارج لأنهم جمهوريون وثوريون، أما المعتزلة فهم أصحاب الفكر المستنير وهم الذين أحيوا الفعل الحر والعبد حر بفعله وبإرادته وحرية الإرادة والفعل عند العبد، وإن العبد هو يخلق فعله، هؤلاء قدرية محضة، قدري ليس معناه أنه يؤمن بالقدر بل معناه أنه ينفي القدر، ينفي أن الله يخلق أفعال العباد، يعني يقول هذه الأفعال منسوبة إلي، وليس إلى الله –حاشا لله–، لذلك الإمام البخاري وهو توفي سنة ٢٠٦ هجرية أي في أيام الدولة العباسية، الإمام البخاري كتب كتاب (خلق أفعال العباد) ردًا على كل هؤلاءِ المعتزلة وغيرهم القدرية.

والتوحيد كان ردًا على المشبِّهة والمجسِّمة، فردوا عليهم بالتوحيد. والعدل ردوا على الجهمية، لأنهم اختلفوا مع الجهمية رغم أنهم اتفقوا معهم في بعض الآراء. في الوعد والوعيد ردوا على المرجئة ومسألة حُكم مرتكب الكبيرة. وفي منزلة بين

المنزلتين ردوا على الخوارج لأن الخوارج كانوا يقولون هي منزلة واحدة النار. في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المبدأ هذا كان في جدالهم مع الشيعة الإمامية لأنهم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

هذه هي المبادئ العامة الخمسة عندهم، وهي تُدرس في كلية الآداب قسم الفلسفة، ولطلبة الثانويات قسم الفلسفة، عندما يذكرون فرق المسلمين دائمًا لاحظ في كتب الفلسفة أو في الفرق يذكر أهل السُنة كفرقة تأخذ سطرين أو ثلاثة، ثم يأتي إلى المعتزلة فيشيد بها، ثم يأتي التلميذ يعتقد أنهم أهل الحق، وكانوا يتأثرون بهذا، يعني اقرأوا كتب الفلسفة قديمًا أو التي تُدرس في مدارس الثانويات على مستوى العالم العربي تجد مادة الفلسفة بها مادة الفِرق هذه والخلاف بينهم، تجد تمجيدًا للمعتزلة؛ لأن معظم الفلاسفة جاؤوا من المعتزلة، معظم الفلاسفة الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية هم الذين كانوا يحيطون بالخليفة المأمون هم من المعتزلة، الذين ترجموا كُتب اليونان هم المعتزلة، العلماء كأحمد بن دؤاد القاضي ومعه العلماء المحيطين به وحتى الوزير بن الزيات وغيره، كل هؤلاء من المعتزلة صار لهم سلطة.

الخليفة المأمون في آخر حياته تبنى فكر المعتزلة رغم أنه زيدي، تبنى أفكارهم وامتحن الأمة بجريمة شنعاء وبدعة سبَّبت قتل كثير من العلماء وسجنهم، آخر أيام الخليفة المأمون الذي توفي ٢١٨ هجرية، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم بالله توفي سنة ٢٢٧ هجرية، ثم جاء بعده الخليفة الواثق، وكان الخليفة الأمين قبل المأمون حكم ٤ سنين وحدثت فتنة بينهم وأيده هؤلاء في مناطق بلاد ما وراء النهر وغيرها لأنهم كانوا يعتقدون مذهب الزيدية والشيعية وأصحاب فتنة فتحمسوا للمأمون ودمروا الأمين وقُتل الأمين.

لكن الشاهد هنا أن الدولة تحولت إلى بدعة خلق القرآن، في معتزلة البصرة كانوا عبارة عن مناظرات كلامية وانتهى الأمر، أما معتزلة بغداد تحول الأمر عندهم إلى سلطة، كانوا قريبين من الخلافة حيث كانت في بغداد، واستعانوا بالخليفة وأقنعوا الخليفة أن هذا هو الحق، والخلفاء كانوا دائمًا يقاتلون ويجاهدون رغم هذه المصائب عند المأمون وغيره إلا أنهم يجاهدون وجيوشهم منتشرة، ولذلك العلماء قديمًا كالإمام أحمد بن حنبل لم يُكفِّر المأمون ولم يُكفِّر المعتصم ولم يُكفر الواثق حتى، لأنه قال أنهم يحمون بَيضة الإسلام ويدافعون عن الدين، واعتبر أنهم جُهّال وأن ابن أبي دؤاد أثَّر عليهم، يعني عذرهم وقال هذه جيوشهم تخرج وتحرر وتفتح الفتوحات فكيف أكفر هؤلاء، يعني هؤلاء كانوا يفتحون في البلاد والناس تدخل في دين الله، ولذلك الإمام أحمد لم يُكفِر هؤلاء الخلفاء رغم هذه البِدع، ولم يُحرِض على حربهم في ذلك الوقت.

ولذلك ربنا عاقبهم في أيام الخليفة المتوكل الذي جاء بعد وفاة الخليفة الواثق، الواثق قيل أنه تاب عن مسألة خلق القرآن في آخر حياته ولكنه كان غشومًا يزيد البطش بشدة ولم يُعمر طويلًا، ولكن جاء الخليفة المتوكل وانتصر لأهل السُنة وانتصر للحق وأخمد هذا ومنع بدعة خلق القرآن هذه، الناس كانوا يتبادلون الأسرى، يأتي على حدود بينه وبين تركيا مثلًا أو بلاد الروم ويقفون على جسر، هؤلاء أسرى الكُفار الروم النصارى وهؤلاء أسرى المسلمين، يسألون الأسير ماذا تقول في خلق القرآن؟ القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فإذا قال القرآن غير مخلوق قال خذوه!، تخيل يتركوه عند النصارى ويمتحنون الناس على هذا.

والعلماء اتخذوا حيلًا لأن المسألة خطيرة جدًا فيقول نعم هو أجاب بكذا، لأنهم كانوا يشفقون على الناس، بعض الولاة أيضًا كان فيهم عطف خاصةً وُلاة الشام كانوا يتعاطفون، وفي بغداد هم الذين يتحكمون في الدولة وقريبين من الخلافة، وطبعًا الأعين والتقارير ستأتي ضدهم ولذلك كانوا أشداء جدًا، الإمام البويطي عذبوه وهو إمام من الفقهاء المصريين وهو إمام قُتل شهيدًا، والإمام أبي نُعيم وغيرهم، قُتل ناس أفاضِل بسبب فتنة خلق القرآن، نحن نقول معتقد أهل السنة أن القرآن ليس مخلوقًا والقرآن كلام الله، لكن هم قالوا القرآن مخلوق وأدخلوا الناس في متاهة.

جيء بعالِم إلى الخليفة الواثق وعنده ابن أبي دؤاد وأساطين العلماء، وابن أبي دؤاد هذا قاضٍ خطير عالم فقيه شاعر أديب ليس سهلًا يعني، فقال له ماذا تقول في القرآن؟ القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال له العالِم: تعطيني الأمان في الإجابة؟ قال الخليفة: نعم أعطيك الأمان لا نغدر بك أجب بصراحة، فقال له: هذا السؤال أقد عَلِمهُ رسول الله ﷺ أم لم يعلمُه؟ فاحتاروا، قالوا: أجب ما هو لو قال يعلمهُ فسيقول: إذا كان يعلمه لماذا يُخبئه عن الأمة، وهذه بلوة عامة يمتحن بها الناس فيها كُفر وإيمان، وإذا قال أن الرسول لم يعلمه فاتهم الرسول بأنه لا يعلم وأنه يعلم أفضل من الرسول، ربنا سلط عليهم هذا الشيخ فكان أدهى منهم، ربنا وفقه إلى هذا، الخليفة محايد لا يتحمس إلى هذا أو ذاك، فقال: جاوب يا ابن أبي دؤاد وللعلماء هذا رجل وحده أجيبوه، هم الوزراء وعندهم القوة، فقالوا له فوّت هذا السؤال، فأثرت في الخليفة، قال اسأل سؤال ثاني.

قال: لقد وسع أصحاب النبي ﷺ والخلفاء من بعده أنهم لم يسألوا الأمة في هذا، فهلّا وسعك ما وسعهم؟ فضرب الخليفة رجله على الأرض وقال: فعلًا هل وسعني ما وسعهم؟! وظل متضايقًا جدًا من هذا، لذلك قيل أن الخليفة الواثق تراجع في النهاية عن مسألة خلق القرآن بسبب رجل شيخ لا يكاد أحد يذكر اسمه، وهذا الشيخ هو الذي

ناظر ابن أبي دؤاد، وفيه كتاب اسمه (الحيدة والاعتذار) وغيره وفيه مناظرات كثيرة جدًا في هذا الأمر، ولكن الشاهد هنا أنه خاطبهم بمثل طريقتهم.

ولذلك أهل البدع أصعب شيء تجادله فيها أن تخاطبه بالقرآن؛ لأنه مؤمن بالقرآن، لكن تخاطبه بالإلزام، فالشيخ هذا ألزمه، إذا كان الرسول ﷺ يعلم ولم يخبر أمته ويختبرهم في هذا الموضوع تختبرونهم أنتم وتكفرونهم أنتم!، يعني هي قضية عظيمة في العقيدة، كيف الرسول ﷺ لم يبلغها؟ والرسول ﷺ لا يسكت عن باطل. واذا لا يعلم فأنتم تعلمون والرسول لا يعلم؟ وألم يسعكم ما وسع أبا بكر وعمر وعثمان وكل هؤلاء الصالحين؟

ولذلك خمدت بعدها قوة ابن أبي دؤاد وقوة المعتزلة، لكن الخليفة الواثق مات، فجاء من بعده الخليفة المتوكل على الله الخليفة العباسي، وهو الذي أخمد هذا وأصدر مراسيم وشن حربًا شعواء على أهل البدع ولذلك يكرهونه، يكرهه المعتزلة ويكرهه الروافض لأنه هو الذي هدم لهم المشاهد والبدع، أخمدها حتى في مصر وفي كل دولة الخلافة، بعد أن كانت لهم قوة أيام المأمون بسبب الميول الشيعية عند المأمون. فهو أخمد كل ذلك لذلك يكرهه من يسمون العلمانيون الجدد.

ولذلك تجد بعض من يسمون بالمفكرين جيدًا في الرد على العلمانيين، والرجل جيد جدًا في الردود ولكن لا يزال أثر المعتزلة وحب المعتزلة عنده، عندما نتكلم عن محمد بن علي صاحب الزنج هذا الذي دمر وقتل وسفك الدماء واغتصب الحرائر الهاشميات وباعهم للزنوج، هذه ثورة الزنج الشهيرة التي حدثت في البصرة، ودمر دولة الخلافة فترة طويلة أكثر من ثمانية عشر سنة حوالي عشرين سنة تقريبًا، ورغم ذلك هذا يُمدَح ويُعتبر من الثائرين الأبطال ويعتبروهم ثوار الإسلاميين!، في كتاب للدكتور محمد عمارة يُمجّد هذا الرجل، أنا رديت عليه منذ عشر سنوات في كتاب (ثورة الزنج)، لي مقال كبير ضخم عبارة عن كُتيب اسمه (ثورة الزنج) ردًا على دكتور عمارة في مدحه لهذا الطاغية المجرم، والعلمانيون يمدحوه هذا المجرم، وفي كتب الدكتور محمد عمارة وفي برامجه في قناة اقرأ وغيرها عندما يأتي إلى الخليفة المتوكل يغض الطرف عنه ويتكلم عنه بالسوء ويتكلم عنه كأنه رجل نصوصي لا يفهم وليس له من عقل الخلفاء وأن آباءه كانوا أفضل منه.

أفضل منه في ماذا في الفتنة؟! أنت تقول المعتزلة كانوا أصحاب عقول وحرروا العقل، أي عقل هذا؟! هم حاربوا الناس، كانوا يسألون الناس حتى يعرضّوهم للفتن في بلاد الروم، الأسير يُسأل والذي لا يُجيب مثل ما يُجيب المعتزلة،

أي حرية عقل هذه التي يتكلم عنها هؤلاء الذين يمدحون المعتزلة؟! تمدحهم في حرية العقل؟ عندما تولوا السلطة استخدموا السلطة في البطش بالآخرين، أهانوا العلماء والفقهاء مفاخر أهل السنة، مفاخر علماء المسلمين كانوا في تلك الحِقبة أهانوهم، انظر إلى الإمام أحمد عندما يربطوه ويعذبوه ويجلدوه، كيف تجلد هؤلاء!، يُركبونهم على حمار أو ناقة من مصر إلى بغداد، الإمام البويطي وبعض العلماء، يركبوه مُقيدًا بالسلاسل والأصفاد، من أجل أن يقول الرجل القرآن مخلوق، ويأتي والي مصر ويقوله يا إمام قل أي شيء، لأن الوالي كان متعاطفًا مع الإمام البويطي وغيره، قال له: والله أنا لا أدلس على أمة مُحمد لو قلت هذا والتلاميذ يسمعونني كيف أترخص، والإمام أحمد كذلك كان يقول لابن معين وغيره: إذا ترخصنا نحن فبعد ذلك كيف سيؤخذ الدين؟ إذا كل عالم قال: أنا مضطر، المسكين العامي لن يترخص بل سيزهد في الدين وسيترك الدين.

يقول لك: أنا مضطهد، أنا خائف أن أُطرد من وظيفتي، رأينا الذين يميعون الدين، رأينا الذي يقول من أجل الجرين كارد من أجل الفيزا يجوز للجندي أن يلتحق في الجيش الأمريكي ليضرب الأفغان سنة ٢٠٠١!، تذكرون الفتوى الأمريكانية الشهيرة؟ بسبب هذه التراخيص، هل هذا عُذر للجندي؟! لأنه يُريد أن يعيش في أمريكا، حتى يُبين المُواطَنة، من أجل المواطنة من أجل الجرين كارد، من أجل الجنسية أقتل الأفغاني المسلم المسكين الفقير هذا من أجل أن يعيش هذا مُترفًا ويأكل الهامبرجر!، من أجل هذا يترخَّص؟! مع أن في الشرع عقوبة المُكرِه والمكرَه سواء؛ يعني لو وضع المسدس وقال لك: سأقتلك إذا لم تقتل فلانًا، إذا قتلت فلانًا فأنت وهو سواء، لماذا؟ لأن نفسك ليست أعزَّ من نفسه، يقول لك: أنا لو لم أقتله سيقتلني، طب ما تُقتل أنت لماذا يُقتل هو؟ هذا بإجماع الفقهاء لا يوجد عُذر فيها.

الحالة الوحيدة ممكن لو واحد ضربك بالمسدس وقال لك اضربه، اجرحه، عذبه، اعمل أي شيء دون إزهاق النفس وإلا سأقتلك، وإن كان هذا إثمًا عظيمًا أيضًا لكن ليس فيها إزهاق نفس.

أنا أقصد أن الترخص كثيرًا هذا هو الذي يُضيع الدين ويميع الدين، ولذلك العلماء لم يترخصوا، لما تأتي تناقش في أيامنا هذه يقول لك كيف العلماء يفعلون كذا؟! ممكن ناس تُخطِّئ الإمام أحمد، الإمام أحمد كيف يعمل هكذا؟ الناس أيامنا تقول له الشريعة غير مُطبقة، الناس يحكمون بقوانين نابليون، الناس يحكمون بقوانين أمريكا، الناس

يشرعون الربا، يقول لك: هو معذور!، انظر للإمام أحمد، الإمام يحيى بن معين عرض لفتنة خلق القرآن ولم يُصرح وعرَّض بمعاريض، والإمام أحمد لو عرَّض مثله فهو معذور أيضًا.

لكن لا الخلفاء ولا المعتزلة الأوائل كانوا يريدون أن تُبدَّل الشريعة، بل كان قصدهم أن ينزهوا الشريعة، الضلال هذا أوقعهم بسبب أنهم كانوا يريدون تنزيه الشريعة، حتى الجهمية كانوا يتأولون الأشياء، ولذلك من العلماء لم يكفروهم لماذا؟ لأنهم عندهم شبهة التأويل وهذه سنتكلم فيها فالشبهات فيما بعد-إن شاء الله-.

إذا هذا هو في المبادئ الخمسة. فيه هناك بعض الأشياء التي تجمعُ كل الفرق، أعطيكم بعض النقط مهمة جدًا حتى تفهموا من هم المعتزلة، المعتزلة لهم مصائب أخرى كما قال البغدادي وغيره ورد عليهم عندما قال من ضلالتهم. الذي يجمع المعتزلة هذه البنود الآتية، هؤلاء الفرق ما عدا الخابطية والحمارية، سماها أصحاب الفرق فضائح، الشيخ عبد العزيز سماها فضائح، والقاهر البغدادي سماها فضائح المعتزلة:

كل هذه الفرق تنفي عن الله-عز وجل- صفاته الأزلية، وقولها بأنه ليس لله -عز وجل- علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر، وزادوا على هذا بقولهم: إن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة. —معاذ الله-.

من مصائبهم أيضًا: استحالة رؤية الله-عز وجل- بالأبصار، وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره واختلفوا فيه، هل هو راءٍ لغيره أم لا. أعوذ بالله يعني تخيل يتكلمون عن الله خالق السموات والأرض خالق كل هذه المخلوقات العظيمة بهذه الجرأة!

ومنها اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله وحدوث أمره ونهيه وخبره، وكلهم يزعم أن كلام الله -عز وجل- حادث وأكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوق، ما معنى أن كلامه حادث؟ يعني القرآن مخلوق، يعني كلام الله مخلوق، هم يقصدون ذلك المعنى. وقولهم جميعًا بأن الله تعالى غير خالق لأجساد الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدِّرون، يعني الله لم يخلق أفعال العباد، يعني أنت تخلق أفعالك، هؤلاء أبطلوا مثل ذلك، القدرية وكانوا يسمونهم مجوس الأمة؛ لأن المجوس كانوا يؤمنون بإله الشر وإله الخير والنور والظلمة، النور خالق كل خير والظلمة يفعل كل شر، فمعناها هؤلاء يتشابهون بأن الله يخلق الخير المحض أما الشر لا يخلقه. طيب الله هو الذي خلق جبريل وخلق إبليس وخلق الخير وخلق الشر، الله الذي خلق الحياة وخلق الموت، الذي يقدر يخلق هذا يخلق هذا.
فهم ينفون عن الله-سبحانه وتعالى- ذلك.

ومنها اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام أن له منزلة بين منزلتين -التي تكلمنا فيها-.

وفي أشياء أيضًا قالها الواصلية، أتباع واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة وزعيم البدعة الكبير، وطبعًا مُتأثرون بمعبد الجهمي وغيره من القدرية القدامى هو وعمرو بن عبيد، عمرو بن عبيد هذا وواصل بن عطاء قالوا: الصحابة الذين اختلفوا مع بعض سواء في الجمل أو صفين سموهم فاسقين، فالخوارج كفرّوهم، أما هؤلاء هم يؤدون في النهاية إلى الكفر في الآخر لكن يصفه بالفسق، ولذلك يقولون -انظر جرأة عمرو بن عبيد هذا وواصل!-: لو أن عليًا أو طلحة جاء فشهد عندي في باقة بقل-حزمة بصل ولا فجل ولا جرجير- لا أقبل شهادتهما، أعوذ بالله تخيل!، هو يُفسّق الفرقتين لا على التعيين يعني، لكن لو جاءني اثنان من الفرقتين أنا لا أقبل شهادتهما لأني لا أعلم من فيهم الفاسق بالضبط.

وعندنا واحد مصيبة اسمه أبو هذيل العلاف، هذا سبّ الصحابة وسب فقهاء الأمة والتابعين وسب سيدنا أبا هريرة وطعن في سيدنا عُمر، وكان يميل هو والنظّام إلى الشيعة في فكرة التشيع، لذلك ولذلك بعض العلماء منهم-سبحان الله- كفروه، بسبب بعض المقولات لأنه قال أشياء غريبة جدًا.

أبو هذيل العلاف توفي سنة ٢٣٧ هجرية وبعضهم يقول ٢٣٥ هجرية، أبو هذيل كفَّرته معظم المعتزلة، المعتزلة كفروه أيضًا رغم أنه شيخ من شيوخ المعتزلة الكبار، لأنه قال إن مقدورات الله تفنى، وأن الله لا يقدر على أن يُحيي ويُميت والجنة والنار ستكون في حالة سكون وانتهى الأمر، يعني كل شيء بعدما الناس تدخل الجنة والنار سيفنى، طبعًا الجهمية قالوا بفناء الجنة والنار، وممكن ربنا يخلق مرة أخرى، نحن نقول كأهل السنة موجودتان ومخلوقتان نؤمن بهذا الله يقول: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} أعدت يعني موجودة، فَهُم يقولون بفناء الجنة والنار.

المعتزلة يقولون: كل هذه الأشياء ستفنى والجنة والنار يحدث لها سكون.

وأبو هُذيل العلاف هذا سلَّط الله عليه عقله، هو كان عقله جبار ولكن في الباطل، يعني لأشياء غريبة جدًا، والجماعة ردوا عليه، أيضًا النظّام ابن أخت العلاف، مُتوفى ٢٢٣ هجرية تقريبًا أو ٢٢١، والنظّام هذا شيخ الجاحظ، سلالة من المبتدعين والضالين يورثون الضلال لبعض. لكن العلاف كفَّر النظَّام، كفَّر ابن أخته لأنه قال بشيء خاص غريب آخر، يعني هذا كافر في شيء والآخر كفَّره في شيء آخر، يؤمنون أن الله -سبحانه وتعالى- ليس له صفات، وأن صفاته ذاته، يعني العلم ليس معناها أن يكون عالِمًا، القدرة ليس معناها قادِر، لكن يقول أن الله صفته ذاته لا يوجد

صفات لله، أستغفر الله العظيم، شيء لا شيء، هذه الخطورة في هؤلاء الناس، طبعًا العلماء ردوا عليهم بالتفصيل في هذه.

أنا لا أريد أن أطيل عليكم وأرهقكم لكن أنا أعطيكم أهم مبادئ هؤلاء المعتزلة، وهي موجودة مدسوسة. قلت لكم القاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هجرية له كتاب (شرح الأصول الخمسة) كتاب مطبوع حققه الدكتور عبد الكريم عثمان، وله كتاب (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) وكتابه محقق ومطبوع.

نختم هنا في نهاية المعتزلة، المعتزلة طبعًا فيه أيام الخليفة المأمون لما ظهروا وكانت لهم قوة ودولة، دخلوا في بلاد المشرق وانتشروا في المغرب الإسلامي، قلت لكم بعض علماء المعتزلة المشاهير تعلمونهم، وأيضًا فيه معتزلة مشاهير من أشهر علماء وخاصة في بغداد بشر بن المعتمر وثمامة بن الأشرس وأبو موسى المردار وجعفر بن مبشر، أبو موسى المردار وجعفر بن مبشِر هم الذين كفروا النظام وكفروا أبو هذيل العلاف وجعفر بن حرب وأحمد بن أبي دؤاد القاضي الشهير المتوفى سنة ٢٤٠ هجرية، ربنا سلط عليه الشلل النصفي هذا أو الشلل ومات مُعذبًا وأهانه، أخذ منه الخليفة المتوكل كل أملاكه بعد ذلك، كما فعل في العلماء، ربنا-سبحانه وتعالى- سلط عليه الخليفة المتوكل وأمرضه الله في جسده صار روحًا في صندوق بسبب أنه أصيب بالشلل الكامل بسبب افترائه وتدميره للإسلام والمسلمين.

وهؤلاء المعتزلة بعد وفاة الخليفة المأمون كما قلنا لكم المعتصم صار على دربه ثم صار بعد ذلك الخليفة الواثق وبعد ذلك هذا الاعتزال في البصرة تأثر هناك المعتزلة في بغداد، فامتحنوا الناس ودمروهم ونشروهم في بلاد ما وراء النهر وغيرها. لكن هؤلاء ظهروا أيضًا لما انتهت مسألة خلق القرآن وأهانوا الناس، فلما بويع الخليفة المتوكل العباسي سنة ٢٣٢ هجرية وأنهى أسطورة المعتزلة بعد ذلك، وفي النهاية ظهر للسلطان بعض الناس انتقموا منه، حصل انتقام منهم بسبب الذي فعلوه وهذا حدث في أيام السلطان العظيم، سلطان من السلاطين الكبار محمود الغزنوي -رحمة الله عليه- هو توفي سنة ٤٢١ هجرية، هذا فاتح الهند من جديد ودوخ أهل الوثنية، ولكن ظهرت الوثنية من جديد والعلماء والسلاطين كانوا يتراخون معهم، فهذا السلطان قام بحملة لوأد الوثنية، وحرر مدائن كثيرة جدًا ونر مذهب أهل السنة في منطقة أفغانستان وما وراء النهر، كل هذه المناطق السلطان الغزنوي محمود الشهير-رحمة الله عليه-.

هذا الرجل لو عاش طويلًا لكان معظم الهند عادت الآن، ظلت عشر قرون تبعًا لدولة الإسلام، الهند هذه كل هذه كانت تبع الإسلام أصلًا، الذي دمرها تراخي علماء المسلمين وتراخي السلاطين، طبعًا التتار لما دخلوا في الإسلام

وأسلموا كانوا مُتميعين، تحولوا إلى شيعة في الأول ثم بعد ذلك جاء رمزي أحسن سلاطين دخلوا في الإسلام وصاروا سُنة، إلى أن جاء البريطانيون ودمروا كل شيء وخربوا في أيام السلطان رمزي الذي حكم أكثر من خمسين سنة هذه البلاد، ولكن هذا السلطان قام بمحاربة المعتزلة وحبسهم ونفاهم كما فعلوا بغيرهم، وحرم نشر هذا المذهب في تلك الفترة، وبين خطره وضرره في بلاد هناك فالهند وأفغانستان ومناطق، ولكن فيه بعض الناس بعده بقرن ظهر الزمخشري الشهير صاحب كتاب (الكشاف) كان معتزليًا وتوفي سنة ٥٣٨ هجرية.

لكن لما انتشرت هذه المحنة –خلق القرآن– هرب بعض الناس وتأثروا بسبب تلاقي مواسم الحج، ناس تلتقي مع بعض، ناس راحوا ذهبوا إلى شمال إفريقية في المغرب الإسلامي وفي تُونُس ظهرت هذه البدعة، ولكن كان العلماء المالكيون من أشد الناس عداءً لأهل البدع، علماء المالكية القدامى بصراحة كانوا أفضل من علماء المالكية الحاليين، علماء المالكية كانوا موحدين ولم يكن فيهم هذه البدع، في القرون الأولى كانوا هم الذين تولوا الحرب على كل هذه الفرق وحاربوا المعتزلة لما دخلت في تونس في ذلك الوقت، وهم الذين حاربوا بني عُبيد وقُتل معظم العلماء وقاموا بثورات عديدة ضد بني عبيد، هم علماء المالكية، ولهم فتاوى شديدة جدًا وقوية جدًا –رحمة الله عليهم–.

هؤلاء العلماء كانوا أجلاء جدًا في الفترة تلك وحاربوا المعتزلة، ثم بعض المعتزلة دخلوا إلى المغرب الأوسط الجزائر واحتموا ببعض القبائل، فكان منهم تقارب بينهم وبين من في المغرب الأوسط؟ كان بينهم وبين الدولة الرستمية والدولة الإباضية في تلك الفترة، فتأثروا لأن فيه بين المعتزلة والإباضية والخوارج توأمة فكرية وعقدية، ولذلك تأثروا هناك حموهم في المغرب الإسلامي في الأوسط وهو الجزائر وهربوا أيضًا هناك في دولة الأدارسة وعاشوا هناك في قبائل أوروبا وغيرها هي التي كانت تُدين بهذا المذهب، مذهب الاعتزال كان في المغرب الأقصى الإخوة هناك عند مراكش قبل دولة ابن تاشفين هذا كان قبل تأسيس دولة المرابطين.

في هذه الفترة ظهر العبيديون فقضوا على كل علماء المالكية ونشروا مذهب التشييع في ذلك الوقت، لكن في تلك الفترة المعتزلة ظهروا فعلًا في هذه البلاد وحاولوا أن يُوجدوا لهم دولة حضّانة احتضنتهم فقط في الجزائر ودولة الأدارسة احتضنتهم أيضًا، ولكن زالوا معها.

في المشرق كان الصاحب بن عبّاد وكان شاعرًا أديبًا شهيرًا، وطبعًا فترة وجيزة ثم بعد ذلك انتهى الصاحب بن عبّاد، وكان يُدافع عن المعتزلة، وانتهت بعد ذلك أسطورة المعتزلة في التاريخ فلم تبقَ إلا أفكارهم ولم يبقَ إلا كُتبهم ومبادئهم

التي تسببت فيما بعدها، لذلك أنا أقول الذين فتحوا شهبة العلمانية وشهبة الطعن في الدين هم المعتزلة لأن هؤلاء كل من حاول أن يجد أي شيء يلتمس في الدين لم يجدوا إلا المعتزلة، لأن المعتزلة بصفة خاصة تكلموا عن تحرير العقل ففُتن الناس بالعقل وظنوا أن العقل حاكم على الشرع، ولذلك الذي ضيَّع المعتزلة أنهم من كثرة تحرير العقل وهو عبارة عن تدمير العقل، لما تحرر العقل كأنك تُكلم نملة لتحمل جبلًا؛ يا أخت نملاية شيلي الفيل! العقل كيف سيستوعب هذا كله؟

فالعقل له حدوده فهؤلاء دمروا، انظر ماذا فعلوا كانوا يتكلمون عن الله –سبحانه وتعالى– بهذه الجرأة، نفوا القدرة عن الله، بعدما الناس تدخل الجنة والنار وهكذا لا يقدر أن يُحيي ميتًا ولا يميت حيًا، بل إنهم وصفوا كما وصف النظّام لو أن طفلًا أو عصفورًا أو حيوانًا كان واقفًا على شفير جهنم لا يقدر الله على أن يأمره أن يدخل أو لا يدخل هو ممكن يقدر على نفسه فقط، تخيلوا! يعني الله لا يستطيع يقول له أدخل أو لا تدخل، بل إنهم –المعتزلة– قالوا أشياء غريبة جدًا ذكرها أصحاب الفِرق، خزعبلات، ولذلك أنا اتمنى عندما نناقش هؤلاء الذين يزعمون العقل ويُمجدون العقل أن العقل السليم لا يتناقض مع الشرع، وإلا أنظروا إلى سورة الأنعام إلى سور القرآن التي تتكلم حتى في العهد المكي عندما تُناقش الكفار تُناقشها بمبدأ ماذا؟ العقل والنظر والاستدلال، ما كان يخاطب الكفار بآيات قرآنية بمعنى يؤمنوا بهذا والسارق يُقطع، كل هذا في المدينة لكن معظم الآيات سور القرآن المكية تتكلم في جدال عقلي ونظر واستدلال.

العقل هو مناط التكليف أصلًا، المجنون عندنا فالشرع لا يُكلف وغير محاسب عند الله، والله–سبحانه وتعالى– يعفو عنه، أما بالنسبة أن عامل العقل هو مناط التكليف أنك تصلي وتصوم وتعرف وتُحاسَب هذا العقل، لكن هم فتحوا العقل وقالوا ماذا؟ قالوا إن يدخل الجنة، قالوا إن ابن رسول الله ابراهيم–عليه السلام– وأطفال المؤمنين ليس لهم تفضيل ولا درجة ولا أفضلية عن العقارب والثعالب والثعابين والخنازير والكلاب والحشرات، وكل هؤلاء سيدخلون الجنة، والله يصدقون هذا، ولذلك قال لهم الإمام البغدادي عبد القاهر: "نسأل الله –سبحانه وتعالى– من يعتقد في هذا الرأي ادعُ معي: اللهم احشره مع الخنازير والكلاب والقطط والثعابين والحشرات، قُل آمين"، ويتهكم عليهم، المعتزلي يقول أن الحيوانات ستدخل الجنة، مساكين لماذا لا يدخلون الجنة؟! طيب هي ليست مُكلفة بشيء، نؤمن أنها ستكون رمادًا انتهى أمرها، ولا تّعذب. هل يُعقل يقول لك ابن رسول الله إبراهيم وأبناء الأنبياء يتساوون مع الخنازير والحشرات في الجنة وأنهم يدخلون معهم؟! أعوذ بالله، أي شطط وانحراف وغلو وكفريات هذا!

هؤلاء هم المعتزلة الذين يُقدسهم هؤلاء العلمانيون، وللأسف بعض المشايخ يقول لك: المعتزلة نعم نحترم بعض الآراء التي يقولونها، أنت لم تقرأ في المعتزلة جيدًا ولم تعرف فحوى جعبهم ولم تعرف ماذا يقولون، عندما يقولك التوحيد والعدل، يقصد بالعدل ماذا؟ يقصد العدل نفي القدرة عن الله، يقول لك يؤمنون بالعدل!، هم يؤمنون بالعدل الذي في أدمغتهم، هم عكس العدل والمساواة الذي تقصده، ولكنه معنى العدل عندهم ينفون القدرة أن الله يخلق أفعال العِباد، أعوذ بالله هذا الذي تؤمن به؟ وتغتر بسبب الخطابات والجِدال.

طبعًا المعتزلة تأثروا بالكتب التي ترجموها عن اليونان والفلسفة وهم الذين أدخلوا لنا هذه البدعة، هم الذين دمروا البنية العقدية في العالم الإسلامي؛ لأن بترجمتهم ما يسمى (دار الحكمة) التي أنشأها الخليفة المأمون هذه فلسفتها، العالم الإسلامي قبل هذه الفتنة كان سليم العقيدة، هذا الجدل وهذه النظريات ظهرت لنا كل هؤلاء جميعًا بسبب هذه الفتنة التي أحدثها المعتزلة، انظر خطورة المعتزلة أخطر من الخوارج، الخوارج يعني ظاهرون واضحون، له مبادئ معينة تستطيع تكتشفها بسهولة، لكن المعتزلة لهم أفكار وآراء، يدخل والتواء في عرض الفكرة، هم في منتهى الخطورة بسبب استخدامهم هذا العقل.

هذا هو الذي استطعنا أن نُدندن حوله اليوم في موضوع المعتزلة، أرجو أن اكون قد استطعت أن أوصل الفكرة -بفضل الله-.

أما موضوع قصة واصل بن عطاء في نص الخطبة، حتى لا نرجع إليه مرة أخرى، واصل بن عطاء هذا وُلد سنة ٨٠ هجرية، هو كان ألدغ وله خطبة شهيرة لأستاذنا المحقق الدكتور عبد السلام هارون -رحمة الله عليه-، كان له كتاب (نوادر المخطوطات) نشر هذه الخطبة وأشار إليها المبرد في (الكامل) وغيره من أصحاب الفِرق، هو ذكر خطبة طويلة ولم يذكر فيها حرف الراء نهائيًا، يعني أنا أتحدى أي واحد يتكلم الآن ولا يذكر حرف الراء لمدة مثلًا خمس جُمل وانظر أنت ستذكر الراء أم لا!

أنا لن اقرأ الخطبة كاملة، طبعًا هي فيها بعض الأخطاء العقدية، لكن أنا سأقرأها كنص بأمانة، يقول:

"الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية، الذي علا في نموه ودنا في علوه، فلا يحويه زمانٌ ولا يُحيط به مكان ولا يؤوده حِفظ ما خلق، ولم يخلقه على مِثال سبق.

أوصيكم عِباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته ومجانبة معصيته، فأحضكم على ما يُدنيكم منه ويزلفكم لديه، إن تقوى الله أفضل زادٍ وأحسن عاقبةٍ فيه معاد، ولا تُلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخُدعِها وفواتن لذاتها وشهوات آمالها.."، وكلام كثير.

"أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع وأوثقوا الأبواب وكاثفوا الحِجاب وأعدوا الجِياد ومَلكوا البلاد؟"، وكلام كثير.

"فتزودوا عافاكم الله، فإن أفضل الزاد التقوى ،واتقوا الله يا أولي الألباب". هل لاحظتم راء هنا؟ لا يوجد راء نهائي، "أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي"، لم يقل من الشيطان الرجيم، "إن الله هو السميع العليم، بسم الله الفتاح المنان، {قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد}، أنفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم وبالآيات والوحي المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم، وأدخلنا جنات النعيم، وأقول ما به أعدكم وأستعتب الله لي ولكم".

وانتهى، لاحظتم راءً؟ هذه طبعًا خطبة طويلة، وانظروا النباهة والذكاء، أهل البِدع كانوا أذكياء لكن أهل البدع أيامنا هذه في مُنتهى الغباء والحماقة، ولا يحسنون كلامًا ولا لغةً ولا شيء، يُحسنون السُحت والسرقة والتضليل ومسح الذقون وهكذا، لكن هؤلاء كانوا عُلماء، وبلغاء ولكنهم ضلوا في الدين وانحرفوا بسبب هذه العقيدة، ولذلك فإن واصل بن عطاء قلنا لكم أنه تُوفي سنة ١٣٠ هجرية وهو سبب الفتنة وأصل المعتزلة، وهو الذي وضع هذه المبادئ وتبناها من جاء بعده.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتغمدنا برحمته وأن يُعلمنا ما ينفعنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدرس السادس

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}،{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الإخوة المكرمون ها نحن أولاء مع اليوم الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة من سنة ١٤٣٢هـ، نحن أيضًا مع الدرس السادس من دورة الإيمان، وسيكون الدرس اليوم حول **الأشاعرة**.

• الأشاعرة

وكنت أحاول أن أجمع بين الأشاعرة والماتريدية اليوم ولكن لأن الأشاعرة يحتاجون إلى وقت كافٍ وكبير، فلذلك آثرت أن يكون الكلام اليوم -إن شاء الله- حول الأشاعرة، والدرس السابع -إن شاء الله- نتكلم عن العلاقة بين الأشاعرة والماتريدية، ونتكلم عن الماتريدية أيضا بشيء من الإيجاز غير المخل، نظرًا لأن هناك توأمة فكرية وعقدية؛ فالماتريدية شقيقة الأشاعرة، فإذا تكلمنا عن الأشاعرة فكأنك تتكلم عن الماتريدية إذ أن الخلاف بينهما في مسائل محدودة لاسيما في مسألة القدر.

أما اليوم سنتكلم عن الأشاعرة، وقد جمعت حوالي عشرين نقطة لأتكلم فيها، فأولا أتكلم عن نبذة عن مؤسس المذهب الأشعري والمنسوب إليه هذا المذهب، وهو أبو الحسن الأشعري -تكلمنا عنه من قبل-، وهو المتوفَّى سنة ٣٢٤هـ، ونتكلم عن المتقدمين من الأشاعرة كأبي الحسن الأشعري نفسه، والطبري وهو أحد تلامذة الأشعري، والطبري المقصود هنا المتوفَّى سنة ٣٨٠ هـ، وليس الإمام الطبري الذي على عقيدة أهل السنة والجماعة وهو ابن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ صاحب التفسير والتاريخ، فهذا على عقيدة أهل السنة والجماعة. وأيضًا من المتقدمين الباقلاني المتوفَّى سنة ٤٠٢ هـ، وابن فورك من الأئمة الكبار عند الأشاعرة والمتوفَّى سنة ٤٠٦ هـ، ونتكلم أيضًا عن الفارق بين المتقدمين والمتأخرين من الأشاعرة، وعن المتأخرين كالرازي المتوفي سنة ٦٠٦ هـ والآمدي المتوفي سنة ٦٣٠ هـ، ونتكلم عن الآجري المتوفي سنة ٧٠٦ هـ، و كان معاصرًا لشيخ الإسلام ابن تيمية، ونتكلم عن السبكي والشهرستاني والجويني وابن عساكر. هؤلاء أعلام المذهب، ومنهم الذين ينسبون إلى أهل الحديث كالحافظ ابن عساكر المتوفي سنة ٧١ هـ، و الإمام البيهقي وغيره.

وسنشير على عجالة إلى الأطوار التي مر بها أبو الحسن الأشعري، وأنا تكلمت عنها في محاضرة سابقة، وقلت أنه تعرض لثلاثة أطوار في حياته ،عندما كان معتزليًا إلى سن الأربعين، وأخذ الاعتزال وتعلمه على يد زوج أمه القاضي عبد الجبار، ثم بعد ذلك انتقل إلى الكُلّابِيَّة وأخذها عن أبي محمد بن سعيد الكلابي، ثم بعد ذلك انتقل إلى الاستقلال وهو خليط من الكلابية على بعض المسائل المتفق مع أهل السنة والجماعة، فصارت هذه الأشعرية التي تكلم عنها سواء في كتابه (الإبانة) الذي لم يعجب الأشاعرة المتأخرين، هو وكتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) الذي أثبت فيه أشياء كثيرة جدًا تتفق مع أهل السُّنة في مسائل اعتقادية.

ونتكلم أيضا لماذا كان ابن تيمية -رحمه الله- يحتجُّ بكتاب الحافظ ابن عساكر عندما كان يناظر الأشعرية في زمانه؟ والكتاب هو كتاب (تبيين كذب المفتري)، فهل في هذا مدح للكتاب؟

ونتكلم نبذة عن أشهر أقوال العلماء في كتبهم كالباقلاني والجويني والآمدي والرازي وغيرهم، ونتكلم عن تعليلاتهم الباردة في مسألة السجود لصنم، وتعليل الرازي وتفصيله في هذه المسألة على عجالة. وهناك أيضًا فارق وتناقض بين العلماء المتأخرين مع أبي الحسن الأشعري نفسه في مسألة الاستثناء في الإيمان وفي مسألة العلو ومسائل أخرى، هناك

أيضًا شبهة قيلت عن ابن فورك وسبب مقتله من قبل السلطان محمود بن سبكتكين، قيل أنه قتله سنة ٤٠٦ هـ، قيل أنه قال قولًا شنيعًا عن رسول الله ﷺ.

هذه الشبهة سنطرحها -إن شاء الله-. وهناك أيضًا مسألة سنتكلم عنها: هل كان ابن حجر العسقلاني والنووي وهؤلاء العلماء البارزون من أهل السنة أشاعرة فعلا؟ وهل كانوا ملتزمين بالمذهب الأشعري فعلا؟ بعض الناس تتهمهم أنهم أشاعرة هل كان هذا الكلام حقيقيًا؟

وعرف عن المتقدمين لهم أنهم يثبتون أشياء في الأسماء والصفات، يقولون في الصفات الخبرية والاختيارية ويثبتون سبع صفات، وباقي الصفات يؤولونها، ما معنى صفات خبرية وصفات اختيارية؟ ولماذا خالفوا في هذه المسائل؟ وهي مسألة مهمة يكاد يكون شبه مستقر عن المتأخرين في عقائدهم.

وأيضا نتكلم عن أحد المسائل الهامة —وهو ما يتعلق بدورة الإيمان—: حصرهم الإيمان في التصديق القلبي ولو لم ينطق بالشهادتين، سنتكلم عن هذه المسائل ونتكلم عن الإمام أبي حامد الغزالي صاحب كتاب (الإحياء) و(المستصفى) وغيره من الأئمة الكبار الذين هم على نفس الاعتقاد، وقيل أنه تاب ورجع كالجويني وغيره.

سنتكلم عن مقولة شهيرة عنهم: "مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم"، ونحاول أن نجيب عليها، ونبين بطلان هذا القول، وهل هذا قول المتأخرين من الأشاعرة وسنرد عليهم -إن شاء الله-.

وهناك أيضا مسألة حكم الأشاعرة، هل هم كفار أم مسلمون؟ هل هم على عقيدة أهل السنة والجماعة؟ ولماذا يقال أن الأشاعرة هم أهل السنة؟ ونحرر هذا المصطلح. ونتكلم في نبذة سريعة جدًا عن مشاهير من هؤلاء العلماء حتى وقتنا الحاضر، والمعاصرين من هؤلاء أصحاب الكتب التي تدرس الآن ك(العقيدة النسفية)، و(شرح جوهرة التوحيد)، التي شرحها الشيخ إبراهيم البيجوري المتوفى سنة ١٢٧٧هـ، وهي (تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد)، وكتاب السنوسي صاحب كتاب (منظومة أم البراهين)، وهي من أهم متون الأشاعرة، وهو من علماء المالكية وعلامة كبيرة.

وفي نبذة سريعة عن سبب انتشار المذهب الأشعري، والذي حمل لواء عقيدة أهل السنة كما يقال، وسنعلق على مسألة (العقيدة الطحاوية) في الإيمان -إن شاء الله- التي ذكرها الإمام أبي جعفر الطحاوي، وهل الإمام أبو جعفر

الطحاوي كان أشعريا؟ لأنه كان معاصرا لأبي الحسن الأشعري فكيف صار أشعريا؟! هو حنفي وكان على اعتقاد الإمام أبي حنيفة في المشهور.

وبعد ذلك نتكلم -إن شاء الله- عن مسائل تدخل في موضوع الماتريدية ، هذه المسائل ربما لا تكفيها الساعة ونكملها في الدرس السابع، لكن سنبدأ ببعضها بقدر الاستطاعة وننجز أكبر قدر ممكن منها.

قبل أن ندخل في الموضوع، أرسل لي أحد الشباب مسألة على أن أجيبها على عجالة؛ لأنه استمع لأحد طلاب العلم في المنتديات أو البالتوك، وقال أن هذا الشاب على عقيدة أهل السنة وهو من الشباب الطيب، رغم ذلك قال أن السلف في تعريفهم للإيمان أنه: قول وعمل ونية، أن الذين ركزوا على النية فيهم نوع من الإرجاء، وأن هذا الأخ استطاع أن يصل لهذا الفهم، فكيف يقولون أن الإيمان قول وعمل ونية، والنية بمعنى القصد والتصديق القلبي فهذا يعني أنهم مرجئة في الإيمان؟! وجزى الله الأخ خيرا على غيرته، لكنه كلام خاطئ، ولا يجوز أن يقال ويستسهل بهذه الطريقة، واضح أن الأخ –بارك الله فيه- لم يحرر المسألة تحريرا صحيحا، ولم يحسن الظن حتى بعلماء السلف، وهؤلاء الأئمة الكبار كالآجري ومن قبله الإمام أبي الحسن الأشعري نفسه.

يجب أن نحسن الظن ونعرف أنهم كانوا يختصرون العبارات، والإمام الآجري عندما كان يقول: (باب القول أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنا إلا أن يجتمع بينهم هذه الخصال الثلاث)، فهل يفهم من هذا أن الإمام الآجري كان مرجئا؟! وأنه يؤمن بتصديق القلب فقط ولا يؤمن أن القلب له عمل؟! فهذا تسطيح وتبسيط للمسائل وعدم فهم جيد.

والإمام الآجري في هذه الحقبة كان من أشد الناس غلظة على المرجئة، وهم الذين أوصلوا لنا هذا العلم وهم الذين ردوا على علماء المرجئة خاصة في البداية، معظم علماء السلف في القرن الثاني والثالث خصوصًا كانوا ضد مرجئة الفقهاء، وهم أخف من المرجئة الكلامية، الذين ظهروا في المتأخرين فيما بعد، ورغم أنهم كانوا من الشدة بمكان يعني مثلا الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفَّى سنة ٢٢٤هـ، من تابعي التابعين وهذا شيخ المشايخ له كتاب (الإيمان) وفيه عرَّف الإيمان بهذه الطريقة، قال: "اعلم رحمك الله أن أهل العلم الذين في هذا الأمر انقسموا إلى فرقتين؛ فقالت إحداهما أنه بإخلاص الإيمان بالقلوب وشهادة الألسنة وعمل الجوارح، وقالت الفرقة الأخرى بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر وليست من الإيمان، وإذا نظرنا في اختلاف الطائفتين لوجدنا الكتاب

والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا"، فهل الإمام على رأي هذا الأخ –سامحه الله– مرجئ؟!

وهو الحافظ الكبير وعالم العلماء، فاقرأ كتاب هذا الرجل تجده يثبت أن للقلوب عملا ويذكر الآيات وأن معظم الأدلة التي أخذها شيخ الإسلام ابن تيمية من أبي عبيد القاسم بن سلام وأخذها ممن سبقه والآجري ومن الحافظ ابن منده وغيره.

كل هؤلاء العلماء ذكروا هذه المسائل ولكنهم كانوا يختصرون العبارة لذلك لن أطيل في هذه القضية، رجاءً لا يتكرم أحد ويتسرع ويقول السلف فاتتهم هذه المسألة، ويتهم العلماء أنهم عرّفوا الإيمان وذكروا كلمة النية ومنهم من ذكر السنة أيضا أي يكون على السنة؛ لأن هذا يدل على أن هؤلاء الشباب الذين يقرأون هذه الكتب لا يتحرون الدقة، حتى ابن تيمية دافع عن السلف وبيَّن العبارات التي يجب أن تُفهم من السلف عندما يقولون تصديق بالقلب ويقصدون تصديق في القول والعمل وليس مجرد المعرفة، ولكن كانت عباراتهم مختصرة.

يقول ابن تيمية في كتابه (الإيمان): "ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون هو قول وعمل، وتارة يقولون هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون هو قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح "، ماذا يقول ابن تيمية عن هذه التعريفات مجتمعة؟

"وكل هذا صحيح؛ فمن قال: الإيمان قول وعمل، يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم ولفظ القول والكلام ونحوهما ذلك إذا أطلق".

ويقول أيضًا: "والمقصود هنا أن قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح هذا هو المفهوم عند السلف، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يُفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد، ومن قال قول وعمل ونية، فالقول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، فأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك احترازًا ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة".

هذه احتياطات –يا أخي– عند السلف، وحسن ظنٍ بهم وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا المشروع من الأقوال والأعمال، ولكن مقصودهم الرد على المرجئة الذين رأوه قولًا فقط، فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوا

الإيمان أربعة أقسام فسَّروا مرادهم، كما سُئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: "قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إن كان قولًا بلا عمل فهو كفرٌ، وإن كان قولٌ وعملٌ بلا نيةٍ فهو نفاق، وإن كان قول وعمل ونية بلا سنة فهو بدعة" وهذه هي الإجابة المختصرة على هذا الأخ -بارك الله فيه- فليحتاط، وليحترز، ويحرر ويحسن الظن بمذهب السلف في مثل هذه المسائل، وإنما شفاء العي السؤال.

نبدأ في موضوع الأشاعرة، من هو مؤسس المذهب؟

هو الإمام أبو الحسن الأشعري، وقيل أنه ولد سنة ٢٦٠ ﻫ وبعضهم قال غير ذلك، وتوفي سنة ٣٢٤ﻫ واختلف فيه، لكن هذا هو المشهور، وقد عاش في البصرة وبغداد أيام الخلافة العباسية. وقد عاصر ستة خلفاء، فعاش إلى خلافة أبي العباس أحمد الراضي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ﻫ. وعاصر الانقسامات وظهور فتنة الزنج التي ظهرت سنة ٢٥٥ ﻫ إلى سنة ٢٧٠ ﻫ – وقد تكلمت عنها وكتبت بحثا فيها-.

وظهور القرامطة الذين ظهروا في سنة ٢٧٢ﻫ.

وظهور الدولة الخبيثة وهي الدولة العُبيدية، التي ظهرت في المغرب الإسلامي في ذلك الوقت ٢٩٦ ﻫ، ثم دخلوا واحتلوا مصر وجلسوا فيها ٢٠٠ عام -قرنين وثمان سنوات- أزالهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، واستقل ابن طولون بحكم مصر وسوريا، وهذه قلاقل كانت في العالم الإسلامي.

وكان هذا العصر أيضًا فيه أفول نجم المعتزلة. وزوج أمه هو القاضي عبد الجبار الذي شرح الأصول الخمسة في كتابٍ والمتوفَّى سنة ٤١٥ﻫ، وحكينا قصة خروجه من المعتزلة فقال: "إني أخلع ثوب الاعتزال كما أخلع ثوبي هـذا"، وتناقش في مسألة الصالح والأصلح التي حاور فيها شيخه، وهناك مسائل وأسباب كثيرة ذكرها العلماء.

وذكر الحافظ ابن عساكر في كتابه (تبيين كذب المفتري) ترجمة كبيرة وافية للإمام أبي الحسن الأشعري وكتبه وآرائه وثناء العلماء عليه، وله ترجمات كثيرة في كتب المتأخرين من الأشاعرة مثل (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي المتوفى سنة ٧٧١ﻫ.

وبالطبع الأشاعرة يمجدونه كثيرًا في كتبهم ويطعنون في كتابه (الإبانة) لأن فيه رجوعًا ظاهرًا إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وإن كان لم يتحرر بالدقة، وبالجملة هو رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وهو من آخر ما كتب، لكن ما زال هناك بعض الاختلافات مثل آرائه في تعريف الإيمان؛ فهو عنده جهمية في هذه المسائل ولم يتحرر بالإطلاق، في بعض المسائل حتى من المعتزلة وغيرها، لكن جملة هو في كتابة (الإبانة) أقرب لأهل السنة، لذلك له آراء كثيرة تخالف المتأخرين من علماء الأشاعرة.

وهنا قد يسأل السائل ما الفرق بين العلماء المتأخرين والمتقدمين أو بين الأشعري نفسه وغيره من الأشاعرة؟

وننبه أن من الأشاعرة من قد يكون مطابقًا لأهل السنة في الجملة، لكننا نتكلم عن الشائع والأغلبية عند الأشعرية أو شبه المستقر عندهم، وقد يخالف البعض في مسائل حتى مع علماء مذهبه، لكنه ليس مخالفًا للأشعرية كاعتقاد عام.

والأطوار التي مر بها الإمام أبو الحسن الأشعري:

قلنا أنه كان معتزليًا حتى سن الأربعين سنة –أي فترة كبيرة–، لذلك كان في كتابه (مقالات الإسلاميين) عندما تكلم عن المعتزلة صار مرجعًا رئيسيًا للمعتزلة، وعندما فارقهم هاجمهم ودحر شبهاتهم وصار خبيرًا بهم؛ لأنه عاش في حجر علم من أعلامهم، وناظر معهم وحضر مناظراتهم إلى سن الأربعين، وبعدها صار إلى مذهب ابن كلّاب وهو أقرب إلى أهل السنة لكن ما زال هناك أشياء فيها بدع وغير ذلك، لكنهم كانوا أقرب له وكانوا يهاجمون المعتزلة، ثم بعد ذلك تعامل مع بعض علماء الحديث، فمال إلى مذهب أهل السنة في آخر حياته، لكن لم يتخلص بالكلية كما قلنا لكم.

وهناك كتب ودراسات تكلمت عنه، فمثلًا ابن تيمية من أفضل من تكلم عن الأشاعرة، وحرر مذهبهم ومذهب الجهمية والقدرية، وجاء في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) وهو كتاب كبير ضخم في حوال ١٩ مجلدًا –حسب الطبعة–، كلام بديع حيث فند شبهات، وتكلم في أشياء صعبة جدًا على طالب العلم المبتدئ لأنه تكلم في المسائل الكلامية والصفات، فليس للمبتدئ أن يبدأ بها، لأن ليس له أدوات ليفهم هذه المسائل، فربما يبدأ أول ٢٠ صفحة ثم لا يستطع أن يكمل فيها، فهو كان يناقشهم بمنطقهم، بمنطق علماء المنطق والفلسفة وهي تحتاج إلى صبر كبير جدا، وأيضا في فتاويه وكتابه (الإيمان) سواء الإيمان الكبير أو الإيمان الأوسط، وفي كتاباته في اجتماع الجيوش الإسلامية ورده

على الجهمية، ورده على الأشاعرة في القديم الحديث، وكان هو حامل لواء المتأخرين في الرد على الأشاعرة، وهو الذي استطاع أن يحرر مذهب السلف.

وهناك دراسات حديثة، من أفضلها: (موقف ابن تيمية من الأشاعرة) للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، رسالة قيمة جدًا لمن يريد أن يفهم رأي ابن تيمية وموقف السلف على الحقيقة، ولماذا يعاديه الأشاعرة بهذه الطريقة، وكل هذا يحتاج إلى صبر وتؤدة كي يفهم الإنسان مثل هذه المسائل.

وكل هذا ستجده محررًا في كتب المتأخرين كثيرًا؛ لأن هذه الفرقة من أكبر الفرق الإسلامية، وهم يقولون عن أنفسهم أنهم أهل السنة!

لكن الذي يعنينا هنا أنَّ أبا الحسن الأشعري وافق حقيقةً الكلابية في أشياء كثيرة، لكنه رجع في آخر كتابه، وطعن الأشاعرة فيه، كالسبكي وغيره وحتى المتأخرين اليوم، لماذا؟ لأنه أثبت صفة العلو أي الرحمن على العرش، استوى من دون كيف، وهذا هو معتقد أهل السنة، ولكنهم ينفون ويؤولون صفة العلو ويقولون استوى بمعنى استولى بمعنى قهر، فهذا عمدة كلام المتأخرين، ولكن الأشعري يختلف عنهم فهو يثبت هذه الصفة كأهل السنة بدون كيف.

كان الحافظ الكبير ابن عساكر أشعريًا، ولكنه كان ضد علماء الكلام الأقرب إلى الفلسفة مثل الرازي وغيره في مسائل الكلام بصفة خاصة، وهو من علماء الحديث، فكان محدثًا كبيرًا ولكن فيه عقيدة الأشعرية، ولذلك هناك كلام بينه وبين الإمام ابن قدامة العالم الحافظ المجاهد الحنبلي الكبير، كان إذا رأى الحافظ ابن عساكر لا يرد عليه السلام، فلما سُئل: لمَ؟ قال: "هو يقول كلام الله نفسي -يقصد القرآن- فإذًا سأرد عليه في نفسي حتى يعود إلى اعتقاد أهل السنة في هذه المسألة"، فكان يزجره وليس يكفره، وهذه مسألة ذكرها بعض المؤرخين -وسأشرحها لاحقًا-.

في كتاب (تبيين كذب المفتري)، الإمام ابن تيمية يناظر الأشعرية، وعندما كان يناظرهم في زمانه كانوا يذكرون مسألة العلو، ينفونه ويؤولونه ويستدلون بشعر الأخطل:

استوى بشرٌ على العراقِ ... من غيرِ سيفٍ ودمٍ مهراق

فرد عليهم ابن تيمة: أنتم تجلّون الحافظ ابن عساكر؟ قالوا: نعم، وهو شيخنا، قال فإن أبا الحسن الأشعري -وهم يفتخرون به ويجعلونه كالصحابة عندهم- أثبت في كتابه (الإبانة) صفة الاستواء بغير كيف، وهذا مذهب أهل السنة، فقالوا أنه كتاب مكذوب عليه!، فقال أن شيخكم الحافظ ابن عساكر في كتابه (تبيين كذب المفتري) احتج بكتاب (الإبانة) وأثبت العلو والصفات الخبرية، ودافع عن عقيدة الإمام أبي الحسن في أنه كان على مذهب أهل السنة، ولكن المعاصرين لابن تيمية كانوا مغالين جدا.

الفرق بين الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين:

فالمتقدمين كأبي الحسن الأشعري مثلًا يثبتون صفات ومسائل مع أهل السنة كصفات العلو، أو في الصفات الخبرية وهي: الصفات كالوجه واليدين والعينين لله كما يليق بجلاله بدون كيف، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو موافق للكُلَّابية في هذه المسائل.

لكن الآجري مثلًا قال في صفة اليد {يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم}، {مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَي}، ويقول: اليد هنا معناها القدرة أو مجاز عنها هذه تأويلات الأشاعرة حتى الحالية، طبعا هذا مخالف للنص، وإن كانت تُؤول -بالله عليكم- عندما يقول الله تعالى:{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان} أي بل قدرتاه؟! وهذا كلام باطل طبعا، بل يدان تليق بجلاله ولا نعلم الكيفية فليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا اعتقاد أهل السنة.

وقد أثبت الأشعري صفة العلو في كتابه (الإبانة)، إذًا كلام الأول يختلف عن كلام المتأخر كالإيجي وزاهد الكوثري وغيره، والسبكي المتأخر، أما المتقدم هو تاج الدين السبكي ووالده تقي الدين القاضي، والسبك هذه قرية في المنوفية في مصر هو منها، وهو قاضٍ كبير شافعي، ألف كتاب (طبقات الشافعية)، لكنه مات صغيرا، ووالده يعتبر من المجددين في المنهج الشافعي وعلى عقيدة الأشعرية، وابنه بصفة خاصة من المغالين رغم أنه تتلمذ على يد الحافظ الذهبي وكان يثني عليه لكنه كان يطعن فيه بسبب ميل الذهبي لعقيدة أهل السنة، وهو صاحب كتاب (سير أعلام النبلاء)، رغم أن الحافظ كان حنبليًا وليس شافعيًا وكان يجلُّ ابن تيمية ويحبه ويدافع عنه ومحسوب أنه تلميذ من تلامذته، كالحافظ ابن كثير وابن رجب الحنبلي ثم ابن عبد الهادي وطبقات الحفاظ وغيره.

ونحن نتكلم في مسألة الإيمان وهي مسألة محدودة، لكني أعطيكم إلمامة سريعة من باب الزيادة والنفع والخير.

ونخلص الآن إلى أهم عقائد الأشعرية المتأخرين بصفة خاصة:

أول شيء أن المتأخرين افترضوا افتراضات غريبة جدا، حيث **اعتقدوا أن العقل قد يتناقض مع النقل**؛ فقالوا إن تعارضا فالعقل هو مناط التكليف، وهو الذي أثبت بعد ذلك أن هذا الدين صحيح وهذا نبي الله، وهذا القرآن، فحتى تأثروا بالمعتزلة الذي قد قام ضدهم أبو الحسن الأشعري وغيره، وهذه من المسائل الهامة عند المعتزلة، فافترضوا افتراضًا باطلًا، وذلك أن العقل يشهد أن القرآن حق وأن الرسول حق، إذًا فإن تعارض العقل والنقل –على افتراض كلامهم– نقدم النقل لأن العقل أثبت، فإذا لم يفهم عقلك مسألةً نقدم النقل لأنه هو الصحيح.

عند المتأخرين حدثت تخبطات كثيرة جدا في مثل هذه المسائل، ربما أشير إليها عندما نتكلم عن التحسين والتقبيح العقلي عندما نتكلم عن الماتريدية والخلاف بينها وبين الأشعرية في هذه المسائل في المحاضرة القادمة.

حتى بعض المتأخرين منهم كالطهطاوي وغيره مرة يلفق العقل والنقل، ومرة يقدم العقل على النقل، وقد فنَّدت هذه وذكرتها في كتابي (دور رفاع الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية)، وهو عالم أشعري ذهب إلى فرنسا، وافتتن بها، ورجع بعد خمس سنوات، وهو أول واضع للبِنَات العلمانية في العالم الإسلامي كله! وكان متخبطًا في بدايته بالأشعرية فقد كان يحاول أن يوافق بين العقل والنقل فتارة يثبت العقل وتارة يثبت النقل وتارة يثبت التحسين.

من المسائل أيضًا التي استقرت عند الأشاعرة المتأخرين: **نفي الصفات الاختيارية التي تقوم بذات الله تعالى**؛ فهناك صفات خبرية مثل: صفات الوجه والعينين وغيره وهناك صفات اختيارية مثل: الاستواء ونزول الله –عز وجل– في الثلث الأخير كل يوم فيقول: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، حتى أذان الفجر، لكنهم نفوا هذا.

وأذكر أنه قيل لأحد العلماء إسحاق ابن راهويه: كيف تقولون في هذه الأحاديث كالنزول والاستواء؟ إن الذي نقل لنا الأحكام هم الذين نقلوا لنا هذا، فكيف تقبل هذا وترفض ذاك؟! قال له: هل ينزل ويترك عرشه؟! فقال له من باب الإلزام: هل يقدر أن ينزل أم لا؟ فبهت، لأنه إن قال لا يقدر فقد كفر، لأنه نفى عن الله –عز وجل– القدرة، وإن قال يقدر يلزمه أن يقول ينزل كما يليق بجلاله، فهنا بهت! ولذلك لا يناظر هؤلاء إلا الفحول وأهل العلم.

وتجدهم يؤولون المجيء {جَاءَ أَمرُ ربِّك}، وصفة الكلام، ويقولون: الكلام نفسي، وأيضًا الرضا والغضب يؤولونهما أنهما شيء من المجاز، ومعناها التنعم في الجنة أو العقوبة، فنفوا الصفات الاختيارية عن ذات الله –عز وجل–.

ومن المبادئ عند المتأخرين **أنهم أثبتوا صفات سبع: الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام النفسي**. فلمَ أثبتم هذا ونفيتم الصفات الاختيارية؟!

فقالوا: لأن هذه الصفات تشبه المخلوقين، وكأن هناك جارحة مثل المخلوق. ولكن هذه الصفات السبع تشبه صفات المخلوقين، فلم تثبتوها كما أثبتها السلف كما يليق بجلاله؟!

وبقية الصفات يثبتونها بالتأويل أو التفويض، مثال الرحمة: الجزاء وإرادة الثواب. والتفويض أقل خطرًا من التأويل، فهو يثبتها لكن يفوض العلم لله -عز وجل-، مثال: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}، فهو يثبتها كآية لكن علمها عند الله، فالعرب كانت تعرف كلمة استوى بمعنى ارتفع وعلا، والرسول ﷺ كان يعلمنا بلا تعقيدات، فإذا كنت تهرب من التشبيه، فإذا كانت استوى بمعنى استولى فهل كان ينازعه شريك سبحانه؟!

مسألة أخرى مهمة، وهي حصرية: **الإيمان في التصديق القلبي ولو لم ينطق بالشهادتين**، وإذا رجعنا لبعض علمائهم كالجويني والرازي وغيرهم، هم أيضا يثبتون ذلك، وسأقرأ لكم بعض هذه الأقوال.

مثلًا الجويني يقول: "والمرضي عندنا أن حقيقته -الإيمان- التصديق بالله تعالى فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس"، وهذه هي الجهمية بالضبط، التصديق فقط، حتى التوحيد عندهم، معنى (لا إله إلا الله محمد رسول الله،) فالمعروف أن (إله) أي: المعبود، أما عندهم: فهو الخالق القادر على الإبداع والاختراع، وهذا كلام أبي الحسن الأشعري نفسه. وطبعًا ابن تيمية والحافظ ابن كثير ناقشهم في هذه المسائل كثيرًا، والشاهد هنا حتى كلمة التوحيد الكبرى، فَهْمُهم لها غير فهم السلف، لذلك تجد الأشاعرة في كتبهم يُثبتون الخلق والإبداع ولكن أين العمل!، فقد أخرجوا العمل من الإيمان أصلا.

وأول واجب على المكلف أن يعلمه: (أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله). أما هم **يقولون أن أول واجب على المكلف هو الاستدلال العقلي**، أي يُعمل عقله، إذا لم يفعله لم يدخل حظيرة الإيمان! وهذا بالطبع مخالف للسلف، بل مخالف للقرآن وصحيح الأحاديث، ولذلك الأحاديث التي تتكلم في هذه المسائل هم يؤولونها.

والباقلاني قال نفس الكلام -كما ذكرنا- واستدل بعلماء اللغة وفندناه من قبل، هم جهمية في مسألة الإيمان، فالمتقدمين كالباقلاني والمتأخرين كالجويني يقولون ذلك، والآمدي الذي حمل الراية بعد الرازي، والرازي من كبارهم ومن

علماء الكلام عندهم ويقول بالنص: "وهكذا يتبين فساد قول الحشويَّة -أهل السنة- إن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان"، يعتبر هذا الكلام باطلًا فالإيمان عندهم التصديق فقط، حتى في شرح (جوهرة التوحيد):

"وفَسِّرِ الإيمان بالتصديقِ ... والنطق فيه الخلف بالتحقيقِ".

و(جوهرة التوحيد) من التي تُعمَّم وتُدرَّس ولها شروحات كثيرة. فيقول في المتن: "فسر الإيمان بالتصديق"؛ أي الإيمان هو التصديق فقط.

حتى كلام الجويني، وقال العلماء أن الجويني كان في آخر حياته على عقيدة السلف ومات عليها وقال: "ها أنا ذا أموت على عقيدة عجائز نيسابور"، وهو عمدة من أعمدة الأشاعرة، وهو صاحب كتاب (الغياثي) وغيره، وقيل له أنك تثبت الإيمان لرجل غارق في الفسق كإيمان الرسول ﷺ؟! فرد ردًا باردًا، فيقول أن الفارق في الإيمان بين الفاسق والرسول ﷺ فأثبت أنواعًا من التصديق للرسول ﷺ لم يثبتها لغيره، وبالطبع هذا كلام باطل وهذا كله كي لا يثبتوا عمل القلب، ولا يثبتوا عمل الجوارح.

حتى في موضوع القول لا يهتمون به، الذي اهتم به بعض منهم حاول أن يثبت الإقرار بالقول كأبي العز الحنفي ومن قبله الطحاوي، فهؤلاء أئمة من أئمتهم، حتى كلام الآمدي على نفس الطريقة، وهذا القول يلزم منه إيمان إبليس وفرعون واليهود والنصارى!؛ لأن اليهود والنصارى وإبليس كانوا يعرفون الله فهم مصدقون، فقالوا: الله قال عنهم مشركين وكفار، لأنه اطلع على قلوبهم أنهم مشركين وكفار، وبالطبع تخبطات في هذا الأمر.

قد فنهدهم ابن تيمية وقال أن هذا الأصل الفاسد في قولهم أن السجود للصنم، ولبس الصليب والزنار، وقتل النبي وإهانة المصحف الشريف والكعبة ونحو ذلك ليس كفرًا إنما هو دليل على الكفر الذي هو انتفاء التصديق في قلب صاحبه، وهذا تعليل الرازي وهو تعليل بارد، و هذا يدل أنه لا يفعل ذلك مؤمن. ونحن نقول الذي يفعل ذلك قولًا وفعلًا ظاهرًا وباطنًا كفر وليس دليلًا على الكفر، لذلك ستجد من الأشاعرة المعاصرين، ومن ينتسبون إلى السلفية الآن وعبدة الحكام، هؤلاء يقولون حتى لو لبس الصليب حتى لو أهان المصحف، يا أخي هل شققت عن قلبه؟

بل نقول يا أخي هذا شخص بال على المصحف ونعلم أنه فلان الفلاني، وهو يعلم أنه مصحف وليس أعجميًا، وآخر لبس الصليب وهو يعلم أنه صليب، وآخر سجد للصنم وهذه عبادة ليس لها حل غير أنها عبادة. فيقول: هو دليل على الكفر. بل هو بعينه كافر، ولذلك الناس تخطئ في مسألة، أنه ارتكب كفرا فيقول هذا فعل كفري وهو هكذا كافر، فإذا ذهب القاضي يستفصل منه ويستتيبه، فربما مجنون ولا تكليف هنا، لكن هل هذا كفر؟ نعم، هل كافر؟ نعم، لكن عند تطبيق حكم الكفر يستفصل القاضي فإن كان مجنونًا لا حكم عليه، لكن الفعل كفري.

لذلك عندهم الكفر في الاعتقاد فقط وليس الفعل فليس عندهم فعل مكفر، وهذا كلام الرازي، وحقيقة الكفر الأشياء الباطنية التي لا يعلمها إلا الله، فهو خلط عندهم، جريان الأحكام على ظاهرها في الدنيا، ومسائل الأشياء الكفرية التي في الداخل -الباطن- جريان الأحكام الدنيوية تجرى على الدنيا، نفترض الإنسان تاب في نفسه هذا عند الله -سبحانه وتعالى- نحن نُجري عليه الأحكام في الدنيا.

هناك قول مكفر وفعل مكفر، سبّ الرب، سبّ الرسول، سجد لصنم أو لمعبود يعبده: لعجل، لبقرة، لشيء مقدس، أو بال على المصحف، فقالوا أنه دليل على كفر، ونحن نقول أنه كفر هذا القول أو الفعل وهذا كافر ظاهرا وباطنا.

والحكام خرَّجوا لنا هؤلاء المداخلة والجامية الجدد وبعض مشايخ السلفية الكبار الذين ينتشرون في العالم الآن لترسيخ مسألة أن الكفر هو كفر الاعتقاد فقط، ولا يوجد كفر عملي، وهو كفر دون كفر. وهذا كلام باطل بكلام السلف، وهذه الشبهات سنرد عليها في درس قادم -إن شاء الله-.

الأشاعرة المتقدمون كالإمام أبي الحسن مال إلى عقيدة أهل السنة في مسألة الإيمان بالعلو، وجواز الاستثناء في الإيمان أي: أنا مؤمن إن شاء الله.

لكن المتأخرين كالنسفي وغيره يقولون لا يصح أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، يقولون لا ينبغي، لأنهم يحصرون الإيمان في الاعتقاد القلبي، فكيف يقول إن شاء الله، فهو شاك!

وهذا كلام خاطئ، وقال الإمام أحمد وابن مسعود: يجوز أن أقول أنا مؤمن إن شاء الله وأن لا أقول، فإذا قلت هذا فيعني أن: التكاليف الشرعية الكثيرة لا أجزم أن أؤديها كلها، أما بالمعني القلبي أنا مؤمن ومصدق فلا نقول: "إن شاء الله"، أما ان قصدنا الأعمال فمن منا يستطيع أن يؤدي كل التكاليف الشرعية ويضمن قبولها؟!

حتى المتقدمين من الأشاعرة تبريرهم مختلف عن تبرير السلف، ونتحدث عنها لاحقًا حتى لا يكون هناك خلل -إن شاء الله-.

من أشهر العلماء الذين أسسوا وأرسوا المذهب: أبو الحسن الطبري المتوفى سنة ٣٨٠هـ، والباقلاني الذي طور وجدد المذهب ٤٠٣هـ، وهو الأستاذ والمؤسس الثاني، والعلامة عندهم محمد بن الحسين بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦هـ، قيل قتله السلطان محمد ابن سبكتكين، عندما سُئل هل النبي ﷺ ما يزال نبيا؟ فقال: النبي مات، وانتهت رسالته وليس نبيا لآن، فأمر بسجنه، وقيل سمُّوه، وكان السبكي من المغالين فدافع عن ابن فوك، وابن فورك كان من المتعصبين أيضا رغم أنه كان قريب عهد من الأشعري، وله ترجمه في (سير أعلام النبلاء)، فقال عنه الذهبي: "الإمام العلامة الصالح شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن حسن ابن فورك الأصبهاني وتلامذته الإمام البيهقي الشهير صاحب كتاب (أعلام النبوة)"، لكن للأسف الشديد يميل في بعض تأويل الصفات رغم أنه حافظ ومحدث كبير الشأن والقشيري من تلامذته، كان مناظرا و عالما بفن الكلام.

وذكر ابن حزم في (الفِصل) مسألة أن ابن فورك قال كان رسول الله، وأن روح رسول الله قد بطلت وتلاشت وما هي في الجنة، فأغضب السلطان بسبب تأويلاته الباطلة هذه. طبعا السبكي في كتاب (طبقات الشافعية) حاول الشنَّ على ابن حزم وحاول أن يكذب ما يقال عن ابن فورك وأنّ هذا بطلان، وابن حزم أخذها من أبي الوليد الباجي وهو إمام أشعري، فابن حزم نقلها، فلماذا تلوم ابن حزم؟ والذهبي؟! لأنه بالطبع كلام في منتهى الخطورة، وخاصة المتأخرين حاولوا النفي وطعنوا في الرواية، فهذا الذي حدث بسبب كثرة التأويلات والتشعبات للأشاعرة.

مسألة قول الأشاعرة: "مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم"، في مسألة الصفات والتأويل ومسألة خلق القرآن.

بالطبع نحن نؤمن أن القرآن كلام الله غير مخلوق وهي عقيدة أهل السنة، حتى الذين يقولون منهم أنه غير مخلوق يقولون هو كلام نفسي، وليس هناك كلام صدر عن الله أصلا، أن الله -سبحانه وتعالى- خلق الخلق وتركه هكذا يسير تلقائيا، وماذا تقولون في قوله تعالى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}، و(يرفع الله أقوامًا ويخفض آخرين)، فهي إرادة متجددة، هم ينفون ذلك للأسف الشديد ويؤولونها تأويلات باطلة، وحاولوا أن يلفقوها بما يهين السلف، فمثلا

الصفات الاختيارية كالنزول والرضا، فقالوا مذهب السلف أسلم، فهم يمررونها هكذا كما جاءت، لكن الخلف أحكم وأعلم!

بل أنتم أكثر تخبطًا وتناقضًا وإشاعة البدع وتجرؤ الناس على المعاصي، وموجود في كثير من الأشاعرة المتأخرة هذه العبارة، وبعض الجماعات الإسلامية يقولونها!، فهل تتهم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى القرن الثالث تقريبًا الذين حملوا الدين وبلغوه وهي القرون النقية؟!

ويجب عليك عندما تسمعها أن تبطلها وتقول: بل منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم، وليت الخلف اتبعوا السلف!

نبدأ بعد ذلك في مسائل نقولها الأسبوع القادم بإذن الله؛ هل هم مسلمون؟ أم كفار؟ أهم على عقيدة أهل السنة والجماعة؟ نقولها إجمالًا ونفصلها الدرس القادم.

الأشاعرة على العموم لم يكفّرهم أهل السنة واعتبروهم من المتأوِّلين، وأهل السُّنة بالمعنى العام الذين هم ضد الشيعة وضد الخوارج فنعم، فهم ضد الشيعة ويترضُّون عن الصحابة ويتفقون مع أهل السنة في كثير من الأشياء، وقاموا وتولوا الدفاع في فترة معينة، وسكت عنهم علماء أهل السنة في ذلك الوقت فظن الناس أنهم هم أصحاب العقيدة الصحيحة، بسبب غياب علماء أهل السنة. وانشغل الأشاعرة في الرد على الروافض والمعتزلة والخوارج والنصارى واليهود فسكت عنهم أهل السنة باعتبار أنهم يدافعون عن الإسلام، فكان الأشاعرة يقدّمون أنفسهم على أنهم أهل السنة وهم أصحاب العقيدة الصحيحة وأن هذه عقيدة الصحابة.

فهم أهل سنة في المفهوم العام ولكنهم ليسوا على عقيدة أهل السنة في المفهوم الخاص، ليسوا كذلك في مسائل الإيمان، في مسائل بسيطة حتى مثل خبر الآحاد، فيهم آراء تختلف عن الشهير عند أهل السنة، وباب الصفات كما ذكرنا، فليسوا على عقيدة أهل السنة بالمفهوم العقدي، أما المفهوم العام نعم، فهم كانوا يقدمون أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ويؤمنون بالغيب ويدافعون عن السيدة عائشة، وكانوا يجاهدون الكفار وأهل البدع المغالين وينكرون على الناس فسوقهم، فلهم مواقف طيبة.

وأنصفهم ابن تيمية وأهل السنة، لكن كمفهوم عقدي فهم ليسوا عليه؛ ولم يكفروهم لأنهم كانوا يؤولون، والعلماء في مسائل التأويل لها شروط خاصة، لو سحبنا قضية التكفير ستكفّرون أسماء كبيرة جدًا جدًا، وليست المسألة مسألة

عاطفة، لكن العلماء دافعوا عنهم، أنهم كانوا يتأولون وأخطأوا في بعض المفاهيم وكانت لهم تأويلات يستدلون بها، ليس التأويل على إطلاقه فهناك مسائل لا يصح فيها تأويل، مثال قوله تعالى: {أن تَذْبَحُوا بَقَرَ}، فأولها الرافضة أنها السيدة عائشة -رضي الله عنها-! أعوذ بالله، فهذا أصلًا تأويل لا يُقبل لغة ولا فهمًا ولا نصًا.

وابن القيم له كلام جميل في كسر طاغوت التأويل في (الصواعق المرسلة) وغيره، والعلامة عبد الرحمن المعلمي -رحمة الله عليه - تكاد تكون تصفه بالذهبي في عصرنا -رحمة الله عليه-، له كتاب (في حقيقة التأويل) وله كلام جميل جدًا، وهناك رسائل ماجستير ودكتوراة في التأويل المستساغ وغيره، ورسائل ابن تيمية والفرق بين التأويل والمجاز والتفسير، ومن استنبطها من كتاب ابن تيمية والقيم ومن استنبطها من الكتاب والسنة.

ونكتفي بهذا المقدار، وإن شاء الله نقف عند حكم الأشاعرة ونتكلم في المرة القادمة عن الماتريدية وعلاقتها بالأشعرية، لكن قبلها عن أشهر علماء الأشاعرة والشبهات التي قيلت، أن الإمام ابن حجر العسقلاني والإمام النووي وغيرهما علماء أشاعرة، وأجيب عن مسألة لماذا شاع المذهب الأشعري، فلا تجد بلدًا من بلدان العالم الإسلامي وكل المذاهب الفقهية حتى المذهب الحنبلي الذي كان محصنًا، نجد بعض العلماء تأثروا بالعلماء الأشاعرة، فلماذا شاع كل هذا؟

هذا ما أحاول أن أجيبه الدرس القادم -إن شاء الله-.

وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

وبارك الله فيكم وجزاكم الله كل خير..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدرس السابع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد:

الإخوة المكرمون؛ ها نحن أولاء مع اليوم الأول من شهر المحرم من سنة ١٤٣٣ من الهجرة النبوية المباركة. وقد انصرم عام هجري نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يغفر لنا وأن يتقبل منا صالح أعمالنا. ونحن أيضًا اليوم مع الدرس السابع من دروس دورة في مسائل الإيمان، واليوم –إن شاء الله– سيكون درسنا حول الماتريدية وعلاقتهم بالأشاعرة.

• الماتريدية

في البداية بعد الترحيب بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أود أن أبين خطة هذه المحاضرة حول الماتريدية. فأولًا سنتكلم اليوم –إن شاء الله– عن مؤسس الماتريدية وعن علاقة هؤلاء الماتريدية بالأشاعرة، نتكلم عن المؤسس الذي هو أبو منصور الماتريدي، من هو ومتى ولد ومتى توفي؟ وآثاره العلمية وأيضًا. نتكلم عن بعض أهم مشاهير علماء الماتريدية في العالم الإسلامي. وكما قلت لكم سابقًا أن الماتريدية شقائق الأشاعرة، يعني لا تكاد تستطيع أن تميز بينهما، ستجد أن الأمر في غاية الصعوبة إلا في مسائل محددة بين الماتريدية والأشاعرة. فهذا هو الذي سندندن حوله إن شاء الله في هذه المحاضرة.

إذًا هناك أيضًا مسائل متعلقة بالمحاضرة السابقة حول الأشاعرة، وكنت عرضت عليكم حوالي عشرين مسألة في هذا الأمر، وبقيت بعض المسائل مثل مسألة ابن حجر العسقلاني والإمام النووي هل هم أشاعرة أم ليسوا كذلك؟ هذا – إن شاء الله– سنجيب عنه. وقلنا أيضًا في أسباب لانتشار الأشاعرة والماتريدية حول العالم الإسلامي، حتى أن القارئ أو المتأمل في العالم الإسلامي أو في خلال كتب هؤلاء القوم يقولون أنهم يمثلون أهل السنة، وأنهم هم أهل السنة، فما حقيقة هذه الدعوة؟ ونتكلم أيضًا عن مسألة كنت أود أن نتكلم عنهم لكن سأرجئها –إن شاء الله– إلى محاضرة

أخرى حول الاستثناء في الإيمان، وهل الإيمان يزيد وينقص، وهذه هي مسألة مرجئة الفقهاء وهل كان الإمام أبو حنيفة مرجئًا؟ وهل هو من مرجئة الفقهاء؟ ما الرأي الصحيح في عقيدة الإمام أبي حنيفة في مسألة الإيمان. ونتكلم أيضًا في بعض الكتب التي نحذر منها، وهي كتب مطبوعة موجودة حاليًا، سأحاول أن أشير إلى مثل هذه النقاط.

هناك أحد الشباب سألني يريد أن يعرف كتابًا محددًا يتابعني فيه، وهذه سأجيب عنها وأنا قلتها في المحاضرة الأولى وأكرر، أنا أذكر عدة كتب وذكرت كتابي الإمام ابن تيمية (الإيمان الأوسط) و(الإيمان الكبير)، وذكرت كتاب (الشريعة) للإمام الآجري إذا أردت أن تتابعني، في كتاب (الإيمان) لأبي عبيد القاسم بن سلام وابن بطة، أكثر من عشرة كتب هذه كتب أنا أحاول أن أختصر وأختزل حتى أسهل لك يا أخي، أيها الشاب المحب لدينك وتحاول أن تتعلم، أنا أحاول أختزل من أكثر من عشرة أو خمسة عشر كتابًا أحيانًا من أجل أن أصل إلى معلومة حتى تقدم إليك سهلة، هي عبارة عن مفاتيح لهذه العلوم وهذه الكتب فارجع إليها.

لكن الذي يهمني هنا عندما أتكلم في ذكر الماتريدية والأشاعرة هو علاقتهم بمسألة الدورة، الدورة هذه هي للحديث عن علاقتهم في مسألة الإيمان، أنا لو شئت أن أتكلم عن الأشاعرة سيحتاجون إلى دورة كاملة من ٥٠ أو ٦٠ درسًا مثلًا لأن لهم أشياء كثيرة جدًا وكتبًا ومراجع سأشير إليها فيما بعد -إن شاء الله-.

الأشاعرة والماتريدية المشهور عنهم في كتبهم قديمًا وحديثًا هم جهمية في تعريف الإيمان، يعرّفون الإيمان بأنه التصديق فقط، واعتمدوا على معنى الإيمان بالمعنى اللغوي فقط، وفنَّد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الشبهة وفنَّدها من قبله علماء السنة كالآجري والقاضي أبو يعلى وابن بطة، كل هؤلاء العلماء فنَّدوا هذه الشبه قديمًا، والإمام أحمد طبعًا ردَّهم وعنفهم وعنَّف حتى ابن كلَّاب وعنَّف الذين ظهروا في زمنه، وكان يفتي بعدم الجلوس معهم.

فالشاهد هنا أن الأشاعرة والماتريدية يتَّحدون في مسألة الإيمان، فهم جهمية في تعريف الإيمان وهم يعتمدون على التعريف القلبي فقط، يعني الإيمان هو المعرفة أو التصديق القلبي فقط، يُخرجون أعمال القلوب وأعمال الجوارح من مسألة الإيمان، يعني واحد آمن وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بقلبه بالمعرفة بدون حتى اللسان يُخرجون حتى اللسان، فإذا مات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم.

نعم يوجد من هؤلاء الأشاعرة فيما بعد حاولوا أن يحسّنوا، أو هم من الماتريدية من أضاف مسألة الإقرار باللسان، وهذا تطوير آخر في البعض ولكن الغالب والجمهور عندهم فإنهم يعرّفون التعريف الذي ذكرت. وذكرت لكم كلام دفاع الباقلاني والأئمة الكبار عندهم الذين يقولون أن الإيمان هو التصديق فقط.

إذًا من هو إمام هذا المذهب؟ الإمام الماتريدي الذي هو إمام هذه الطائفة أو هذا المذهب، وهو محمد أبو منصور الماتريدي، اسمه محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي السمرقندي. ليست له ترجمة كافية حتى في الكتب العامة، يعني حتى في تراجم طبقات الحنفية وغيرهم وتراجم في (سير أعلام النبلاء) وغيره تجد ترجمة قليلة جدًا رغم أنه كان إمامًا كبيرًا جدًا وله أتباع كثر، ولهم كتب وسأذكر لكم أسماء كبيرة جدًا في العالم الإسلامي تتبع هذا الإمام الماتريدي. وهو ماتردي نسبة لقرية اسمها (ماتريد)، وهي قريبة من مدينة كبيرة عظيمة كانت في تاريخ الإسلام وهي مدينة سمرقند، ومدينة سمرقند هذه الآن هي من ضمن جمهورية أوزبكستان هي من ضمن جمهورية أوزبكستان، ولكن حالها الآن يرثى له بعد احتلال الروس والاتحاد السوفيتي سابقًا، ودمروها تدميرًا وهي عبارة عن بقايا من آثار فقط.

كانت هذه المدن التي تسمى بلاد ما وراء النهر، وُلد فيها هذا العالم ونشأ فيها، وبلاد ما وراء النهر هو نهر كانوا قديمًا يسمونه نهر جيحون. هذا الإمام الماتريدي نشأ في بلاد ما وراء النهر والتي تسمى تركستان وما يسمى جمهورية آسيا الوسطى التي احتلها السوفييت قديمًا، وهذه دول مجاورة لسيبيريا والصين وإيران والهند وأفغانستان، يعني هذه الدول القديمة وفي الدول التي احتلها تسمى جمهورية الخمس وهي جمهورية أوزباكستان وكزاخستان وتركمانستان وطاجكستان وقيرغستان، كانت من حواضر العالم الإسلامي، وهذه متاخمة لمناطق خراسان وغيرها، هذه تخرّج فيها وفي هذه الأراضي علماء كبار من هذه الأراضي كابن حبان والإمام مسلم والحاكم والنيسابوري وغيرهم كل هؤلاء العلماء الكبار نشأوا في هذه الأماكن وهذه البلاد وهذه الأراضي الواسعة الكبيرة.

وهو أصلًا كان في هذه الفترة في أيام الدولة السامانية، عاش في ظل الدولة السامانية، وهذه الدولة كانت مستقرة في أيام الخليفة المأمون، كان عين والد المؤسس لهذه الدولة هو أسد بن سامان، عينه يعني تابع لدولة الخلافة العباسية في بغداد، ثم بعد ذلك ظلوا هكذا تابعين للخلافة وكانت حاضرة من حواضر الإسلام في العلم والفقه وفيها عدة فرق أيضًا، وكان الخلفاء يهتمون أو السلاطين في ذلك الوقت بأبناء سامان حتى استقلوا من سنة ٢٦١هجريًا إلى سنة ٣٨٩ هجريًا، كانت دولة كبيرة جدًا، هذا هو المناخ الذي عاش فيه الماتريدي في ذلك الوقت.

وذكرها ابن الأثير في ذلك الوقت عندما تقرأون أخبار سنة ٢٦١ هجريًا وما بعدها وهكذا ستجدون ابن الأثير عظَّم هذه الدولة وكتب عنها كلامًا جيدًا، وذكر أن السلاطين كانوا محمودي السيرة وجيدين. وخاصة أن هؤلاء السلاطين الكبار للدولة السامانية كالمؤسس وأسد وابنه السلطان أحمد ثم السلطان إسماعيل. السلطان إسماعيل هذا هو الذي تقابل مع شيخ الإسلام الإمام المروزي العالم الفحل الكبير الإمام، فقيه من أئمة الفقهاء الشافعية كان إذا دخل على السلطان إسماعيل الساماني كان يقوم له اجلالًا ويحضر ويأخذ عنه العلم، وكان هذا الرجل شديدًا على أهل البدع وكان معظمًا مبجلًا يعتبرُ من جبال الإسلام في العلم وفي القوة والصلابة وهو الذي توفي سنة ٢٩٥ هجريًا، الإمام محمد بن ناصر بن الحجاج المروزي هذا إمام حافظ كبير جدًا، وظل هناك كان في نيسابور في منطقة خرسان.

خراسان يعني المناطق القريبة من إيران كانت تسمى خراسان لأنها كانت حدودًا جغرافية متداخلة مع أفغانستان، يقال عنها أرض الشمس، سكن هناك وتوفي –عليه رحمة الله– في سمرقند في أوزباكستان كما قلت لكم.

هذه البيئة التي نشأ بها أبو منصور الماتريدي، وكانت حافلة بالجدال والمناقشات، وكان السلطان يجلس في القصر ويجمع العلماء ويتناظرون ويتناقشون، ويبدأ السلطان بسؤال لأحد العلماء والآخر يرد عليه، ولكنهم كانوا محمودي السيرة كما قلنا لكم. وكانت هذا البلاد مقسَّمة للفرق؛ مثلًا في المناطق الواسعة هذه في مناطق فيها يغلب عليها أتباع الإمام أبي حنيفة، بعضهم يغلب عليهم المعتزلة بعض الأقاليم مثلًا في منطقة سجستان وهرات كانت فيها مجموعة من الخوارج، المعتزلة كانوا غالبًا في منطقة نيسابور ولكنهم ليسوا بالقوة هذه، الشيعة والكرامية كانت أيضًا في نفس المناطق في نيسابور وغيرها، ولكن الغلبة في كل هذه الأماكن كانت لأتباع أبي حنيفة إلا في مناطق محدده كانت في الشاش وطوس ونسا وأب يوارد هذه.

كان في بعض الشافعية جماهير كبيرة من أئمة الشافعية في تلك الأماكن أيضًا، وهراه ونيسابور والشاش ونسا وأب يورد هراه التي هي مدينة عظيمة من هذه المدن الكبيرة أيضًا من مدن خراسان، وأيضًا في نيسابور الإمام النيسابوري كان الإمام الحاكم وكان مسلم من نفس هذه الأقاليم، وأيضًا عدد ضخم جدًا من علماء نيسابور المشهورون.

ومن الشاش الإمام أبو بكر القفال الشاشي الشهير العالم فحل من فحول الشافعية الكبار. وأيضًا مدينة طوس التي فُتحت أيام سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– ومنها الطوسي وغيره من الأئمة الكبار.

ومنها أبو حامد الغزالي وُلِد ونشأ في هذه المدينة أيضًا في نَسَا مدينة أيضًا بخراسان في مناطق قريبة من إيران هناك، وهذه المدينة أيضًا كان منها الإمام النسائي صاحب السنن الشهير، ومدينة أَبِيوَرْد. وأيضًا كانت قريبة من المدن التي كان منها الإمام السرخسي مدينة سرخس، فهذه أسماء عظيمة تجدونها في كل كتب التاريخ والتراجم والفتوحات، يعني بلاد ما وراء النهر كلها فُتِحت جملة؛ لأنها كانت تُفتَح ويرتد الناس وهكذا، فُتِحتْ في عهد سيدنا عمر بن الخطاب وصلت إلى أماكن في أفغانستان، ثم فُتِحت في أيام سيدنا عثمان بن عفان، واستمر الفتح هكذا حتى في أيام قُتيبة بن مسلم وصلت هذه الجيوش إلى كشغر وإلى تركستان الشرقية التي تحتلها الصين الآن، في سنة ٩٣ هجريًا، كانت كل هذه المدائن تابعة للمسلمين إلى حدود الصين.

حتى الصين نفسها البلاد التي احتلتها كتركستان الشرقية غيرت اسمها وكانت من حواضر الإسلام الكبرى، وللأسف الشديد كل هذا تم تدميره وتغييره، وهذه الأماكن لم تُفرِز لنا علماء فيما بعد، بعد هذا الاستئصال الشيوعي سواء من الصين ثم بعد ذلك من الروس أو السوفييت، حتى الذين ظهروا الآن في هذه الجمهوريات الشاسعة تجد الناس مغيبة جدًا لا تعرف شيئًا عن دينها، الشيوعيون دمروهم تدميرًا واغتالوا هوية هذه الأمة في هذه الأماكن القوية الشاسعة جدًا.

وهؤلاء أصلًا معظمهم مسلمون، هذه هي البيئة التي نشأ فيها هؤلاء العلماء الكبار منهم أبو منصور الماتريدي صاحب المذهب الذي تسمعون عنه وله آراء خاصة، والعلماء قالوا أنه توفي في سنة ٣٨٣ هجريًا، وبعضهم قال ٣٣٨، هناك خلافات لكن الشهير أنه توفّي في سنة ٣٣٣ هجريًا، وأن الإمام أبو الحسن الأشعري توفي سنة ٣٢٤ هجريًا، أبو الحسن الأشعري مؤسس المذهب الأشعري الذي يُنسب إليه، ألف كتاب (مقالات الإسلاميين) وألف كتاب (الإبانة) وفيه تراجُع كبير جدًا إلى أهل السنة فيما بعد إلا في مسائل تأثر بها بابن كُلَّاب والمعتزلة للأسف الشديد.

وتكلمنا في الفارق بين الأشاعرة القدماء والأشاعرة المتأخرين، وهكذا الماتريدية نفس الطريقة، لا تكاد تفرق بينهم إلا في مسائل بسيطة. من الغرائب والعجائب والطرائف طبعًا أن هذان المذهبان الشقيقان أو التوأمة العقدية والفكرية المتقاربة في أشياء كثيرة جدًا في معظم الأفكار والآراء لم يلتقِ أبو منصور الماتريدي بأبي الحسن الأشعري، ولا يوجد لقاء بينهما على الإطلاق، أبو منصور الماتريدي من أهل سمرقند هناك في أوزباكستان، وهو إمام حنفي يتبع مذهب

الإمام أبي حنيفة. والإمام أبو الحسن الأشعري من مدينة البصرة نشأ في العراق، ومذهبه كان في العراق، وهو شافعي، يعني هذا إمام حنفي والآخر شافعي.

وعلماء الكلام كما قال طاش كبرى زاده وهو من علماء الماتريدية الكبار وهو حنفي أيضًا: قال: "إن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام هما اثنان أحدهما حنفي والآخر شافعي، الحنفي هو أبو منصور الماتريدي، والآخر شافعي هو شيخ السنة" وألفاظ مبجلة وضخمة جدًا وخاصة في كتب الأحناف وبصفة خاصة في كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي، لأنه كان متعصبًا للأشاعرة مغالٍ جدًا، ولكن رغم أنه لا يوجد بينهما التقاء، فكيف حدث هذا التوافق الغريب في هذه الآراء والتشابه في مسائل الإيمان بشكل يكاد يكون شبه تطبيقي؟! يعني تلازم تطبيقي في التعريف، يعني الماتريدية والأشاعرة في الإيمان يعرفونه بالمعنى اللغوي، وهو التصديق، مثل تعريف الجهمية، كيف حدث هذا؟

حاول بعض المحققين أن يجمعوا بين هذا وذاك فقالوا ربما يكون السبب أن الكُلَّابية أتباع سعيد بن كُلَّاب الذي تأثر به الأشعري كما قلت لكم بعد سن الأربعين خرج وخلع ثوب الاعتزال ووجد في آراء ابن كُلّاب أفكارًا جيدة فتأثر بمذهب الكُلّابية، رغم أن المؤرخين يقولون أنه أيضًا لم يلتقِ بابن كُلّاب نفسه ولكن تأثر بتلامذته، إذًا الجامع بينهما قد يكون كالآتي: أن الكُلّابية كانت منتشرة في خراسان ومناطق بلاد ما وراء النهر، وبما أن الأشعري قد تأثر في بغداد وفي البصرة والعراق بآراء الكُلّابية فهنا حصل امتزاج، فالذي نقل ولقَّح الأفكار للاثنين وجمع بينهما في الرد على المعتزلة؛ لأن الماتريدية كانت ترد على المعتزلة، والكُلّابية كانت ترد على المعتزلة، والأشعري أيضًا لما خرج أراد أن يرد على المعتزلة فأخذ كلامًا لابن كُلّاب والكُلّابية، فإذًا الذي جمع وزاوج بينهما كانت الكُلّابية؛ لأن الكُلّابية كانت بين بين، كانت لها أفكار بدعية معينة ولها أفكار متأثرة أيضًا بأهل السنة، فجمع بينهما في التوفيق.

لذلك فالسر الذي يجعلنا نحتار في قصة لماذا هذا التوافق والتناغم والاتفاق بين الماتريدية والأشاعرة هو أنهم تأثروا جميعًا بالكُلّابية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في خراسان وظهرت أيضًا في البصرة وبغداد وهكذا؛ لأن العلماء كانوا يتنقَّلون، والتلامذة كذلك كانوا ينقلون بعض الرسائل والكتب في العالم الإسلامي بسهولة قبل سايكس بيكو والتقطيع وهذه العوائق التي يضعونها أمام المسلمين الآن، إذًا هذا الذي جمع بينهما.

والماتريدي الآن له كتاب مطبوع اسمه (التوحيد)، وهذا يعتبرونه من نفائس الكتب وهي مبالغة منهم، ولكن صدقوني كتب هؤلاء سواء كتب (العقيدة النَّسفية) للنسفي وهو ماتريدي أيضًا، وأيضًا الكتب التي أُلفت في مسائل العقائد عند المتكلمين وعند الرازي والجويني وغيره وكل هذه الكتب تجد فيها ظلمة ومقلقة وغير مريحة أيضًا، وعندما تقرأ مثلًا كتاب (التوحيد) لا يوجد فيه هذه السلاسة والسهولة. يعني عندما تقرأ كتاب الإمام الآجرّي تجد فيه كلامًا سهلًا وبسيطًا رغم أنه متوفى سنة ٣٦٠ هجريًا، ومن قبله ابن سلّام وأيضًا الإمام ابن بطة وغيرهم، نحن لن نتكلم عن ابن تيمية الآن، هذه كتب العقائد القديمة عند أهل السنة ورسائل الإمام أحمد ورسائل الإمام الأوزاعي والرسائل المدسوسة في بعض الكتب لليث بن سعد وغيره تجد فيه سهولة وتجد فيه روح الدين، أما هؤلاء فأنهم تأثروا بالفلاسفة وبهذه الترجمات التي ظهرت في أيام الخليفة المأمون.

فالأشاعرة والماتريدية ناظروا المعتزلة ورغم ذلك فإنهم تأثروا بالمعتزلة، تأثروا بالمعتزلة مثلًا في مسألة تقديم العقل على النقل وبالغوا في الموضوع، وتأثروا بالمعتزلة مثلًا في موضوع المجاز في القرآن الكريم، وبالغوا في تأويل الأسماء والصفات واعتمدوا على عقولهم في هذه المسائل؛ الوجه يؤولونه بالذات، اليد معناها القدرة، الفوقية معناها الإحاطة والقدرة، الاستواء معناه الاستيلاء، ذهبوا يردُّون على المعتزلة، فالمعتزلة هم الذين أثروا فيهم، ولذلك شيخ الإسلام الإمام الهروي وهو عالم كبير الشافعية يقولون شافعي والحنابلة يقولون حنبلي لكنه تأثر بالاثنين، تعرض للإعدام سبع أو ثمان مرات بسبب جداله مع الأشاعرة، كاد أن يُعدم عدة مرات وهو هناك في بلاد خراسان، فكان يقول عن الأشاعرة أنهم مثل إناث المعتزلة، كما سموا المعتزلة مخنثي الخوارج، فهذا كان يسمهيم إناث المعتزلة أو مخنثي المعتزلة؛ لأن المعتزلة كانوا أجرأ منهم في مسائل معينة في مسألة العقل وغيرها.

فتأثير المعتزلة كان كبيرًا عليهم رغم أنهم أشاعرة ويقولون أنهم قاموا لحرب المعتزلة، لكنهم في النهاية تأثروا بأشياء كثيرة مثل خبر الآحاد، فعند الأشاعرة لا يعتمدون خبر الآحاد في مسائل العقائد، ويقولون أن العقائد لا تثبت بخبر الآحاد هذا تأثر من المعتزلة، فالمعتزلة هم الذين يقولون ذلك، فالأشاعرة لا يعترفون بخبر الآحاد في العقائد إلا أن يكون الخبر متواترًا وهذه مصيبة وطامة كبيرة جدًا، ورد عليهم العلماء قديمًا ورد عليهم ابن تيمية ورد عليهم علماء السلف الذين عاصروا الأشاعرة في بدايتهم في القرن الرابع الهجري والقرن الخامس دحضوا هذه الشبهات، ومن أكثر الناس تشددًا معهم وله أحكام خطيرة جدًا ضدهم في بدعتهم يعني الإمام الهروي.

فتجد في كتاب (التوحيد) لأبي منصور الماتريدي ظلمة، وهذه كتبهم، حتى كتب التعليم ك(العقيدة النسفية) التي تُدرّس للأطفال و(جوهرة التوحيد) وغيرها، كل هذه عبارات مظلمة وتجد فيها قسوة عندما تقرأها وفلسفة في العبارة وغير ذلك، وحتى القصائد التي كانوا يختصرون كتب العقيدة أو أفكارهم في قصائد تجد فيها ظلمة، حتى مؤلفاتهم في الأصول وغيرها.

أعطيكم مقارنة بين إمامين والفارق كبير جدًا، الإمام الشافعي –رحمة الله عليه– صاحب المذهب الكبير توفي سنة ٢٠٤ هجريًا، اقرأ كتابه (الرسالة)، في أصول الفقه وهو أعظم وأقدم كتاب، ويكاد يُنسب إليه أنه أول من ألف في أصول الفقه، صدقوني لو حذفت اسم الإمام الشافعي ستظن أن أحد المؤلفين في عصرنا هو الذي ألفه الآن، سهولة العبارة، الروح، الاستشهاد بالقرآن الكريم، مع أن الإمام الشافعي من أئمة اللغة العربية، وكان يتميز على معظم الأئمة، والإمام الشافعي كان بحق مرجعًا في اللغة العربية، ورغم ذلك انظر إلى عباراته والسهولة، رحم الله الشيخ أحمد محمد شاكر أخرج لنا هذا الكتاب وحققه في تحقيق رائع وإضافات في غاية الروعة وهو كتاب (الرسالة) في أصول الفقه الذي كأن مؤلِّفًا في جامعة حديثة هو الذي كتب هذا.

قارن مثلًا لأحد المنتسبين للإمام الشافعي في أصول الفقه، كمقارنة في العبارات مثلًا كتاب (المستصفى) لأبي حامد الغزالي وهو إمام كبير وهو متوفى سنة ٥٠٥ هجريًا، يعني الفرق بينهما ثلاثة قرون، ولو قرأت ستجد ظلمة في العبارة والمقدمات التي ابتدعها واخترعها؛ القطب الأول والقطب الثاني، ويسمي الأشياء بأقطاب وطرق الاستثمار وبيان حصر مدارك العلوم، ثم يسمي الفنون ويقسمها، الفن الأول في القوانين وطريقة المتكلمين، بداية الكتاب أول أربعين خمسين صفحة ممكن لو واحد مسكين مبتدئ يقرأ يكره أصول الفقه، لو قرأ وليس عنده خلفية سابقة عندما يقرأ المقدمات التي ذكرها أبو حامد الغزالي في كتابه (المستصفى) سيجد أشياء غريبة ومظلمة حتى يصل إلى أصل الكتاب سيصاب بدوار، حتى يصل إلى القضايا التي تكلم فيها بعد ذلك عن الإجماع والتواتر والنسخ وشروطه وغيره من الأبواب الفقهية الشهيرة.

وهكذا حتى في كتب الرازي وغيره، كل هذه الكتب تجد فيها ظلمة، وهذا في كتب أصول الفقه كمقارنة، فتجد القدماء يكتبون العبارات سهلة، حتى من التابعين تجد الرسائل التي تصل إلينا في منتهى السهولة في العبارة والمسائل لم تكن بهذا التعقيد. لكننا نجد أن الإمام أبا حامد الغزالي يقول: "من لم يتعلم المنطق فإنه لا يفهم شيئًا في العلوم"،

وطبعًا رد عليه الأئمة، ورد عليه المازري في دولة المرابطين لما ظهرت الكتب بعد ذلك وأرادوا حرق كتبه، فقوله: "من لم يتعلم المنطق فإنه لا يفهم شيئًا في العلوم" معناه أن الصحابة الذين نشروا هذا الدين وهذا العلم وهؤلاء التابعون لم يكن في أيامهم منطق ولا أي شيء فكيف يُقال هذا!!

وهذا كلام خطير جدًا وحورب من أجله، والإمام أبو حامد الغزالي صاحب الكتاب الشهير (إحياء علوم الدين) وهو كتاب فيه أشياء خطيرة وأخطاء حتى عقدية في كتابه، وبعض العلماء حققوا هذا الكتاب والذي يقرأ (مختصر علوم الدين) أفضل من كتاب (الإحياء) كاملًا؛ لأن بعض العبارات إذا لم يكن الكتاب محققًا من شخص لديه معرفة بالعقيدة وبأصول التحقيق وبعلم الحديث ومخرَّجة، ولكن قيل أن الرجل في آخر حياته توفي وعلى صدره كتاب (صحيح البخاري)، وقيل أنه مات على السنة -رحمه الله تعالى-.

الشاهد هنا أن هذه الكتب التي ألفوها في العقيدة وفي أصول الفقه تجدها مظلمة عبارات قاسية لم يكن الأوائل بهذه الظلمة وهذه العبارات الخشنة، وإذا قرأت كتاب المستصفى وأنت لا تعرف من المؤلف سيظن أن هذا مؤلف قبل الإسلام في العصر الجاهلي، وإذا رأى كتاب الإمام الشافعي سيظن أن هذا كتاب معاصر.

يعني يقول لك في هذا القرن دليل على أن علماء السلف كانوا يكثرون من الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال السلف، وكانت عباراتهم سهلة بسيطة لا يوجد فيها هذه الطلسمات ولا اللوغاريتمات ولا التعقيدات الفلسفية التي تأثر بها هؤلاء للأسف بعد هذه الترجمات التي ظهرت في أيام الخليفة المأمون ومن بعده.

إذًا هذه إلمامة سريعة عن الإمام الماتريدي وعن أين ولد، ومتى توفي.

البعض ممكن يقول: ما هو الفارق بين الماتريدية وبين الأشاعرة؟

نعم أنا قلت لكم إن المذهبان الماتريدية والأشعرية هما جهمية في تعريف الإيمان -في الغالب-، جمهور الماتريدية مع جمهور الأشاعرة هم جهمية في تعريف الإيمان، يعني الإيمان عندهم هو المعرفة أو التصديق القلبي فقط، أخرجوا العمل؛ يعني واحد آمن بقلبه ولم ينطق لسانه ولم يعمل أي شيء ومات، يعني لم يصلِّ، لم يزكِّ، لم يحج، لم يجاهد لم يفعل أي شيء، فعندهم مات مؤمنًا كامل الإيمان. ونحن قلنا لكم من قبل أن عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة الصحابة، عقيدة السلف الصالح، هذه عقيدة الرسول ﷺ، عندهم ثلاثة أركان تصديق في القلب -التصديق أو المعرفة واحد

معناها واحد-، وقول باللسان وعمل بالأركان، وفصَّلنا وقلنا التصديق هنا بالقلب ليس معناه التصديق إن القلب لا يعمل، لا، القلب له عمل؛ تصديق بالقول وتصديق بالعمل يعني عمل القلوب من خوف، وخشية، ورجاء ودعاء، كل هذا اسمه عمل، عمل القلوب {وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، {يَخْشَوْنَ رَبَّهُم}، بالقلوب هكذا.

أما هؤلاء الأشاعرة والجهمية والمرجئة هؤلاء جميعًا ينكرون حتى عمل القلب، ونحن نؤمن بالاثنين معًا عمل القلب وقول القلب -التصديق أو المعرفة- وإقرار باللسان الإنسان يقر: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، وقلنا العمل بالأركان هو جنس العمل؛ يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصلي ويصوم.

فأهل السنة عندهم ثلاثة أركان من لم يأتِ بها معًا فهو ليس بمؤمن، لا بد أن يكون الثلاثة مع بعض أما غير ذلك فلا. ولكن لماذا لم يكفّر جمهور علماء أهل السنة الأئمة الذين قالوا ذلك؟ في علماء كفروهم، بعض العلماء قديمًا كالهروي وغيره، حتى جهم ابن صفون وغيره بعضهم كفره، لكن الجهمية على وجه العموم لم يكفروهم، طيب عند الأشاعرة والماتريدية بعضهم يقولون بنفس التعريف، طبعًا ابن تيمية وغيره قال: أنهم قد يكون عندهم شبهة تنزيه الله، شبهة التأويل، خطأ في التأويل أشياء مثل هذه، هذا الذي اعتبروه مانعًا من تطبيق الكفر عليهم كمعيَّنين، هنا تختلف المسألة؛ لأن محمدًا وزيدًا وعليًا هذا حتى تقام عليهم الحجة يسألونه ما اعتقادك؟ ما الشبهة؟ يزيلون له الشبهة أولًا.

لكن الذي يحدث أن بعض الناس معظم عوام المسلمين لا يفهمون في مثل هذه التفاصيل، يقول لك أنا أشعري ويفتخر أنه أشعري أو جهمي أو يفتخر أنه يعتقد هذا لكنه ربما لا يفهم أي شيء من أصول المذهب نفسه، واحد يقول لك أنا شافعي وهو لا يعرف هذه الأصول التي بنى عليها الإمام الشافعي أصوله، أو يقولك أنا حنبلي وهو لا يعرف أصول الإمام أحمد.

لكن الناس في واحد يقول لي: أنا أشعري وأؤمن بالأشعرية، قلت له -أنا ببساطة عارف أنه ليس هكذا-: وما أول واجب على المكلف أن يؤمن به؟ فقال: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فأنا ضحكت وقلت له: ما رأيك الأشعرية أصلًا لا يقولون بذلك، يقولون أول واجب على المكلف هو: الاستدلال ومعرفة الرب وهذه معرفة اسمها المعرفة الأولى، لا يكون مؤمنًا يستحق الجزاء والجنة إلا بالاستدلال والعقل وهكذا، ويُعمل عقله، وهذا كلام مخالف للقرآن الكريم، مخالف للسنة النبوية، مخالف للصحابة، هذا ليس هدي الرسول ﷺ وليس هدي الإسلام.

فالناس أحيانًا يعجبها بعض المصطلحات الجميلة أو بعض الناس عندهم علم لكن مغرورون بأسماء العلماء الكبيرة في هذا الشأن، يعني مثلًا هذا جعلني أتكلم في مسألة بعض الكتب يعني مثلًا في كتب تتكلم عن الأشعرية، كتب ما أكثرها في مدح الأشعرية ولو نتكلم عن كتب معاصرة مثلًا في كتاب لشخص مطبوع في مصر، هذا الكتاب طبعته دار السلام، وهذه دار السلام يعني سألت عنها فقيل لي أن دار السلام في القاهرة أو في المنصورة أماكن معينة في مصر يرأسها جماعة من الإخوان، الإخوان أيضًا للأسف متأثرون بالأشعرية في بعض المسائل كتاب اسمه (عقائد الأشعرية) في حوار هادئ مع شبهات المناوئين، هذا الكتاب بصراحة لمؤلف اسمه صلاح الدين بن أحمد الإدلبي، فهذا يعني لا هو صلاح ولا هو أي شيء، الرجل يخترع حوارًا على طريقة مراجعات عبد الحسين الشيعي هذا الذي زعم أنه قابل شيخ الأزهر البشري ورد عليه أسرة البشري ونفى هذا شيخ الأزهر البشري الذي هو جد الدكتور طارق عبد الحليم الشهير صاحب الكتب، فردوا عليه.

وهذا نفس القصة يقول: "قال الباحث.. وأقول" زعم أن باحثًا له كتاب يرد على الأشاعرة ورد على شبهاتهم وعلى آرائهم، ومن هذا الكلام، من هو هذا الباحث؟ لم يذكر لنا من هو الباحث، ما اسم الكتاب أصلًا حتى نرجع للمصدر والمرجع؟ كعادتهم ثم يأتي ويبين لك عندما تقرأ تقول: هذا باحث ساذج، ضعيف الحجة وهو –ما شاء الله– قوي عندما يستند إلى أشياء ويقطّعها، يعني غريب الكتاب، يعني بصراحة اتصلت ببعض الإخوة الناشرين الذين لهم علاقة في مصر قلت لهم: قولوا لدار السلام هذه اتقوا الله في هذا الضلال وهذه الكتب المضللة، وفي حوار من خيال الكاتب المؤلف هذا أشعري مغالٍ خبيث في نقله مجروح أيضًا، كيف ينقل مثل هذا في كتاب؟ وهذا الكتاب منشور ويباع في طباعة فاخرة جميلة، طبعوه منذ سنتين تقريبًا هذا الكتاب ٢٠٠٨م الطبعة الأولى في دار السلام، فاتقوا الله يا أخي هذه كتب محذورة.

من الكتب التي نحذر منها أيضًا في كتاب اسمه (مقالات أبي الحسن الأشعري) لابن فورك، قلت لكم إمام كبير من أئمة المتكلمين الأشعرية وهو الحسن ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦هـ، ماذا عمل؟ أخذ كلامًا مجملًا من اعتقاد أبي الحسن الأشعري وعمله في كتاب، يعني نشر هذا الكلام، المشكلة ليست هنا، ابن فورك معروف أنه مغالٍ ومعروف أنه متعصب ومن متعصبي الأشعرية، قيل أن السلطان –كما قلت لكم– ابن سبكتكين كما قال الباجي ونقله أيضًا ابن حزم؛ لأنه تكلم كمًا سيئًا أو عندما قال أن الرسول توفي فليس نبيًا الآن وليست روحه في الجنة هكذا فأمر بقتله، وقيل سجن وسم بعد ذلك.

ولكن الشاهد هنا إن تحقيق المحقق، كتاب خطير بسبب تحقيق المحقق ولو ترك الكتاب لوحده لكن المحقق ملقب هكذا تحقيق وضبط الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، هذا مطبوع سنة ٢٠٠٥م وهذا الكتاب يقول المحقق –انظروا الافتراء–، كاتب أشعري قبوري مغالٍ وكذاب أيضًا، يكذب حتى في تحقيقه يكذب أيضًا عندما يقول: كيف يخرج الشيخ أبو الحسن الأشعري من مذهب أهل السنة وهو شيخ فيه إلى مذهب أقرب إلى المشبِّهة والمجسِّمة؟ يعني ينكر خروجه، لما قال إن الإمام خرج في آخر حياته ورجع إلى مذهب أهل السنة في كتابه (الإبانة)، (ومقالات الإسلاميين)، لو أن الشيخ أبا الحسن الأشعري خرج من مذهب أهل السنة فلماذا لم يطعه تلاميذه ويتبعوه وهو عظيم وقدير عندهم؟

ولذلك هذا الكاتب يعتبر إن هذا موضوع من افتراءات الحشوية، وكلام سيء جدًا على شيخ الإسلام ابن تيمية وغير ذلك، وهو يقول إن كتاب (الإبانة) و(رسالة أهل الثغر) يفيدان رجوع الإمام أبي الحسن الأشعري من مذهب أهل السنة الذي هو عليه إلى مذهب المجسمة والمشبهة ممن ينتسبون إلى السلفية زورًا وبهتانًا، هو طبعًا ينفي هذا. طيب والحافظ ابن عساكر ماذا عساك أن تقول؟ وقد قلت لكم من قبل هو الذي ذكر في كتاب (تبيين تكذيب المفتري) أن (الإبانة) من مؤلفات الإمام أبي الحسن الأشعري وأثبت نصوصًا أنه يثبت العلو ويثبت أن الرحمن على العرش استوى، عكس هؤلاء جميعًا.

إذًا الإمام الماتريدي والإمام أبو الحسن الأشعري يتفقان في أشياء ويختلفان، الشيخ السبكي صاحب كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) ذكر أنهما اختلفا –يعني الخلاف بين الماتريدية والأشعرية كمجموع– في حوالي ثلاث عشرة مسألة، وبعضهم قال: عشرين مسألة، وهكذا. هذه مسائل لا تعد، تعتبر مسائل بسيطة جدًا، لكن أقوى مسألة الفاصلة بين الاثنين مسألتان: من المسائل القوية جدًا لكن في الفروع، الماتريدي مثلًا يشابه أهل السنة في بعض المسائل والأشعري أيضًا، ولكن في مسألة مثلًا مسألة القدر هي أقوى مسألة خالف فيها الأشعرية الماتريدية.

طبعًا هم يخالفونهم في القدر ويخالفونهم في مسألة التحسين والتقبيح ويخالفونهم في بعض مسائل ليست بالكبيرة، ولكن مسألة القدر أقوى هذه المسائل. مسألة القدر مثل ماذا؟ الأشاعرة هم جهمية في القدر، يعني جهم كان جبريًا والأشاعرة كانوا ولا يزالون جبرية في القدر، جبرية يعني إيش؟ يعني الإنسان مجبور على أفعاله، فالإنسان عبارة عن آلة، الله هو الذي خلق له كل شيء، ولا تأثير في أفعاله في المشيئة بشيء، لا تأثير لا يوجد تأثير عبارة عن آلة تتحرك.

فهم جبرية هنا عكس القدرية وهم لمعتزلة مثلًا، المعتزلة القدرية هم الذين نفوا القدر، يعني قالوا أن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله، لا علاقة لله، (القدر أُنُف) يعني مُستأنف خلاص، يعني من البداية الله سبحانه لم يخلق هذه الأفعال خلقها العبد؛ يشرب، يأكل، ضرب فلانًا، خرج، هذه أفعال خلقها العبد.

وهذا عكس الأشاعرة، الأشاعرة يقولون هذه كلها مجبور عليها، الله خلقها. الماتريدية رأيهم قريب من رأي هل السنة،: قسَّموها قالوا: في أفعال وفي وأوامر، أشياء الإنسان مجبور عليها والفعل ليس له أثر، وفي أشياء لا، فعل الإنسان له أثر، وهذا رأي أهل السنة أيضًا في هذه المسائل، فالإنسان قد يكون مجبورًا آليًا في أشياء مثل المرض مثل حركة المعدة، هذه الإنسان فيها مجبور، التي يقولون عليها مسيّر ومخيّر، ثم بعد ذلك الإنسان ممكن يفعلها ويتحرك ويأكل ويشرب، الله —سبحانه وتعالى– يجعل للإنسان فعلًا مؤثرًا، ولكن إذا أراد أن الإنسان يأكل الله يخلق له الفعل، يعني يفعل الشيء.

أما الأشاعرة يقولون: لا يوجد هذا على الإطلاق، وحاول أن يأتي أبو الحسن الأشعري في بعض المسائل وبعض الأشاعرة الكبار، لكن مسألة دقيقة جدًا وكلها أشياء مظلمة، ولذلك موضوع القدر هذا في منتهى الخطورة جدًا؛ ولذلك القدر سر الله تعالى في خلقه كما قال الإمام الطحاوي، ولم يُطلِع على هذا ملكًا مقرّبًا ولا نبيًا مرسلًا، فنحنُ نؤمن بالقدر خيره وشره، ونؤمن أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يُسأل عن أفعاله، هذا اختصار مسألة القدر.

ومسألة القدر في منتهى الخطورة، ولذلك كما قلت لكم أن الإمام الآجرّي عندما ألف كتابًا؛ لأن هذه المسائل بدأت تنتشر قبل عصره، فلذلك هو كتب ردًا في منتهى الغاية وهو ملخص اعتقاد أهل السنة في مسألة القدر، وهو باب الرد على القدرية؛ لأنه قال: "فإن سائلًا سأل عن مذهبنا في القدر، فالجواب في ذلك قبل أن نخبره بمذهبنا أننا ننصح للسائل ونعلمه أن لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله –عز وجل–، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيُكذِّب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طرق الحق، قال النبي ﷺ: (ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله – عز وجل–، وما أشركت أمة حتى يكون بدء أمرها وشركها: التكذيب بالقدر).

قال محمد بن الحسين -رحمه الله-: ولولا أن الصحابة -رضي الله عنهم- لما بلغهم عن قوم ضلال شردوا عن طريق الحق، وكذبوا بالقدر، فردوا عليهم قولهم، وسبوهم وكفروهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان سبوا من تكلم بالقدر وكذب به ولعنوهم ونهوا عن مجالستهم، وكذلك أئمة المسلمين ينهون عن مجالسة القدرية وعن مناظرتهم وبينوا للمسلمين قبيح مذاهبهم، فلولا أن هؤلاء ردوا على القدرية لم يسع من بعدهم الكلام على القدر.

بل الإيمان بالقدر خيره وشره واجب، قضاء وقدر، وما قدر يكن، وما لم يقدر لم يكن، فإذا عمل العبد بطاعة الله -عز وجل-، علم أنها بتوفيق الله له فيشكره على ذاك، وإن عمل بمعصيته ندم على ذلك، وعلم أنها بمقدور جرى عليه، فذم نفسه واستغفر الله -عز وجل-. هذا مذهب المسلمين وليس لأحد على الله -عز وجل- حجة، بل لله الحجة على خلقه، قال الله -عز وجل-: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}.

ثم اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهبنا في القدر أن نقول: إن الله -عز وجل- خلق الجنة وخلق النار، ولكل واحدة منهما أهل، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين. ثم خلق آدم -عليه السلام-، واستخرج من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعلهم فريقين فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير".

ثم فصّل تفصيلًا كبيرًا في كتابه (الشريعة) عن مسألة القدر. هذا إمام سني عظيم جليل القدر هذا الإمام الآجرّي يقول في مسائل القدر باختصار.

وبصراحة أفضل من كتبَ في القدر في هذا الموضوع وفنّد وأبدع ودحض شُبَه الجبرية والقدرية وكل من هبَّ ودب، حتى أصحاب الملل والنحل واليهود والنصارى، هذا الإمام العظيم ابن القيم -رحمة الله عليه- في كتابه (شفاء العليل) وهذا الكتاب في غاية الروعة والقوة والأدلة القوية جدًا وهو مقسم تقسيمًا بديعًا. والإمام ابن القيم هو تلميذ الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليهما جميعًا-، الذي يريد أن يفهم كثيرًا من الأشياء، يقرأ كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)، رد على موضوع تعليل الأحكام الذين ينفون تعليل الأحكام، كالأشاعرة فهم ينفون تعليل الأحكام، ويقولون أن الأحكام غير معللة أصلًا، وعندهم طوام، لكن الماتريدية يخالفونهم في بعض المسائل، في مسألة التحسين والتقبيح، يعني الماتريدية أحسن منهم في مسألة القدر ومسألة التحسين والتقبيح.

فالإمام ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) ذكر كل هذه الشبهات، ورد عليها في مناظرته الجميلة بين قدري وسني، أي نفاة القدر، وذكر مناظرات بين جبري وسني، وذكر شُبَه الناقمين للحكمة والتعليل، وذكر أشياء كثيرة في أصول

الإيمان بالقدر خيره وشره، وأشياء في غاية الروعة، وأنا أعتبر هذا الكتاب من أفضل الكتب في مسائل القضاء والقدر. ولكن نصيحة للشباب الذين يريدون أن يقرأوا مثل هذه الكتب رجاء يقرأوا كتبًا قبل ذلك؛ لأن ابن القيم وابن تيمية كما قلت وأكرر لكم لهم تفصيلات وتفريعات كثيرة ممكن تدوخ معهم في بعض المسائل، فأحيانًا يستفصل ويستطرد كثيرًا في موضوعات تظن أن هذا رأيه وهو في الحقيقة رأي واحد آخر يعني يرد على شُبهة معينة، فلذلك لا بد أن يعرف الإنسان مفتاح شخصية العالم الذي سيقرأ له الكتاب.

فننصح الشباب يقرؤوا الكتب البسيطة، مثلًا (باب القدر في العقيدة الطحاوية) في شروح العقيدة الطحاوية جيد جدًا، فممكن يقرؤونه ويقرؤون شُرّاح العقيدة الطحاوية في بند القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأيضًا هناك بعض الكتب المعاصرة في مسائل القضاء والقدر وهي بصراحة كتب كثيرة جدًا فممكن الإنسان يرجع لمثل هذه الكتب إذا احتار، مثلًا الشيخ عبد الرحمن المحمود له كتاب جيد في موضوع القضاء والقدر باختصار جميل جدًا كتاب قيم جدًا، وهناك بعض رسائل الدكتوراة والماجستير في موضوع القضاء والقدر لعلماء معروفين من أهل السنة.

فإذًا الخلاف بينهما في مسائل القدر والذي يريد أن يقرأ بالتفصيل فليقرأ على الأقل كتاب شفاء العليل لابن القيم ويرتاح، لكن بعد أن يقرأ كتبًا أخرى في البداية أو ملخصات في البداية؛ لأن ابن القيم وحتى ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل يذكر مثل هذه الأشياء كثيرًا وفي كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية أيضًا ابن القيم ذكر هذا أيضًا في رده على الجهمية هؤلاء دائمًا كتب ابن تيمية وابن القيم مملوءة بمثل هذه المناظرات والردود وفعلًا لأنهم استطاعوا أن يحرروا مذهب السلف في هذه القضية الكبيرة وفي قضايا كثيرة، الأسماء والصفات والإيمان حرروا من شوائب الأشعرية وكل هؤلاء أصحاب هذه الفرق.

قلنا بعض المسائل التي اختلفوا فيها أيضًا هي مسألة التحسين والتقبيح، اختلف فيها الماتريدية والأشاعرة. مسألة التحسين والتقبيح هذه ستجدونها عند علماء الكلام وبعض كتب العقائد والمسائل هذه يذكرونها كثيرًا، هذه المسألة أصلًا ذكرها ابن القيم ورد ردًا جميلًا في كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية) ونقل كلام أيضًا لابن تيمية، وابن تيمية أيضًا رد على هذه المسألة وفصلها تفصيلًا جيدًا في كتبه ككتاب (الاستقامة) وغيره. ولكن ملخص هذه المسألة ماذا؟ ما معنى حسن وقبيح؟

نعرف أن الحسن الشيء الجيد، والقبيح الشيء المذموم، هذا المفهوم. المعتزلة مثلًا أثاروا القضية كالآتي: قالوا أن الشيء إما أن يكون حسنًا في ذاته أو قبيحًا في ذاته، فأطلقوا العنان للعقل وقالوا إذًا العقل يستطيع أن يميز بين الحسن وبين القبيح، فإذًا حتى لو لم يَرِد الشرع فالناس تُسأل وتُحاسَب، فمثلًا لا يوجد شرع عن تحريم أي شيء فإن كان عقلك قال لك هذا شيء جيد وحسن فلو اقترفت السيء فالله يحاسبك، حتى لو لم تنزل آيات قرآنية ولم ينزل تحريم أو تحليل، فالشيء الحسن لو فعلته تثاب عليه، وهذا شيء قبيح لو اقترفته وارتكبته تجزى عليه وتعاقب عليه في الآخرة، هذا هو خلاصة رأي المعتزلة.

أما الأشاعرة فكانوا على النقيض، قالوا الأمر عند الله سبحانه هو الذي يقول بالشرع هذا قبيح وهذا حسن، فالشيء يستوي فيه الأمران والله هو الذي جعله قبيحًا أو الله وصفه بأنه حسن، فلا دخل للعقل إطلاقًا بهذه المسألة، فهذا الذي ذكره الأشاعرة نقيض المعتزلة. المعتزلة قالوا العقل يحسِّن ويُقبِّح حتى لو لم ينزل الشرع، الأشاعرة قالوا كل شيء للشرع هو الذي يقول هل هو حسن أو قبيح حتى لو خالف العقل.

ولذلك افترضوا افتراضات سبحان الله لو التزموا بالشرع وبما كان عليه هدي النبي ﷺ والصحابة وغيرهم!، يعني مثلًا يقولون: هل يجوز أن يرسل الله رسولًا ويكون كافرًا؟ أو يرسل رسولًا ويكون فاسدًا؟ والعياذ بالله. قالوا: إذا شاء ذلك فعل من الناحية العقلية ولكنه لم يفعل لأنها في الشرع غير موجودة، يقولون يجوز لماذا؟ لأنه إذا أمر الكافر أن يكون رسولًا، أستغفر الله!، يعني كونه سماه رسولًا إذًا فهو شاء ذلك فهو حسن رغم أن العقل يقول هذا الرجل فاسد عربيد مشرك، فكيف تقول أن الله يكلفه بهذا!! هذا خبَط ولا أريد أن أذكر لكم أمثلة هذا حتى لا تصابوا بالدوار.

فالمعتزلة أطلقوا العنان والآخرين أغلقوا الشيء كله وجعلوا أفعال الله مشيئة كأن الله -سبحانه وتعالى- ليس من صفته الحكيم، فالحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، كيف العقل يقول لك أن هذا الفعل حسن وأنتَ تقول أن الله ممكن يكلف واحدًا كافرًا ويجعله رسولًا!! نزعوا الحكمة أستغفر الله العظيم!، هذا هو رأي الأشاعرة وكتبهم مملوءة بذلك.

ولذلك الماتريدية خالفوهم ومالوا إلى أهل السنة، وقالوا: المسألة فيها تفصيل؛ الله -سبحانه وتعالى- خلق في الإنسان عقلًا يستطيع أن يُحسِّن ويُقبِّح، لكن هذا التحسين والتقبيح لا يؤاخذ عليه العبد إلا بالشرع، لكن قبل الشرع لا يؤاخذ عليه، يعني العقل قبل وجود آية أو أي حديث والعقل قال أن الشيء سيء واقترفه الإنسان هنا لا يُعاقب عليه

الإنسان؛ لأنه لا يوجد شرع، فالشرع لم يحرم هذا الشيء رغم أنه سيء لكن لم ينزل تشريع بذلك. فأهل السنة والماتريدية مع بعض الآن، هناك تفاصيل أخرى دعكم منها لكننا نتكلم في المجمل الآن.

لذلك ابن القيم رد ردودًا جيدة على هذا، وساق أدلة كثيرة جدًا على هذا، فقال: الله -سبحانه وتعالى- يقول في القرآن دليل على أن هذا باطل الذين نفوا الحسن والقبح العقلي {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ} فلو كان لا معنى للمعروف إلا ما أُمروا به ولا المنكر إلا ما نُهي عنه كما تزعم الأشاعرة لكان معنى الآية على مذهب الأشاعرة لو كان كلامهم صحيحًا: يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم، وهذا الكلام يُنزَّه عنه آحاد العقلاء فضلًا عن كلام رب العالمين والعياذ بالله، فالله -عز وجل- يقول: {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ} والمعروف العقلاء يعرفونه، {وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ} إذًا كان هناك منكر للعقلاء يعرفونه، فهل يعقل أن يقول لهم {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ} وهم لا يعرفون ما معنى معروف وما معنى منكر؟! هذا كلام في منتهى الخطورة عند الأشاعرة فهم ينفون ذلك أصلًا.

ويستشهد عليهم ابن القيم أيضًا بقوله تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} فهذا صريح في أن الحلال كان طيبًا قبل حِلِّه، وأن الخبيث كان خبيثًا قبل تحريمه، ولم يستفد طيب هذا وخُبث هذا من نفس الحل والتحريم، إذًا متى يُحاسب الناس؟ يحاسبون بعد النص، لكن قبل النص الناس لا تحاسب لو ماتت على ذلك، فلو أكل واحد من الخبائث رغم أن العقل يقول له أن هذه من الخبائث وهي مستقذرة لكن الشرع لم ينزل فلا يُعاقَب عليها؛ لأنه لا يوجد نص.

رد عليهم أيضًا ابن القيم في قول الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وهذا دليل على أن الفواحش في نفسها لا تستحسنها العقول فتعلق التحريم بها لفحشها، {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ} إذًا العرب والناس العقلاء يعلمون ما هي الفواحش قبل حتى نزول النص، {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} فعلل النهي بكون المنهي عنه فاحشة، فالعقلاء يعرفون كون هذا فاحشة. وهذا الكلام ابن القيم نشره في كتبه في (اجتماع الجيوش الإسلامية) وفي (شفاء العليل) وذكره أيضًا في كتاب (مفتاح دار السعادة) وغيرها، وعندما تكلم أيضًا في (طريق الهجرتين وطبقات المكلفين) فابن القيم مبدع في كتبه وفي تحرير مذهب السلف -رحمة الله عليه-، فكل هذه الأدلة التي ذكرها وهذه الآيات كلها تدل على بطلان ما تزعمه الأشاعرة من نفي الحسن والقبح العقليين.

ثم بعد ذلك بيّن لهم أن قول الله تعالى عكس تصورهم، فالله -سبحانه وتعالى- يقول في القرآن {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} هذا الكلام ضد المعتزلة؛ لأن المعتزلة قالوا أن الإنسان لو ارتكب شيئًا قبيحًا عقلًا يُعاقب عليه في الآخرة حتى لو لم يوجد نص تشريعي، وهذا ضد القرآن الكريم، فالقرآن يقول: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} إذًا التعذيب والعقاب الشرعي سواء في الدنيا أو في الآخرة بعد الرسالة {حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}.

وهذه المسألة حاولت أن أبسطها في كتابي (دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية)؛ لأنه كان أشعريًا ولما سافر إلى باريس انبهر بهذه الحضارة ثم رجع فترجم لنا الكتب الفرنسية ووضع اللبنات الأولى للعلمانية في العالم الإسلامي، وذكرت أن سبب المشكلة عنده هو موضوع التحسين والتقبيح فوقع في أنه أشعري لا يرى بالتحسين والتقبيح العقلي وتأثر بموضوع المعتزلة فوقع في كيف يُحسِّن ويُقبِّح فحاول أن يوفق بينهما، ولكنه خالف حتى المعتقد الذي كان يسير عليه، وكتب كتبه الشهيرة (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، والعالم الإسلامي كان يموج بالأشعرية منذ القرن الرابع الهجري للأسف الشديد، وكان الأزهر معقِل هذه الأشعرية، وكتب الأشعرية هي التي كانت تُدرَّس، واعتبروا الطهطاوي هرمًا من أهرامات مصر ورائد النهضة المصرية الحديثة، والرجل عاش في فترة محمد علي باشا، توفي سنة ١٢٩٠هـ يعني ١٣٧٣م.

والكتاب اسمه (دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية) ذكرت مسألة التحسين والتقبيح بصفة خاصة؛ لأن الذي خرَّب المسائل هذه نشر المعتزلة لذلك، نجد هؤلاء الماركسيين والعلمانيين يقدسون المعتزلة لأنهم أعملوا العقل أنه يحسِّن ويقبِّح ولا يهم النص، لذلك تجد الكتابات التي تقول أن نقد النص، أي: انتقاد النص، انغلاق النص، يقصدون النص يعني القرآن والسنة الصحيحة، لأن الذي فتح هذا الموضوع الخطير وفتح شهية هؤلاء الحاقدين على الإسلام هم المعتزلة الذين أطلقوا العنان للعقل، رغم أن المعتزلة في وقتهم كانوا يقصدون المسائل التي ليست فيها نص، لذلك تجد المعتزلة لما كان في العقل والنص كانوا يؤوِّلون، يستخدمون التأويل والمجاز عكس العلمانيين في أيامنا هذه.

هم يتمحَّكون في المعتزلة، المعتزلة كانوا يتكلمون عن إذا لم يوجد نص فالإنسان يحاسب في التحسين والتقبيح على عقله، ولكن لو وُجد نص فإنهم يؤوِّلونه ويقدِّمون العقل في هذه الحالة، وهذه هي المشكلة التي حدثت وتأثر الأشاعرة بها، الأشاعرة أخذوا مسألة العقل وتأثروا بالمعتزلة في قضية تقديم العقل على النقل، يعني لو حصل نص يقول: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}، {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} يؤولونه، وتأويل آيات الرحمة وغيرها، عقلهم هنا

يقدمونه، النص هذا إما أن يؤولوه أو يقولون أنه مجاز أو يفوضونه بلا معنى، لكن لا أقصد تفويض الكيفية، تفويض المعنى هذا هم أقل درجة الأشعرية في هذه المسائل.

فإذًا الماتريدية كانوا أفضل منهم في هذه المسائل: القدر ومسألة التحسين والتقبيح العقلي، وأيضًا في مسائل فرعية لا أحب أن أطيل عليكم فيها، لكن الذي يريد أن يرجع في كتب تكلمت عن الماتريدية والمقارنة بينها وبين الأشاعرة، كلها دراسات حديثة ودراسات درجة الماجستير وغيرها، كتب جيدة في بابها مثل كتاب (نقد عقائد الأشاعرة والماتريدية) تأليف دكتور خالد بن علي المرضي الغامدي، وفي كتاب (الماتريدية دراسة وتقيمًا) لأحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي هذا كتاب جيد أيضًا في بابه، طبعًا الذي يريد أن يعرف بالتفصيل والردود يقرأ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية سواءً في الفتاوى وخاصة كتابي (الإيمان الأوسط) و(الإيمان الكبير) أو في (درء تعارض العقل والنقل) وفي كتاب (الاستقامة) و(الرد على البكري) و(الإخنائية) وغيره، في كتب كثيرة جدًا معظم كتب ابن تيمية ستجد فيها هذه المسائل مدسوسة والرد عليهم في بعضهم، ولكن الكتب التي ذكرت لكم هي –إن شاء الله– فوائد جمة وكثيرة في هذا الموضوع.

بعض الإخوة سألني عن مسألة ابن حجر العسقلاني وهل هو والنووي أشاعرة؟ لأن هذا يكثر ذكره، طبعًا في بعض الدراسات وبعض الباحثين في دراسة ماجستير أو الدكتوراه ذكروا وتقَّصوا هذه المسائل، في الحقيقة ليس معنى الإنسان عندما يشترك أو يرى رأيًا أو يتوافق مع رأي في مسألة معينة لمذهب معين أنه من أصحاب هذا المذهب، مثلًا عندما تكفّر بعض الناس الذين يستحلّون الكبائر مثلًا يستحل الزنى، الخوارج يكفّرون مرتكب الكبيرة، لكن نتكَّلم لو أنك كفَّرت مرتكب كبيرة وكان مستحلًا سيقول لك تكفيري أو خوارج! هذا ليس معناه عندما تشترك مع الخوارج في شيء أنك خارجي، يعني عندما توافق المعتزلة مثلًا في إدخال الأعمال في باب الإيمان يعني المعتزلة والخوارج يوافقون أهل السنة في تعريف الإيمان قول وعمل وتصديق بالجنان في المجمل، معنى ذلك أن نقول أنك خارجي أو معتزلي؟ لا، المعتزلة لا يكون إلا بشروط وبخمسة أشياء يؤمن بها هذا هو المعتزلي.

وثانيًا: أنا تكلمت في المحاضرة السابقة عن المعتزلة وعن فِرقهم وعن أصولهم وعن كتبهم، وعن أشهر علمائهم ممكن الذي يريد أن يرجع لها، ليس معناها أن توافق المعتزلة في مسألة فتكون معتزليًا. مثل ماذا؟ الماتريدية يوافقوننا في مسألة التحسين والتقبيح كأهل السنة، ويوافقوننا في مسألة القدر، هل معنى ذلك أنني ماتريدي؟ الأشاعرة مثلًا أبو الحسن

الأشعري يخالف الأشعرية التي تتمحَّك فيه عندما يرى العلو، يؤمن أن الرحمن على العرش استوى، يؤمن كما يؤمن السلف في هذ القضية كما في كتابه (الإبانة) وكتابه (مقالات الإسلاميين) وغيره، أما من جاء بعده معظم المتأخرين تقريبًا هذه قضية محورية جوهرية عندهم ينفون الفوقية ويؤولونها، وإن {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} معناها استولى وليس معناها ارتفع أو علا بدون كيف، هل معنى ذلك أن أبا الحسن الأشعري ليس أشعريًا هنا؟ لا هو إمام الأشعرية ويوافقهم في كثير من الأشياء، أو أن أشعريًا مثلًا أخذ برأي بعض أهل السنة في مسائل معناها ليس أنه محسوب على أهل السنة.

الإمام ابن حجر العسقلاني –رحمة الله عليه– هو من أعيان القرن التاسع الهجري، كان العالم الإسلامي منذ القرن الرابع مذهب الأشعرية هو المنتشر، فتأثر في تأويل بعض الصفات، أخطأ في تأويلها ولكن ابن حجر العسقلاني –رحمة الله عليه– هو نفسه كان يرد على الأشعرية ورد على ابن فورك، رغم أنه كان أحيانًا يستخدم عبارات يعني يستشهد بابن فورك في كتابه (التوحيد) وغيره، والجويني في بعض التأويلات ولكنه أخطأ في هذا، ولكنه ليس على الإطلاق أشعريًا، هو أخطأ في مسائل معينة وهو إمام شافعي كبير ولكنه ليس أشعريًا، وابن حجر العسقلاني نفسه رد على كثير منهم وخالفهم في مسائل، مثل مسائل الإيمان في إخراج الأعمال وهكذا، هو خالفهم وإن كان ليس بالكلية، في بعض المسائل لكنه نقدهم ونقد تأويلات ابن فورك وغيره، وخالفهم في كتاب (الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة)، هل هو أشعري؟ وجمهور الأشعرية يؤمن بأن حديث الآحاد لا يحتج بها في العقيدة إلا أن تكون أحاديث متواترة، فهو رد عليهم.

والإمام النووي نفس الأمر، أخطأ في بعض المسائل في التأويلات في موضوع الصفات وغيرها وهذا الذي كان منتشرًا، وليس معناه أنه يعتقد عقيدة الأشعرية وليس محسوبًا من أئمتهم، هو يضاف هكذا بسبب خطأ في تأويل معين في الأسماء والصفات، لكن في الجملة هو إمام من أهل السنة.

إذا تكلمت عن ابن حجر فتكلم عن ابن عقيل، تكلم عن القاضي أبي يعلى في كتابه، وهذا صاحب كتاب (الإيمان) رد على الأشاعرة والمعتزلة، كان متأثرًا في بعض المسائل، رد عليه ابن تيمية وابن عقيل الحنبلي، أئمة الحنابلة الكبار، والإمام ابن الجوزي كل هؤلاء أئمة حنابلة كبار وابن الزاغوني وغيره، هؤلاء كانوا أعداءً للأشاعرة وشنوا حروبًا وكتبًا ضد الأشاعرة، رغم أنهم وافقوهم في بعض المسائل، ورد عليهم ابن تيمية وعلق عليهم رغم أنهم أئمته، لأن ابن تيمية

مذهبه حنبلي، ورغم أنهم أئمة المذهب الحنبلي، أعمدة كبرى في المذهب الحنبلي كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وغير هؤلاء، ورد على ابن الجوزي. هل يقول أحد أن القاضي أبا يعلى أشعري؟ وابن الزاغوني، أو ابن عقيل، أو ابن الجوزي وغير هؤلاء أشاعرة؟ لا، هم تأثروا في أخطاء معينة تأثروا بها، تأولوا فأخطأوا فيها.

الخلاصة: أن ابن حجر العسقلاني لا يعتبر أشعريًا، ولا يعد من أئمة الأشعرية، هو إمام من أهل السنة كابن عقيل وأبي يعلى وابن الجوزي وغير هؤلاء، ولكنه أخطأ في بعض المسائل أو وافق الأشعرية في كذا، وليس معناه أنه أشعري. النووي إمام من أهل السنة ولكنه أخطأ في مسألة كذا، مال إلى هذا التأويل الأشعري وأخطأ فيه، وأن ابن عقيل هكذا، كل هؤلاء نقول عليهم هذا.

بقيت بعض المسائل وهي الخاصة بأسباب انتشار الأشعرية.

أسباب انتشار الأشعرية والماتريدية في العالم الإسلامي، معظم القضاة كانوا منهم، يعني مثلًا الإمام أبو حنيفة في أيام عصر الخليفة هارون الرشيد عندما عيَّن أبا يوسف في القضاء —قاضي القضاة– ماذا حدث؟ أبو يوسف كان يعين القضاة الذين على مذهبه –الأحناف–، ثم بعد ذلك الأحناف تأثروا وخاصة الماتريدية —أبو منصور الماتريدي أصلًا حنفي–، فكل انتشارهم في الدولة العباسية، انتشروا بكثرة فما حصل نتيجة أن القاضي حنفي وقاضي القضاة حنفي، ويعين الأحناف، والناس تحب أن تتقرب وتقرأ رأي القاضي وتكون قريبة من هذا الذي تبع لدولة الخلافة وكذا؛ ولذلك انتشروا وكان الوعاظ والقصاص من هؤلاء، بسبب أن القاضي كان يعيِّن من هم على مذهبه في ذلك الوقت؛ لذلك انتشروا.

والماتريدية كانوا موجودين في بلاد ما وراء النهر وفي خرسان والمناطق التي هي الآن وباكستان، أفغانستان، وإيران قبل أن تتحول، إيران هذه قبل ذلك هي معقل الأحناف والشافعية وأهل السنة لم يكن يوجد روافض هكذا، كانوا قلة أَصلًا كل أسماء هذه المدن التي كانت في خرسان التي هي إيران الآن، الشيعة الصفويون منذ قرنين فقط أو ثلاث قرون هم الذين غيروا كل شيء، وكانوا عبارة عن خليط من الصوفية وخزعبلات، اعتقد هذا الصفوي الجد المؤسس لعقيدة الروافض تحول وقتل علماء أهل السنة.

انتشر بسبب أن قاضي القضاة كان منهم، معظم الولاة كانوا يهابون القضاة ويحترمونهم فانتشر المذهب الأشعري، لأن الأحناف في الأصل كانوا يعتقدون مذهب الإمام أبو حنيفة، على فكرة الإمام أبو حنيفة سأتكلم عنه في موضوع —

إن شاء الله- مرجئة الفقهاء فيما بعد، الإمام أبو حنيفة الذي يتمحَّك فيه الأشاعرة اليوم حين يقولون إمامنا الأعظم وهكذا، كان أصلًا ضدهم في مسألة العلو، بل يكفّر الذين يقولون الله في كل مكان، أو الرحمن ليس على العرش استوى، كان يقول الرحمن على العرش استوى ورد عليهم وكان يعنّفهم وأمر بطردهم وهكذا، له كتاب ورد على الجهمية وغير ذلك. يقولون لك: الإمام أبو حنيفة كان أشعريًا، يا رجل الإمام أبو حنيفة كان أشعريًا؟ إذا كان أبو حنيفة ولد ٨١هـ تقريبًا أو ٨٠ يعني كان عمره سنتان أو سنة في أيام معركة بئر الجماجم التي كانت بين ابن الأشعث والحجاج، وعاش في الدولتين آخر الدولة الأموية والدولة العباسية، عاصر الخلافتين وتوفي سنة ٣٥٠هـ، الأشعري لم يكن في رحم أمه ولا في صلب أبيه في ذلك الوقت لأنه في ٢٦٠ هـ، يعني وُلد بعد وفاة الإمام أبو حنيفة بستين سنة، فقط فتخيل كيف يكون أشعريًا؟!

كما قالوا أيضًا الإمام البخاري أشعري!، والله خرافات وخزعبلات، أحد الشباب أرسل رسالة لنا يقول: أن الإمام البخاري كان أشعريًا، الذي كتب كتاب (خلق أفعال العباد) والذي رد على الأشعرية ورد على الجهمية ورد على كل هؤلاء، الإمام البخاري عاش وولد قبل أن يولد أبو الحسن الأشعري ولا أبو المنصور الماتريدي، يعني أبو الحسن الأشعري هذا ٢٥٦هـ والآخر الإمام البخاري توفي قبل ولادة أبي الحسن الأشعري بأربع سنوات، كيف يكون أشعريًا؟ و(صحيح البخاري) والكتب كلها ضد الأشعرية، وكل الأدلة التي نستخدمها ضدهم، بل إن بعض غلاة الأشعرية وصل بهم الأمر حينما تأتي له بحديث في البخاري يقول لك هذا حديث آحاد؟ وطعنوا في البخاري من غلوهم.

وهؤلاء الأشاعرة كالضال المجرم زاهد الكوثري الذي عاصر في آخر الدولة العثمانية، وهذا طعن طعونًا وأشياء كثيرة، رد عليه العلماء، ورد عليه الإمام -كما قلت لكم ذهبي هذا العصر- وهو الإمام المعلمي في كتابه (التنكيل)، والبعض ردوا على هذا القبوري الذي طعن في أئمة الإسلام من قرون الخيرية إلى قرنه كل هذا انتصارًا لأبي حنيفة فقط، بل إنه كان يقلل من الصحابة ويعلي من شأن الإمام أبي حنيفة، وليته اتبع الإمام أبا حنيفة أو حتى أبا الحسن الأشعري، طبعًا أبو الحسن الأشعري على نفس اعتقاد أهل السنة وعلى اعتقاد أبو حنيفة أيضًا رغم أن أبا حسن الأشعري كان شافعيًا وليس حنفيًا.

فإذًا من أسباب انتشار المذهب الماتريدي والأشعري وجود هؤلاء السلاطين والقضاة، وأيضًا أنهم ظهروا في أيام العُبيدين والفتن وفتنة القرامطة وفتنة وجود المعتزلة وغيره، ففي هذه الفترة كانوا يردون على اليهود والنصارى والمعتزلة

والجهمية ويردون على كل هذه الفرق، طبعا كل أهل السنة وأهل الحديث في ذلك الوقت سكتوا عنهم من باب رأب الصدع وأنهم يجاهدون وأنهم أهل الإسلام وأنهم يدافعون عن الصحابة وأنهم يدافعون عن الخلفاء وهم يؤيدون أهل السنة في مسألة الإمامة ومسألة أفضلية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ويعني في أشياء كثيرة ويردون على كل هذه فيقول لك ما في داعي للدخول معهم في مناظرات.

فلما سكت عنهم أهل السنة للأسف الشديد ماذا حدث هم تبنوا ودلسوا على الأمة ودلسوا على الناس في هذه العصور وقالوا أنهم هم أهل السنة نحن أهل السنة ونحن الذين ندافع فعلموا الناس العقيدة الباطلة والأخطاء التي وقعوا فيها واقتبسوها من المعتزلة وغيرهم من الذين يتناظرون معهم ومن كتب الفلسفة فقالوا هذه في عقيدة أهل السنة.

وهذا هو الخطأ الكبير سكوت علماء السنة لأنهم يعتقدون أنهم يجاهدون هؤلاء وأنهم علماء زهاد، فلذلك سكتوا عليهم كما سكت العلماء قديمًا في أيام دولة المرابطين على ابن تومرت، هذا الدجال الذي دمَّر دولة المرابطين السنية وأسس دولة الموحدين وهذه دولة بدعية هو أصلًا أشعري ومحسوب على علماء الأشاعرة، رغم أنه في حقيقة الأمر هذا الخبيث ادعى أنه المهدي، ولكنه جمع ثلاث سوءات مع بعض أسوأ ما عند الأشاعرة واعتقد ضلالات المعتزلة والرافضة! تخيل جمع هذه السوءات معًا، ولذلك استباح وأفتى بإباحة دماء المسلمين وعلماء السنة قتل عشرات ومئات المسلمين بسبب فتوى هذا المجرم، وكل من لا يوافق آراءه في العقيدة والمذهب، ثم بعد ذلك ادَّعى أنه المهدي ثم بعد ذلك أسسوا دولة الموحدين التي دمرت دولة المرابطين.

ابن تومرت هذا توفي سنة ٥٢٤ هجريًا وكان يدَّعي التصوف، ولكنه خليط رافضي اعتزالي أشعري، وفي النهاية تسبب في قتل العلماء، وبسبب سكوت عبد الله ابن تاشفين، لما توفي -رحمة الله عليه- جاء ابنه وكان صالحًا ولكنه لم يكن بنفس قوة أبيه، ظهر في هذه وسكت عنه الناس بزعم أنه زاهد وأنه يحب آل البيت وضد البدع وضد المنكرات، هكذا دخل على الناس ثم تسبب في تجييش الناس ضد الدولة وسقطت الدولة المرابطية بسبب هذا الأشعري الرافضي المعتزلي، كل ما تتخيلونه يعني كوكتيل من المصائب.

فإذًا هذا من سكوت أهل السنة بالإضافة إلى وجود مؤسسات كبرى، يعني عندما تجد جامع الزيتونة هذا كان يحمي الأشعرية بما فيها الماتريدية، طبعًا هذه الجوامع الكبرى التي كانت في سمرقند وفي خراسان وغيرها، كان المسلمون يعانون من هؤلاء الأشاعرة حتى في دولة نظام الملك وغيره وفي أيام سلطانه وأيام السلطان نور الدين زنكي وأيام صلاح الدين

الأيوبي كانت الحواضر هذه والمدارس العلمية المسؤولون عنها والعلماء المعيَّنون من قِبل الدولة والذين تُصرف لهم الرواتب هم أشاعرة، فنشروا المذهب هذا.

وأيضًا بعد ذلك الدولة العثمانية تبنَّت الماتريدية الأشعرية وكانت حنفية، وقلنا لكم لا تكاد تجد واحدًا ماتريديًا مالكيًا مثلًا أو شافعيًا أو حنبليًا لكن تستطيع أن تجد الأشعرية في كل المذاهب. المذهب الوحيد الذي يكاد لا يوجد فيه إلا نزر قليل جدًا هم الحنابلة، أما المذهب المالكي كان من أنقى المذاهب قديمًا لكن للأسف معظم المتأخرين صاروا أشاعرة أيضًا، والشافعية فيه علماء أجلاء كانوا يفرقون بين علماء الأشعرية الشافعية المتكلمين والشافعية الذين كانوا يحبّون الحديث وهكذا كابن عساكر والبيهقي، ولكن هؤلاء الأشعرية في المؤسسات، الأزهر في أساسه كان مؤسسة رافضيه ثم تحول بعد ذلك إلى مؤسسة في المجموع تبع أهل السنة لكنه كان يدرِّس عقائد الأشعرية إلى وقتنا الحاضر.

إذًا كل هذه المؤسسات ساعدت في شيوع وانتشار المذهب وآراء الأشعرية، المذهب الأشعري والماتريدي وعقائدهم حتى صارت هي التي تدرَّس كأنها مذهب أهل السنة والجماعة، بالإضافة إلى المؤلفات أو الكتب التي كان العلماء والباشوات والباكوات وكان أهل الخير وأهل الوقف ينفقون الأموال لطباعة هذه الكتب وهم أشعرية أيضًا.

ففي المقابل العقيدة الصحيحة لأهل السنة لم توجد إلا في مجموعة قليلة، هذه المجموعة القليلة كانت غالبًا في المذهب الحنبلي أو في بعض المذاهب كالمالكية والشافعية أيضًا ولكنها ليست بهذه القوة ولم تجد من يساندها، والعلماء واجهوا سلطة وقوة من الأحناف ومن الأشاعرة بصفة خاصة.

إذًا صار الآن المذهب الحنفي مذهبًا أشعريًا رغم أنه في الحقيقة ليس كذلك، الإمام أبو حنيفة ليس أشعريًا ولا علاقة له بالأشعرية نهائيًا، بصراحة هو فيه مشكلة عنده في الإرجاء في مسألة الإيمان –وسنتكلم فيها فيما بعد في تعريف الإيمان– ولكن حتى الأشعرية ظهرت وهو كان توفي منذ ستين سنة لما ظهر أبو حسن الأشعري.

إذًا هذا الذي حدث هو شيوع الأشعرية فصار يُظن أنها هي مذهب أهل الحق ومذهب أهل السنة والجماعة، وهي التي يقال عنها ذلك كل ذلك بسبب كل هذه الأسباب وغيرها، مما سهَّل وجعل الناس يظنون أن أهل السنة هم الأشاعرة أو الماتريدية.

أشعر أني أطلت، وفي المسائل لا زالت عندي ولكن لا بأس سنرجئ بعض المسائل -إن شاء الله-، ولكن كنت أود فقط أن أشير إلى بعض الأسماء المشهورة عند علماء الماتريدية بصفة خاصة، بعض العلماء ذكروا أبا القاسم الصفار وهو متوفى سنة ٣٣٦ هجريًا وله كتاب (أصول التوحيد)، والإمام المشهور أبو الليث السمرقندي وأيضًا صاحب كتاب (بحر العلوم) وتوفي سنة ٣٧٥، هذا إمام من ائمة الماتريدية الكبار.

وأيضًا صاحب كتاب في أصول الفقه وأصول الدين الإمام صدر الإسلام البزدوي توفي سنة ٤٩٣ هجريًا، ،أبو المعين النسفي المتوفى ٥٠٨ هجريًا له كتاب (التمهيد) و(تفصيل الأدلة) وغيره، أيضًا السبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هجريًا له كتاب (النفيس في مسائل التوحيد)، وأيضًا أبو الفضائل برهان الدين النسفي له كتاب يدرس (عقائد الدين النسفية) توفي سنة ٦٨٧ هجريًا، وفي أيضًا أكمل الدين محمود البابرتي إمام كبير جدًا وهو أيضًا ماتريدي حنفي توفي سنة ٧٨٦ هجريًا له (العقيدة في التوحيد)، وأيضًا في علاء الدين البخاري هذا جاء بعد أيام ابن تيمية وله قصيدة كفَّر فيها ابن تيمية وهو متوفى سنة ٧٤١ هجريًا، أحد العلماء الكبار نصر الدين رد عليه في قصيدة شعرية جميلة مطبوعة الآن يرد على المجسمة واتهم ابن تيمية بالمجسِّم وكفَّره هذا علاء الدين البخاري المتوفى سنة ٨٤١ هجريًا، وكان ماتريديًا جلدًا.

وكمال الدين ابن الهمام المشهور هذا توفي سنة ٨٦١ هجريًا صاحب لو تسمعوا عنه (فتح القدير) له كتاب (المسايرة في العقائد) من ناحية الكتب العقدية هذه أئمة كبار عندهم. في طبعًا المؤرخ الكبير الكافيجي وهو ماتريدي أيضًا من المؤرخين الكبار وله كتاب في (شرح المواقف والأنوار) وهو توفي سنة ٨٧٣ هجريًا، وعالم كبير من أعلامهم هو زين الدين ابن قاسم قطلوبغا وتوفي ٨٧٩ هجريًا إمام من أئمتهم. أيضًا ابن كمال باشا توفي ٩٤٠ هجريًا وله كتاب في (شرح التجريد) وغيره في علم الكلام. والملا علي القاري المتوفى سنة ١٠١٤ هجريًا وهو محدّث عالم كبير وفاضل أيضًا وهو من الماتريدية.

وأيضًا بعض العلماء من المعاصرين محمد أنور شاه الكشميري المحدث في الهند المشهور وله كتاب في شرح (البخاري) وغيره، وبعض الكتب ولكن بصراحة فيه غلو يعني هذا كان ماتريديًا، هذا الذي يعظمه كثيرًا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وغيره، دائمًا أي ترجمات الشيخ أبو غدة اعرف أن فيها مغالاة الكتاب ولغو وردود وتعصُّب للأحناف والأشاعرة، ودائمًا غمز ولمز لشيخ الإسلام ابن تيمية، يعني غلاة فحتى عندما يتكلمون عن علمائهم، تحقيقات

الشيخ عبد الفتاح أبو غدة أقصد آراءه بصفة خاصة كن حذرًا منها لأنه أشعري ويدافع عن القبوريين وفيه غلو رغم أنه يقال أنه من علماء الحديث.

كل العلماء هؤلاء فيهم المحامد والخير ومعظمهم علماء أجلاء كبار، إلا هذا الرجل الطامة الكبرى وأكبر الضلال: محمد زاهد الكوثري، هذا من أكبر الضُّلَّال الذي ضلَّل علماء الأمة وشتم وسب أساء وحرَّف وكذب، رد عليه العلامة الكبير المعلمي في كتابه (التنكيل)، وهذا الرجل كان متوفى سنة ١٣٧١ هجريًا، وأيضًا من المشاهير هو الحاج خليفة صاحب كتاب (كشف الظنون) هذا ماتريدي أيضًا توفي سنة ١٠٦٧ هجريًا.

وهذه عينة يعني علماء كثر جدًا، لأن الدولة العثمانية ظلت حوالي ستة قرون وتبنَّت المذهب الحنفي الماتريدي يعني كانوا ماتريدية أحنافًا، ماتريدية معناه أنهم أشاعرة وعندما أقول أشاعرة معناه أنهم ماتريدية، لذلك يجب عليك الحذر في بعض المسائل فقط التي هي الخلاف بينهم في المسائل التي قلتها لكم.

ولكن كبار رجال الأشاعرة -كما قلت لكم من قبل- الإمام الباقلاني، البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هجريًا، وأبو قاسم القشيري ٤٦٥ هجريًا، هذا تسبَّب في فتنة كبيرة جدًا في زمنه لبعض أهل السنة والحنابلة. وأبو حمد الغزالي أيضًا كان أشعريًا رغم أنه شافعي أيضًا، وابن تومرت والإمام المازري كان أيضًا أشعريًا وله كتاب شرح صحيح مسلم (المعلم بفوائد مسلم) وغيره، وأبو بكر ابن العربي من الأئمة الكبار.

وكانوا ضد أهل البدع، ولهم حسنات كثيرة خاصة المازري وأبو بكر ابن العربي، ولكن أبو بكر ابن العربي عنده أشياء وشطحات -رحمة الله عليه- صاحب كتاب (الأحكام)، ورد عليه بعض العلماء لكنه له كتاب (عارضة الأحوذي) رائع جدًا في شرح (الترمذي)، و(قانون التأويل).

وأيضًا الشهرستاني كان أشعريًا، وبعضهم اتهموه بأنه شيعي، والحافظ ابن عساكر المتوفى ٥٧١ هجريًا أيضا عالم معروف لم يكن مغاليًا ولكن من علماء الكلام الأشاعرة، وكان من المحدِّثين ولكنه للأسف أوَّل مسألة (الرحمن على العرش استوى) ومال إلى رأي الأشاعرة في هذا. وفخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦ كان أيضًا فيلسوفًا متكلمًا ثم بعد ذلك قيل أنه تاب في آخر حياته. والآمدي المتوفى سنة ٦٣١ هجريًا هذا من أذكياء العلماء عندهم ويعتبر خطيرًا جدًا، ولم يقع في تناقض كثير مثلما وقع الرازي والأرموي وهو متوفى سنة ٦٦٢ هجريًا. وعضد الدين الإيجي الذي

تكلمت عنه في المحاضرة الماضية عندما قلت أن الإيجي توفي ٧٥٦ هجريًا له كتاب اسمه (المواقف) يدافع عن عقيدة الأشاعرة، هذا هو الذي كان معاصرًا للإمام ابن تيمية.

وطبعًا فيه علماء أجلاء جدًا تأثروا بالأشعرية رغم أنهم من أهل الخير والصلاح وليسوا من أقطاب الأشعرية، بمعنى أنه كانت لهم كتب ويدافعون ووقعوا في بعض الأخطاء، كابن الحاجب الملك المجاهد الكبير توفي ٦٤٦ هجريًا. والإمام العز بن عبد السلام سلطان العلماء الشهير المجاهد العظيم كانت عنده أشعرية في بعض المسائل توفي ٦٦٠ هجريًا. والإمام البيضاوي صاحب التفسير ٦٨٥ هجريًا. وصفي الدين الهندي هذا كان من أشد أعداء ابن تيمية كان شديدًا جًدا على ابن تيمية توفي سنة ٧٣٥ هجريًا. أيضًا أئمة كبار وقضاة لهم فضل كبير جدًا ولكن وقعوا في بعض الأخطاء مثل القاضي بدر الدين ابن جماعة المتوفى ٧٩٣ هجريًا، وأيضًا مال لبعض الأشعرية في الأسماء والصفات. السبكي صاحب (الطبقات) السبكي الكبير والسبكي الصغير يعني الابن والأب، تاج الدين وتقي الدين. والإمام الإسنوي توفي ٨٨١ هجريًا. وبعد ذلك عندنا أيضًا المقري التلمساني والدرديري والدسوقي وإبراهيم الباجوري الذي توفي ١٢٧٧ هجريًا، والمجرم الضال عبد الله الحبشي الأشعري الذي كان في لبنان.

وفي أئمة أيضًا تأثروا مثل الإمام السيوطي وغيره. نحن نتكلم عن الأئمة الكبار فيهم من الذين لهم كتب ودفاعات، أما الذين تأثروا هؤلاء لا تعتقد أنهم أشعري بمعنى أنه أشعري في أصوله وفي تفريعاته وغير ذلك. لا، هم تأثروا في بعض المسائل وخاصة في مسائل الأسماء والصفات.

نكتفي بهذا المقدار. وإن شاء الله في الدرس الثامن نتكلم عن بعض المسائل التي ذكرتها لكم موضوع الاستثناء في الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، وأجيب عن بعض الشبهات الأخرى.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتغمَّدنا برحمته. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. وبارك الله فيكم. وجزاكم الله كل خير.

وأتمنى من كل أخ أن يحاول أن يستمع إلى هذه المحاضرات استماعًا جيدًا، أنا أعلم أنها ثقيلة على النفس وإذا أردت فضعها في بؤرة الشعور ولا تضعها في هامش الشعور؛ بمعنى أنك إذا أردت أن تستمع من الحاسوب أو تستمع من mp3 فركّز فيها ولا تلتف إلى ما حولك، اجعل المقالات وبحثك في الإنترنت وغير ذلك على هامش الشعور لأنك لو جعلتها في هامش الشعور صدقني لن تستفيد كثيرًا، لا بد أن تركز جيدًا، وأن تحتسي شيء ساخنًا طيبًا أو باردً

لكي تستمع وتستفيد -إن شاء الله-، وتكتب بعض النقاط وتحاول أن تطبع هذه وتنسخها وتوزعها على أكبر قدر ممكن، لأن هذه ليست محاضرات للنخبة فقط نريد أن ننشرها لطلبة العلم وخاصة المبتدئين وبعض الناس الذين لا يعلمون، إذا كنت تعلم فخير وبركة ولكن انشر هذا العلم فرُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامع.

بارك الله فيكم، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل كلماتنا هذه خالصة لوجهه الكريم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدرس الثامن

• زيادة الإيمان ونقصانه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}،{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الإخوة المكرمون ها نحن أولاء في اليوم الثامن من شهر محرم لسنة ١٤٣٣هـ، ونحن أيضًا مع الدرس الثامن من هذه الدورة الشرعية، التي اخترنا عنوانها (مسائل في الإيمان).
واليوم ستكون المحاضرة عن زيادة الإيمان ونقصانه، ونتكلم أيضًا عن مسألة أخرى وهي ثمرة من ثمرات الخلاف في مسمى الإيمان عند الفرق وهي: مسألة الاستثناء، أي أن يقول المؤمن: "أنا مؤمن إن شاء الله"، إن كان في الوقت متسع، فإن لم يكن فسأؤجلها لدرس قادم -إن شاء الله-.

الآن سنتكلم عن ثمرة الخلاف، أو الأثر الذي ترتَّب على الاختلاف في مسمى الإيمان.

في البداية الأصل الذي قامت عليه هذه الفرق التي اختلفت مع أهل السنة في مسألة الإيمان هو -كما قلنا لكم في دروس سابقة- أنهم اعتبروا الإيمان شيئًا واحدًا لا يتبعَّض ولا يتجزَّأ، ولا يذهب بعضه ويبقى بعضه. لكن عند أهل

السنة ليس بالضرورة ذلك، والإيمان يتبَّعض، وقد يكون الرجل فيه بعض الفسق وبعض النفاق وبعض الكفر أو خصلة من هذا، ولكنه مؤمن بإيمانه فاسق أو عاصٍ بكبيرته.

لكنهم اعتبروا الإيمان كتلة واحدة، فكان من آثار ذلك أنهم اختلفوا، فالجهمية قالوا أنه المعرفة فقط، ولا يقولون بزيادة الإيمان ونقاصه، ولا يقولون بالاستثناء في الإيمان، فهم قد أخرجوا الأفعال وحتى الأقوال من تعريف الإيمان، فهو عندهم التصديق والاعتقاد القلبي فقط بدون أفعال ولا أقوال.

والذين قالوا أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وأخرجوا الأعمال، وقالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، وتصادموا بالنصوص الشرعية التي تكلَّمت عن زيادة الإيمان في القرآن الكريم، وهم يقولون لو كان هناك زيادة ونقصان، إذًا فهناك شك، وهم يعتبرون أن إيمان جبريل –عليه السلام–، وإيمان الرسول ﷺ وإيمان أبي بكر –رضي الله عنه–، وإيمان أحد الفسَّاق من الناس واحدًا! فإذًا في هذه الحالة الإيمان ثابت لا يزيد ولا ينقص.

وقد تصادموا بنصوص قرآنية واضحة، فكيف يوفِّقون بين هذه النصوص التي تكلَّمت عن زيادة الإيمان ونقصانه، كقوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}، وقوله تعالى: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}؟!

وكثير من الأدلة استعرضها العلماء، كالإمام الحافظ الكبير أبو عبيد الله القاسم بن سلَّام المتوفى سنة ١٥٤هـ، في كتابه (الإيمان) عندما رد على هؤلاء الذين قالوا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فكيف يعترضون على قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}، في سور آل عمران آية ١٣٧، وقوله تعالى:{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}، وقوله تعالى: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ} كما في سورة الفتح، ومواضع كثيرة في القرآن الكريم، فهذه نصوص واضحة لا لبس فيها.

ولذلك احتجَّ عليهم أيضًا عندما ذكر باب الزيادة في الإيمان والنقصان منه في كتابه، إذ ساق في سنده عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال: قال معاذ بن جبل: "اجلس بنا نؤمن ساعة" يعني نذكر الله، وهذا إسناده صحيح على شرط الشيخين، وذكره الإمام أبو بكر ابن أبي شيبة استند لهذا الحديث وهو المتوفي سنة ٢٣٥هـ، ورد على هذه الشبه والتناقض الذي وقعوا فيه.

فهم أولوها تأويلات –تجنبًا للتكفير– وقالوا المقصود هنا يزداد إيمانًا أي يزداد يقينًا، فالإيمان عندهم يقين فوق اليقين، أو إن أصل الإيمان هو تمكُّن الإقرار في القلب، وكل هذا لأنهم لا يعترفون أن الأعمال من صلاة وزكاة وأعمال

القلوب من تعريف الإيمان، ولذلك وقعوا في هذه التناقضات.

رد عليهم حتى بردود أقرب إلى الردود العقلية، لو أن الرجل وُصف ماله فقيل أنه ألف، ثم قيل أنه ازداد مائة بعدها، ما كان له معنى يفهمه الناس إلا أن تكون المائة هي الزائدة على الألف، وكذلك سائر الأشياء، فالإيمان مثلها، لا يزداد منه شيء إلا كان هو الزائد على الإيمان. أما هم لم يقولوا هذه الزيادة –بهذه الطريقة– بل جعلوه مجازيًا، أما الذين جعلوا الزيادة ازدياد اليقين فلا معنى لهم، لأن اليقين من الإيمان، فإذا كان عندهم الإيمان كله هو الإقرار، ثم استكمله هؤلاء المقرّون إقرارهم، أوليس قد أحاطوه باليقين من قولهم، كيف يزداد من شيء قد استقصي وأحيط به؟!

وضرب لهم مثلًا، أرأيتم رجلًا نظر إلى النهار بالضحى حتى أحاط عليه كله بضوئه، هل كان يستطيع أن يزداد يقينًا بأنه نهار؟ ولو اجتمع عليه الإنس والجن فهذا يستحيل، وكل هذا ليُخرجوا العمل من تعريف الإيمان، فوقعوا في التناقض وتصادموا مع النصوص وأوّلوها تأويلات خاطئة، ورد عليهم العلماء وفندوها كالإمام ابن سلام –رحمة الله عليه–.

ورغم ذلك عندهم متن (العقيد النسفية)، وهي عقيدة أشعرية منتشرة في العالم، والأشعرية هي تقريبًا الماتريدية ولكن سأفرق بينهما في مسائل كمسألة زيادة الإيمان ونقصانه، لأنهم اختلفوا فالأشاعرة ليس لهم رأي موحَّد في هذه المسألة فجمهور الأشاعرة على أنه يزيد وينقص. وعند الماتريدية وبعض الأشاعرة لا يزيد ولا ينقص، وهذا بالطبع مذهب باطل وهو مذهب المرجئة والجهمية. ولكن عندهم سبب الزيادة والنقصان يختلف عنه عند أهل السنة، وتبريراتهم، هذه مسألة سنقولها فيما بعد.

في (العقيد النسفية) لعمر بن محمد النسفي، وهذا كتاب يُدرَّس ومشروح شروح كبيرة، وهو المتوفى سنة ٥٣٧هـ، يقول في المتن نفسه: "والإيمان في الشرع هو التصديق بما جاء النبي –عليه الصلاة والسلام– به من عند الله تعالى، والإقرار به ،وأما الأعمال فهي تتزايد في نفسها، والإيمان لا يزيد ولا ينقص"، إذًا يعترفون أن زيادة الأعمال بعيدة عن تعريف الإيمان نفسه، فإذا كان هناك أحد يزكي والآخر لا يزكي، فالذي يزكي يزداد والذي لا يزكي لا يزداد، أو من عنده نصاب أكثر فيزكي أكثر فيزداد.

لذلك هو يقول في المتن بكل صراحة: "الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والإسلام واحد، فإذا وُجد من العبد التصديق والإقرار صحَّ له أن يقول أنا مؤمن حقًّا ولا ينبغي أن يقول (إن شاء الله)"، والشاهد هنا الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهم يعترفون بذلك حتى في المتون المعاصرة، وحتى في متن (جوهرة التوحيد).

والخوارج يتفقون مع أهل السنة في إدخال الأعمال في الإيمان، فهل يقولون أن الإيمان يزيد وينقص؟
الخوارج يعتبرون الإيمان كتلة واحدة، ومشهور عندهم أنهم يعترفون بالزيادة ولا يعترفون بالنقصان؛ لأنه يكفر، والبعض منهم لا يعترف بالزيادة ولا النقصان، حتى الخوارج وقعوا في هذا لأنهم اعتبروا الإيمان كتلة واحدة لا يتبعَّض، إما تأخذه كله أو تتركه كله.

حتى الجهمية والمرجئة لا يتبعض عندهم، فهو التصديق والإقرار القلبي، حتى الذين قالوا الإقرار باللسان، الأصل أن هذا لا يجوز فيه الزيادة والنقصان إلا على سبيل المجاز، أو سبيل يقين، أو أن الإنسان كلما تأمل أكثر عرف الأدلة، وازداد يقينًا على يقين، واستدلوا بقول الله تعالى: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}، وهو قول الله –عز وجل– لسيدنا إبراهيم – عليه السلام–، فقالوا أن معناه لزيادة اليقين، ولكن النصوص صدمتهم كثيرًا، فقد أمطرهم العلماء أدلة عديدة وكثيرة جدا.

بالإضافة للأحاديث كما في حديث البخاري ومسلم، وهو حديث (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)؛ إذًا الإيمان شُعَب فهو يزيد وينقص. والإمام الحافظ البيهقي له كتاب (شُعب الإيمان)، وهو كتاب ضخم من عدة مجلدات، شرح شعب الإيمان هذه، فجمع الأحاديث التي تتكلم عن شعب الإيمان، فجمع العديد من هذه الشُّعب. فالإيمان يتبعَّض. أقرأ لكم حتى نتعرف كيف كان العلماء يصوغون عقيدة أهل السنة والجماعة، باختصار شديد، في إيجاز للعبارة واختصار في المعنى.

حتى الحافظ الكبير الإمام محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري له كتاب اسمه (شرح السُّنة)، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، وكان شديدًا عل أهل البدع، ويقول هو في موضوع الإيمان: "والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد إلى ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء"، وهو يرد على الجهمية والمرجئة وبعض الأشاعرة عندما ظهروا في زمنه.

ودوَّن الإمام السفَّاريني عقيدة أهل السنة والجماعة في متن من الشعر عندما قال:

إيمانُنُا قول وقصد وعملْ ... تزيده التقوى وينقص بالزَّلَلْ
ونحن في إيماننا نستثني منْ ... غير شكٍّ، فاستمع واستبنْ

وقد ذكرت لكم أن السلف أحيانا كانوا يقولون: إيماننا قول وقصد وعمل، وأحيانا: الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان واتباع للسنة، وتكلمت عن رد شيخ الإسلام ان تيمية، وأنه لا معارضات فيها، كلها يقصدون بها التحوُّط.

من أفضل الناس الذين شرحوا لنا عقيدة أهل السنة، ووضَّح ورد باختصار شديد، الإمام ابن جرير الطبري في كتابه (التبصير في معالم الدين)، وكتابه (صريح السنة)، وهو توفي سنة ٣١٠هـ.

وقد ذكرت لكم مقالته: "وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل؟ وهل يزيد وينقص؟ أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه: قول من قال هو قول وعمل ويزيد وينقص، وبه جاء الخبر من جماعة من رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل. حدثنا محمد بن علي بن الحسن ابن شقيق، فقال أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل –رحمه الله– عن الإيمان في معنى الإيمان عن الزيادة والنقصان فقال: حدثنا الحسن ابن موسى الأشيب، حدثنا حماد بن سلمة الخطفي عن أبيه عن جده عمير ابن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ فقال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبَّحناه فذلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه". هذا كلامه في (صريح السنة).

أما في كلامه في (التبصير في معالم الدين)، ناقش اختلافات الفرق، في الاختلاف السادس قال أبو جعفر: "وذلك الاختلاف في زيادة الإيمان ونقصانه، فالإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعة، ونقصانه بالمعصية"، وقال: "قالوا إنما جازت الزيادة و النقصان عليه لأنه معرفة وقول وعمل، فالناس متفاضلون بالأعمال، فأكثرهم طاعة أكثرهم إيمانا، وأقلهم طاعة أقلهم إيمانا، وهذا رأي أهل السنة.
وقال آخرون يزيد ولا ينقص وهذا رأي المعتزلة والإباضية وبعض الخوارج". وبعد أن ناقش الرأي الآخر وهو: الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهو قول المرجئة : كالجهمية هذه الفرق التي تقول أن الإيمان هو المعرفة القلبية فقط، قالوا أن الإيمان هو معرفة الله وتوحيده والإقرار بذلك، بعد المعرفة وبما فرض عليه من فرائضه، قالوا فلا يزيد ولا ينقص، والجهل بذلك وجحود شيء منه كفر، فلا وجه للزيادة، فيم يكون إيمانا إلا بتمامه.

فلا يكون الإيمان إلا أن تؤمن وتقر بمعرفة الله وتوحيده، فكيف تقول يزداد؟ وهو لا يكون مؤمنًا إلا بهذا، ولا النقصان فيم النقصان عنه كفر! لأنهم حصروا أنفسهم والإيمان في المعرفة القلبية فقط، وهذا هو الخطأ عندهم، فقالوا قول القائل الإيمان يزيد وينقص، كفر وجهل، فهم يكفّرون من يقول بذلك.

ونحن نقول بأعمال القلوب، يعني وجلت قلوبهم أي خافوا، {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}، إذًا فكلما تقرأ القرآن وتذكر، فإنك تبكي وتتأثر، تزداد خشوعًا، وهذا يختلف عن الذي لا يبكي ولا يتأثر، فهناك تفاوت في الناس حتى في هذا، واحد يزداد إيمانا عندما يسمع آيات الله أو بعض المواعظ فيزاد خشوعه، ويعمل هنا، فهذا عمل، والإيمان يرتفع.

قال أبو جعفر الطبري: "والحق في ذلك عندنا أن يقال الإيمان يزيد وينتقص، لما وصفنا قبل أنه معرفة وقول وعمل، وأن جميع فرائض الله –تعالى ذِكره– التي فرضها على عباده من المعاني التي لا يكون العبد مستحقًا اسم مؤمن إلا بأدائها، وإذا كان ذلك كذلك وكان لا شك أن الناس متفاضلون في الأعمال مقصّر، وآخر مقتصد، ومجتهد ومن هو أشد منه اجتهادًا، كان معلومًا أن المقصّر أنقص إيمانًا من المقتصد، وأن المقتصد أزيد منه إيمانا، وأن المجتهد أزيد إيمانًا من المقتصد ومن المقصر، وأنهما أنقص منه إيمانا.

وكل عامل مقصّر عن الكمال، فلا أحد إلا هو ناقص الإيمان غير كامل، فلو أنه كمل لأحد منهم كمالًا تجوز له الشهادة به، لجازت الشهادة له بالجنة، لأن من أتى جميع فرائض الله فلم يبقَ منها شيئًا، واجتنب جميع معاصيه فلم يأتِ منها شيئًا، ثم مات على ذلك فلا شكَّ أنه من أهل الجنة، لأنه فعل جميع الطاعات واجتنب جميع المعاصي ومات، ولذلك قال عبد الله بن مسعود في الذي قيل له أنه قال إني مؤمن: ألا قال إني من أهل الجنة؟"، وهو يرد هنا على مسألة الاستثناء في الإيمان.

فالإمام ابن جرير هنا يبين لنا عقيدة أهل السنة والجماعة، وبالطبع هذه الفقرة سنحتاجها فيما بعد في مسألة الاستثناء في الإيمان، ورد أيضا الإمام الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ على هذا الموضوع.

لما أكرر وأذكر هذه النصوص؟ لأنه –للأسف الشديد– هناك غفلة لبعض المنتسبين لأهل العلم، فبعض الناس لا يذكرون هذه النصوص الكثيرة وأسماء الكتب، لأن كتب الأشاعرة والمرجئة كثيرة جدًا، وأسماء العلماء، فعندما يخرج أحدهم أسماء العلماء يصيبك الرعب من كثرتها، و يدور ببالك أين أهل السنة هؤلاء؟! وأنتم لا تذكرون لنا إلا الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمة أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتهى الأمر، فنحن نذكر لك علماء كثر. وهذه كتب طُبعت حديثًا، والكلام الآن موجود وهناك مخطوطات هذه الكتب، والعلماء ذكروها ونذكر لك أسماء العلماء على سبيل المثال.

ولم نقرأ بعد مثلًا كلام الإمام اللالكائي المتوفى سنة ٤١٨هـ في كتابه (معتقد أهل السنة)، رد على هذه الفرق وساق بسنده بتفصيل الأدلة من القرآن ومن السنة والصحابة والتابعين وهكذا، لو ظللت أسوق هذه الأدلة والاستشهادات، لاحتجنا إلى عشرات الساعات، كي ننتهي فقط من هذا.

لماذا نفصل ونزيد في هذه الموضوعات وربما أكرر بعض الجمل؟ حتى يطمئن المستمع والمتلقِّي، بأن عقيدة أهل السنة عقيدة راسخة، عقيدة أصيلة، عقيدة نقية، صحيحة لا لبس فيها، من كتاب الله وسنته، ومن أئمة كبار عدول، حملوا لنا هذا الدين، من أحكام وعقائد وتفصيلات وتشريعات.

فمثلًا الإمام الحافظ أبو عبد الله ابن بطة المتوفى سنة ٣٨٧هـ، وقد قلت لكم عنه مسبقًا، وأكرر أسماء هؤلاء العلماء متعمدًا حتى تُحفظ، الناس تحفظ أسماء الممثلين والفنانين وأراذل البشر، فلمَ لا نكرِّر مثل هذه الأسماء! ومن يحب إنسانًا يحب أن يكرر اسمه، ومن يُفتن بأولاء المشاهير يحب أن يكرر أسماءهم في أي وقت، فنحن نذكر أسماء أهل الحق لأننا نناقش حقًّا الآن، ونفنّد شُبَه هؤلاء المبطلين من المرجئة، ونحاول أن نميز بين عقيدة أهل السنة والجماعة، وبين هذا الدَّخن والشوائب، التي ظنَّ البعض أنها من عقيدة أهل السنة والجماعة.

فالإمام أبو عبد الله ابن بطة يقول مثلًا: "وأول ما نبدأ في ذكره من ذلك، ذكر ما افترض الله – عز وجل – على عباده، وبعث فيه رسوله ﷺ، وأنزله في كتابه، وهو الإيمان بالله –عز وجل-."

وهذا عكس كلام الأشاعرة، فمثلًا في متن (عقيدة أم البراهين) لأبي عبد الله بن محمد السنوسي وهو من علماء المالكية في المغرب، وهي عقيدة من عقائد الأشاعرة والمرجئة، وهو المتوفى سنة ٨٩٥هـ، فيقول:

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اعلم أن الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام: الوجوب، والاستحالة، والجواز، فالواجب ما لا يتصوَّر في العقل عدمه، والمستحيل ما لا يتصوَّر في العقل وجوده. والجائز ما يصح في العقل وجوده وعدمه، ويجب على كل مكلفٍ أن يعرف ما يجب في حق مولانا –جل وعز-، وما يستحيل وما يجوز، وكذا يجب أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل – عليهم الصلاة والسلام-.
ومما يجب لمولانا – عز وجل – عشرون صفة وهي: الوجود والقِدم، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى نفسه أي لا يفتقر إلى محل ولا مخصص، والوحدانية أي لا ثاني له في صفاته ولا في أفعاله، وهذه الست صفات، الأولى نفسية وهي الوجود والخمس بعدها سلبية.

ويجب له تعالى سبع صفات تسمى صفات المعاني وهي: القدرة، والإرادة المتعلقة بجميع الممكنات، والعلم المتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، والحياة وهي لا تتعلق بشيءٍ، والسمع والبصر وهما متعلقان بجميع الموجودات، والكلام الذي ليس بحرف ولا صوت ويتعلق به العلم من المتعلقات.

ثم سبع صفات تسمى صفات معنوية وهي متعلقة بالسبع الأولى وهي: كونه تعالى قادرًا ومريدًا وعالمًا، وحيًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا.

ويستحيل في حقه عشرون صفة وهي أضداد العشرين الأولى، وهي العدم، والحدوث وطروء العدم والمماثلة، أو أن يكون جُرمًا أي تأخذ ذاته العليَّة قدرًا من الفراغ، أو يكون عَرَضًا يقوم بالجرم، أو يكون في جهة للجرم، أول له هو جهة، أو يتقيد في مكان أو زمان، أو تتصف ذاته العلية بالحوائج"...

تشعر قلبك يشمئز عندما تسمع هذا الكلام! وتكره الناس في تبسيط العقيدة، وللأسف كانوا وما يزالون يعلّمون الصبية هذه المتون، مظلمة!

عندما تقارن ذلك بالكلام البسيط والسهل الجميل للإمام أبي عبد الله ابن بطة، والعالم السنوسي صاحب كتاب (أم البراهين) توفي سنة ٨٩٥ هـ، وابن بطة الحافظ الكبير توفي سنة ٣٨٧هـ، وذكرت لكم الإمام أبا بكر بن أبي شيبة الذي توفي سنة ٢٣٥هـ.

والإمام أبو القاسم ابن سلام المتوفي سنة ٢٢٤ هـ، فيذكر بكل بساطة وسهولة ويدخل على الأحاديث، فيقول:

"أول ما نبدأ في ذكره من ذلك، ذكر ما افترض الله — عز وجل - على عباده، وبعث فيه رسوله ﷺ، وأنزله في كتابه، وهو الإيمان بالله —عز وجل–، ومعناه التصديق بما قال وأمر به وافترضه، ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عند الله، ونزلت به الكتب، لذلك أرسل المرسلين، لذلك قال الله —عز وجل-: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}.

والتصديق بذلك قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل، والقول بالإحسان، وينقصه العصيان، وله أول وبداية، وارتقاء وزيادة بلا نهاية، قال الله —عز وجل–: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. وقال: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}، وقال: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}، وقال معاذ بن جبل لرجل: (اجلس بنا نؤمن ساعة)، يعني نذكر الله فنزداد إيمانًا.

وكل شيء يزيد فهو ينقص. والاستثناء في الإيمان هو أن يقول المرء: (أنا مؤمن إن شاء الله)". ثم يذكر آراء العلماء.

وهناك حملة الآن من بعض الشباب أو من بعض الأشاعرة، بعض الشباب ربما أرسلوا لهم بعض الدروس السابقة، فهناك حملة شرسة على الموقع أو عليَّ شخصيًا، يقولون أنت غير منصف، وهذه عقيدة أهل السنة، وهؤلاء الأئمة أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، كل الذين تذكرهم عدا الإمام أحمد أشاعرة، وهذه عقيدتهم، عقيدة أهل السنة، أعوذ بالله!

انظر ماذا كان يقول الإمام ابن بطة –رحمة الله عليه–، كان يقول الإيمان يزيد وينقص ومسألة الاستثناء في الإيمان، والأشاعرة لا يقولون ذلك، كما قرأت لكم النسفي في ذلك، عندما قال:" لا ينبغي أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله"، وقال أيضًا: "الإيمان لا يزيد ولا ينقص".

هذا كان يقول به عبد الله ابن مسعود، وبه أخذت العلماء من بعده مثل: علقمة، والأسود بن أبي وائل، ومغيرة، ومسروق، ومنصور، وإبراهيم النخعي، والأعمش، وحماد بن زيد، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل، ومعاذ بن معاذ، وسفيان بن حبيب، والثوري، وابن المبارك، والفضيل بن عياض، في جماعة يطول الكتاب بذكرهم، هذا كلام الإمام ابن بطة، وهو يذكر العلماء، حتى عصره، وهو توفي سنة ٣٨٧هـ.

فما بالك بمن جاء بعده، كالإمام اللالكائي، الذي توفي سنة ٤١٨هـ، أيضا ذكر لنا أسماء جملة كبيرة جدًا، ثم وصلنا إلى الأئمة الكبار، الذين ذكروا لنا حتى عصر ابن تيمية، في كتابيه (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط)، مثلًا: الإمام ابن تيمية ذكر في كتابه (متن العقيدة الوسطية)، وهو متن بسيط، لشباب يريد أن يعرف عقيدة أهل السنة والجماعة في مسائل معينة –ليس كل المسائل– ذكرها سريعًا: "ومن أصول أهل الجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح"، انظر عبارات ابن تيمية في غاية الدقة –رحمة الله عليه–، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يزيده منزلة على المنزلة التي أعدها الله –عز وجل– له في الفردوس الأعلى –إن شاء الله–.

فأممٌ كثيرة اهتدت بفضل الله تعالى بعد قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته، أنا شخصيًا لم أستطع فهم هذه القضايا إلا بعد الولوج في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم بعد ذلك هذه الكتب طُبعت فيما بعد، ولأنه قد استطاع الإنسان أن يعرف هذه التفاصيل وهذه الردود –رحمة الله عليه–، لذلك تجد هذه الهجمة الشرسة عليه لأن الله يزيده حسنات ورفعة –إن شاء الله–.

لذلك يقول: "ومن أصول أهل السنة والجماعة، أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالعصية، وهم مع ذلك لا يكفّرون أهل القِبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعل الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي. كما قال سبحانه في آية القصاص: {مَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ}، وقوله تعالى: {وإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

ولا يسلِبُون الفاسق المليّ الإسلام بالكلية ولا يخلّدونه في النار كما المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ}، وقد لا يدخل في أم الإيمان كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}. وقول الرسول ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)، ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يعطى الإثم المطلق ولا يسلب مطلق الإثم".

الشاهد أنه يلخص أصول أهل السنة في مسائل محددة، عرَّف لنا الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، ودليل ذلك أن من قتل مؤمنًا، ارتكب كبيرة، فإيمانه نقص ورغم ذلك لم يسلبه ذلك لأن الله تعالى قال: {وإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}، وسماهم مؤمنين، وقوله تعالى في آية القصاص: {مَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ}، أخيه الذي قتل، فأهل المجنيّ عليه هم يعفون، أو حتى في القصاص في الأطراف والجوارح، وليس القصاص حتى في النفس، هذه تشمل هذا وذاك، حتى القتل وهو شنيع، وهذه بالطبع آيات ضد الخوارج في مسألة تكفير مرتكب الكبيرة، وأيضا في قضية منزلة بين المنزلتين التي تكلمنا عنها في المعتزلة.

ولكن الشاهد هنا، انظر إلى عبارات أهل السنة، عبارات واضحة، سهلة، لا لبس فيها ولا غمض كما كان يفعل هؤلاء.

كنت أذكر لكم كلام ابن بطة –رحمة الله عليه– إلى كلام ابن تيمية، وابن بطة من ٣٨٧هـ وابن تيمية سنة ٧٢٨هـ، ومن قبلهم كم كبير جدا من العلماء، حتى الإمام الحافظ كان في نفس العصر، يعني عصر قريب من عصر الإمام ابن

بطة، والإمام الحافظ محمد بن إسحاق ابن منده، هذه العائلة الجد والأب والابن والحفيد طبقة كلها علماء، كلهم حفَّاظ، وُلد في السنة التي توفي فيها الإمام ابن جرير الطبري، الذي توفي سنة ٣١٠هـ، في هذه السنة ولد الحافظ بن منده، الخير في الأمة سبحان الله! هذا يُتوفَّ ويأتي آخر يمسك الراية، إذا مات سيد قام سيد آخر.

والحافظ ابن منده صاحب كتاب (الإيمان)، توفي –رحمة الله عليه– سنة ٣٩٥هـ، وذكر في كتابه طريقتهم بالسند، وقال: "ذِكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان، يزيد وينقص:

عن سليمان الأعمش عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي قال: أخرج مروان المنبر وبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل وقال: يا مروان خالفت السنة، أخرجت المنبر ولم يكن يخرج، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، فقال أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه–: من هذا؟ فقالوا: فلان، فقال أبو سعيد الخدري: قد قضى هذا الذي عليه، أن رسول الله ﷺ قال: (من رأى أمرا منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

الشاهد هنا: وذلك أضعف الإيمان، أي أن الإيمان يزيد وينقص". وساق عدة روايات ليدلل على صحة الحديث، والحديث صحيح في (صحيح مسلم).

وذكر أيضًا حديثًا آخر يدل على أن الإيمان يزيد وينقص: "ذِكرُ خبرٍ يدل على أن الإيمان ينقص حتى لا يبقى في قلب العبد مثقال حبة من خردل، وأن المجاهدة بالقلب واللسان واليد من الإيمان.
–ثم ذكر حديثًا بسنده– عن عبد الرحمن بن مسور عن أبي رافع عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواري وأصحاب يأخذون بسنَّته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)".

هذا الحديث الذي ذكره ابن منده، الشاهد منه أن هناك درجات (فمن جاهدهم) في إيمان أقوى من إيمان، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، رغم أن الجهاد باليد أقوى، والجهاد باللسان أضعف، والجهاد بالقلب هو أضعف الإيمان، إذًا الإيمان يقوى ويضعف، وهذا عكس آراء هؤلاء.

وذكر أيضا أشياء كثيرة تدل على شُعَب الإيمان: "ذِكر الأبواب والشعب التي قال النبي ﷺ أنها الإيمان، وأنها قول باللسان ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان التي علمَّهن جبريل -عليه السلام- الصحابة، وكذلك روي عنه من رواية علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وبيَّن المصطفى مجملها".

ثم ذكر أشياء بالتفصيل بعد ذلك: "من أفعال القلوب: النيات، والإرادات، والعلم، والمعرفة، والخشية، والخضوع.. وهكذا.

ومن أفعال اللسان: الإقرار وما جاء من عنده، والشهادة له بالتوحيد ولرسوله، ثم التسبيح والتكبير والتحميد.

ثم أفعال سائر الجوارح: الطاعات والواجبات التي بُني عليها الإسلام، أولها الطهارة، ثم الصلوات الخمس، وصوم رمضان، والزكاة، والحج، كل هذا ذكره، سائر أعمال التطوع، التي يستحق بفعلها اسم زيادة الإيمان، والأعمال المنهي عنها التي بفعلها يستحق اسم نقصان الإيمان، يعني الأفعال التي يأتي بها الإنسان تطوعًا، فالنوافل هذه يزداد بها إيمانا، وأما النواهي تنقص من إيمانه ويضعف".

هذا عالمنا الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، العالم الكبير والمحدِّث العظيم في كتابه (الإيمان)، وهو المتوفى سنة ٣٩٥ هـ -رحمة الله عليه-.

الإمام القاضي أبو يعلى له كلام جيد في كتابه (مسائل الإيمان)، وتكلمنا عنه من قبل وقلنا أنه توفي سنة ٤٥٨ هـ، وهو قاضٍ حنبلي كبير، وعالم من العلماء، قال: "جواز الزيادة والنقصان في الإيمان، وزيادته بفعل الطاعات، ونقصانه بتركها وفعل المعاصي."

ثم ذكر بعد ذلك الأشعرية فقال: "أما الأشعرية فقال أبو بكر الباقلاني: إذا كان هو معرفة القلب وتصديقه، هما عَرَضان من الأعراض، وصفتان من صفات القلوب، والزيادة والنقصان لا تجوز على الأعراض، إنما تزيد الأجسام وتنقص" ومن هذا الكلام، الباقلاني يعترف أن الإيمان هو المعرفة فقط، وناقشنا هذا الموضوع وردود شيخ الإسلام ابن تيمية عليه، فرد عليه لأنه يرى الإيمان وحدة واحدة، فمعنى ذلك أنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتوقع أن يكون الإيمان يُستثنى أيضًا، وهذه المسألة سأذكرها في المرة القادمة -إن شاء الله-.

واستند أيضا لكلام ابن اللَّبّان وهو عالم كبير وهو أبو محمد الأصبهاني، واعتبره الحافظ ابن عساكر من الطبقة الثالثة من الأشاعرة، والإمام اللبان مُتوفَّى سنة ٤٤٦هـ، يعني كان معاصرًا للقاضي أبي يعلى، وقال أن الزيادة والنقصان

ترجعان إلى التصديق دون الأفعال، لاحظ هذا في اعتقاد ابن اللبان وهو من الأشاعرة، لأن الأفعال عندهم ليست من نفس الإيمان، وإنما هو التصديق، فمنهم من يعرف مخبرات الله تعالى مفصلة، ومنهم من يعرفها مجملة، فمن عرفها مجملة وآمن بها، فإذا عرف تفصيلها، ازداد إيمانه وتفصيله، وهو أن الوحي ينزل... هكذا.

ثم ساق أشياء على كلام ابن اللبان، وذكر بعد ذلك نص الإمام أحمد: "وقد نصَّ أحمد على التفاضل في المعرفة، أيضًا وفي رواية المروزي: القلب يتفاضل ويزيد. والدلالة على جواز الزيادة والنقصان في الجملة، قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون}، إلى قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

وقوله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}". هذه الآية في سورة التوبة ١٢٤، يعني كفرًا إلى كفرهم، فإذا أُنزلت آية أو سورة كفروا بها، كما كفروا بما تقدَّم من الآيات والسور، فازدادوا كفرا إلى كفر.

وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}، لاحظ: زادهم هدى، أي أن الإيمان يزيد وينقص، وقال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، وقال تعالى: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}.

ثم ناقش الإمام ابن عقيل وخلص إلى الآتي: "فإن علماء السنة يقولون: أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وقد روى الإمام أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي هريرة أنه كان يقول: الإيمان يزيد وينقص، وروي أيضًا عن أبي الدرداء: أن الإيمان ينقص ويزيد".

ثم ذكر كلامًا للإمام عبد الله ابن بطة، قال: "وروى عبد الله ابن بطة بإسناده عن ابن عباس مثل قول أبي هريرة، ورُوي أيضًا عن عمر بن الخطاب أنه كان يأخذ بيد الرجل والرجلين، فيقول: (تعالوا نزداد إيمانًا)، ورُوي عن معاذ أنه قال: (اجلس بنا نؤمن).

وروي عن أبي الدرداء قال: (كان ابن رواحة يأخذ بيدي فيقول تعالى نؤمن ساعة).

وروى أبو حفص ابن شاهين بإسناده عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء: (الإيمان يزيد وينقص). وروى أبو محمد الخلَّال بإسناده عن معاذ عن النبي ﷺ قال: (الإيمان يزيد وينقص)".

وناقش تأويلات المخالفين وتعرَّض لها بالتفصيل، ولكن حاولت أن أعرض لكم من كتاب (الإيمان) للقاضي أبي يعلى باختصار؛ إشارة إلى أن الذي نقوله ليس بدعًا من القول، وأن هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن هؤلاء هم علماؤنا وهم الذين نشروا لنا الدين.

وبالنسبة للفرق الأخرى كالأشاعرة، اختلفوا فيها فلم يتبنَّوا رأيًا واحدًا، منهم من أنكر الزيادة والنقصان في الإيمان، ومنهم من أثبتهما، ومنهم من أثبت الزيادة دون النقصان، فكل واحد له وجهة نظر، فاختلفوا فيما بينهم، بسبب النصوص، فماذا عساه أن يفعل أمام هذه الآيات؟ وماذا عساه أن يؤوّل؟ فكلها تأوُّلات باردة، تأويلات خاطئة، رد عليها العلماء.

الخلاصة الرأي عن الإيمان عند الأشاعرة، من قال أنه التصديق فقط فهو يقول لا يزيد ولا ينقص، والذين قالوا: يزيد وينقص قالوا: زيادة في ذات التصديق، وهذا كلام فلسفي يخالف اللغة، والواقع، والآيات القرآنية الواضحة. والرأي الثالث عندهم أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وهو رأي ليس بالكثير عندهم، لكن جمهور الأشاعرة يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، وإن كانت لهم تحليلات تختلف عن تأويلات السلف.

أما الماتريدية فالرأي المشهور عندهم، ويكاد يكون الرأي الأوحد، هو أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وعند أهل السنة: الإيمان يزيد وينقص، وقد ذكرت لكم الكثير من المراجع، والكثير من الكلام، وأختم هذا بالحديث الذي ذكره البخاري ومسلم، وذكره الإمام الآجري في كتابه (الشريعة)، ساق بسنده عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان)، رواه الإمام البخاري في صحيحه ومسلم، وهو من أقوى الأدلة أن الإيمان يتبعَّض وأنه شُعب كثيرة.

ثم ساق الإمام الآجري بابًا وقال: "باب ذكر ما دل على زيادة الإيمان ونقصانه"، وذكر أدلة من الكتاب والسنة وأحاديث كثيرة، لمن أراد أن يستزيد من الشباب والدارسين، فيستطيع أن يتعلم منها الكثير.

والآيات التي تلوناها عليكم، قوله تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}، وقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون}، وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}، مع إيمانهم، فماذا بعد هذا؟!

ثم نناقش بعد ذلك تأويلات وتفسيرات، هذا كله لأنهم لم يدخلوا الأعمال في الإيمان، وليس هذا فقط، بل إنها أيضًا هي مسألة تبعيض، فهم اعتقدوا أن الإيمان وِحدة واحدة لا يتبعَّض، وهذه هي المشكلة، كلهم جميعًا الخوارج، والأشاعرة، والكرامية، حتى الذي يدخل الأعمال ومن يخرجونها.

أما أهل السنة يُدخلون الأعمال ويعتقدون أنه يتبعَّض، وفي معظم المتون الأشعرية وكتبهم وغيره، ستجد تبريرات وأشياء وتناقضات كبيرة جدًا بين الإيجي والرازي والجويني، بين هذا وذاك، وتجد تناقضات فلسفية ما أنزل الله بها من سلطان.

أكتفي بهذا المقدار، مع الدرس القادم -إن شاء الله، إن كان في العمر بقية-، سنتكلم عن الاستثناء في الإيمان، وهو هل يجوز أن أقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ أو أنا مؤمن حقًا؟ وقضايا أخرى.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل كلماتنا خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم القيامة، ويكفّر بها ذنوبنا وخطايانا ومعاصينا، وأسأل الله أن يتغمَّدكم برحمته وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، آمين آمين.

بارك الله فيكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدرس التاسع

• الاستثناء في الإيمان:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الإخوة المكرمون، ها نحن أولاء مع اليوم الخامس عشر من شهر محرم لسنة ١٤٣٣ من الهجرة النبوية المباركة. ونحن أيضًا مع الدرس التاسع من هذه الدورة الشرعية بعنوان (مسائل في الإيمان)، وإن شاء الله سنتكلم اليوم عن الاستثناء وعن علاقة الإسلام بالإيمان، وإن كان هناك بقية من وقت -إن شاء الله- سنجيب عن السؤال حول الإمام أبي حنيفة هل كان مرجئًا وما الحقيقة في ذلك.

أما المسألة الرئيسية سنتكلم عن ثمرة من ثمرات الخلاف أو الآثار المترتبة على الخلاف في مسمى الإيمان. وهذه المسألة مسألة شهيرة وهي من المسائل الفرعية وهي **مسألة الاستثناء**.

وسنتكلم عن أقوال العلماء في الاستثناء، وإذا كان يجوز الاستثناء في الإيمان فهل يجوز أيضًا الاستثناء في الإسلام؟ وسنستعرض بعض آراء العلماء والأئمة الكبار الذين تكلموا في هذه المسألة. وأيضًا سنتعرف على رأي الأشاعرة والماتريدية في هذه المسألة.

الاستثناء معناه أن يقول: "أنا مؤمن إن شاء الله". الاستثناء هذا ليس هو الاستثناء اللُغوي. هناك استثناء لُغوي وهو الاستثناء بأدوات الاستثناء، نقول: حضر التلاميذ إلا تلميذًا. أو الاستثناء بـ(غير وسوى وعدا وخلا)، هذا استثناء لُغوي. أما الاستثناء الذي نقصده فهو استثناء شرعي، وهو خاص ووُضع كاصطلاح شرعي، بمعنى أنا هل يجوز لي أن أقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟

قلت لكم من قبل إن الذين عرّفوا الإيمان وجعلوه وحدة واحدة لا يتبعّض ولا يتجزّأ وخاصة الذين عرّفوه بأنه التصديق القلبي فقط أو المعرفة فقط أو مجرد الإقرار، فهؤلاء قالوا بتحريم الاستثناء وجعلوه شكًا. هذا عند الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان.

لكن أقوال العلماء في هذه المسألة نلخصها في الآتي:

شيخ الإسلام ابن تيمية حاول أن يستعرض الآراء وقال:

- هناك فريق يقول بوجوب الاستثناء، وهم: الكلّابية، ولهم مبرر في ذلك، يقول الاستثناء واجب.
- والرأي الآخر على النقيض من هذا وهو تحريم الاستثناء، وهو رأي المرجئة والجهمية والأحناف والماتريدية.
- الرأي الثالث وهو رأي جمهور السلف وجمهور أهل السنة وهو جواز الاستثناء وجواز تركه.

وسنفصّل هذه المسألة فيما بعد. لكن هذا في الجملة.

إذًا رأي يقول بوجوب الاستثناء كالكلّابية، ورأي يقول بتحريم الاستثناء كالمرجئة والجهمية والأحناف والماتريدية، والرأي الثالث يقول بجواز الاستثناء وتركه وهو الرأي الشهير عند السلف وعند أهل السنة.

ولكن قد يقول قائل بالنسبة للذين قالوا بوجوب الاستثناء ما السبب في قولهم إنه واجب؟ العلة عندهم أن هذا الإيمان وهو ما يؤمن به الإنسان اعتبروا بشيء اسمه الموافاة، يعني الوفاة في آخر حياته سيموت مؤمنًا أم يموت كافرًا. ولذلك فإنهم قالوا بوجوب الاستثناء لأنه لا يدري هل سيموت مؤمنًا أم سيموت كافرًا. والعلماء أنكروا عليهم هذا التبرير، وأهل السنة لهم تبرير آخر، والسبب عند أهل السنة يختلف عن السبب عند هؤلاء الذين جوّزوا، لكن هؤلاء يقولون بالوجوب.

أيضًا هم لهم مبرر آخر أن الإيمان المطلق يتضمن فعل المأمورات كلها، فالإنسان لا يستطيع أو ليس في إمكانه أن يأتي بكل هذه الطاعات والأفعال ويقول أنا مؤمن بهذا الاعتبار كأنه يزكي نفسه، أنا مؤمن يعني أدَّيتُ كل هذه المأمورات وانتهيت عن كل هذه المحظورات، فكأنه يشهد لنفسه بالجنة أو يشهد لنفسه بالإيمان الكامل ويزكي نفسه، ولذلك فإنهم أوجبوا الاستثناء.

رغم أن هذا التبرير الذي قالوه هو تبرير أيضًا عند علماء أهل السنة وهو رأي الإمام أحمد ورأي العلماء في مسألة الأعمال. ولكن هذا سنفصل فيه بعد ذلك وإنما نتكلم في الجملة الآن.

أما القول الآخر الذي حرّم الاستثناء وهم المرجئة والجهمية مأخذهم هو أن الإيمان شيء واحد. فإذًا عندما أقول أنا مؤمن ومقر بالله ومصدق بالله ومصدق بكتابه ومصدق برسوله وأقول إن شاء الله إذًا معنى ذلك أنني شاكّ، إذًا هذا ليس بمؤمن. كيف الواحد يستثني في إيمانه؟ يعني بمعنى المعرفة القلبية وتصديق القلب. أو بالإقرار بكلمة: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) إن شاء الله هذا لا يجوز حتى عند علماء أهل السنة.

فهذا هو مأخذهم لأنهم حصروا الإيمان وجعلوه شيئًا واحدًا وجعلوه في المعرفة القلبية أو حتى الذين قالوا بالإقرار قالوا بالإقرار حتى باللسان قالوا إن مجرد الشهادة أشهد أن لا إله الله محمد رسول الله لإجراء الأحكام الدنيوية، فإنه حتى بمجرد الكلمة هذه لا يجوز الاستثناء فيها، لذلك حرّموا الاستثناء.

أما رأي أهل السنة فالمسألة تختلف عندهم: قالوا بجواز الاستثناء وجواز تركه؛ جواز الاستثناء بمعنى أن يقول: "أنا مؤمن إن شاء الله"، وجواز تركه يعني واحد يقول لك: أأنت مؤمن؟ ففي هذا السؤال ممكن أن تتركه لأن هذا السؤال كان بعض السلف يعدُّه سؤال بدعة، أن نقول له آمنت بالله وملائكته وكتبه؟ أنا مؤمن غير شاك لكن أستثني في الأعمال.

أقول بالنسبة للأعمال: المطلوبات، الأوامر، النواهي، هذه من الذي يستطيع أن يقول أنا أدَّيت كل هذه الأوامر الشرعية من الفرائض والنوافل والواجبات والمستحبات؟ فإذا قلت "أنا مؤمن إن شاء الله" فلأن هذه معناها تزكية للنفس ومعناها أن الإنسان مهما أدى من الطاعات فإنه سيظل مقصرًا. ولذلك إذا كانت المسألة بمعنى تزكية النفس في الأعمال إذًا هنا أقول له: "أنا مؤمن إن شاء الله".

أما الإيمان الاعتقاد القلبي أو الإيمان الذي هو قول الشهادة والإقرار بكلمة التوحيد فهذا لا يجوز فيه الاستثناء، يحرم الاستثناء، لا يجوز إطلاقًا، هذا شك. كيف أقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إن شاء الله)؟! أعلقها هكذا على المستقبل! قالوا هذا لا يجوز، علماء أهل السنة والصحابة والسلف الصالح كلهم جميعهم قالوا لا يجوز الاستثناء في الاعتقاد القلبي والإقرار باللسان في كلمة التوحيد.

أما الأعمال فإنني أستثني فيها من باب تزكية النفس. من باب أني أخشى على نفسي أن أزكي نفسي أو أن يفهم أحد أنني أزكي نفسي. أنا مؤمن وأنهيت كل الفرائض والطاعات وكأنني أشهد لنفسي بالجنة. فهنا السلف تخوّفوا من هذا، ولذلك كانوا يستثنون في الأعمال ولا يستثنون في الاعتقاد القلبي، ولا يستثنون في كلمة التوحيد التي تُنطق باللسان.

هذه هي كل المسألة بهذا التبسيط الذي قلته لكم.

بالنسبة لموقف الأشاعرة: الإمام أبو الحسن الأشعري -كما قلت لكم- هو يختلف عن جمهور الأشاعرة أنه استثنى. فهو يُجيز الاستثناء وأما المتأخرون لا يُجيزونه، والدليل على ذلك قرأت نص (العقيدة النسفية) من قبل وقول عمر بن محمد النسفي إمام من أئمة النسفية وله كتاب (العقائد النسفية) من الكتب التي تُدرس عندهم وهو مُتوفى سنة ٥٣٧ هجرية، قال: "فإذا وُجد من العبد التصديق والإقرار صحّ له أن يقول أنا مؤمن حقًّا، ولا ينبغي أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله".

هذا هو المستقر عند العلماء المتأخرين عند جمهور الأشاعرة المتأخرين أنهم لا يستثنون ويقول أنا مؤمن حقًّا، يقصدون لأن الإيمان عندهم هو المعرفة، الإقرار القلبي، وأنهم يؤخرون الأعمال ولا يعتبرونها. حتى الذي يعتبر الأعمال يعتبرها شرط كمال. أما الأساس هو أن المؤمن في مقر في قلبه، وحتى مجرد كلمة التوحيد: (أشهد أن لا إله الله وأن محمدًا رسول الله) هي من باب إجراء الأحكام الدنيوية على الناس من أكل ذبائحهم والنكاح والتعامل معهم والتزاوج وهكذا. أما إذا مات الإنسان ولم ينطق هذه الكلمة (كلمة التوحيد) ولم يؤدِّ أي شيء وهو ظاهره في الدنيا كافر لكنه مات فإنهم يعتقدون لو كان قلبه معتقدًا الإيمان ولم يركع ولم يسجد ولم يفعل أي شيء فإنه مؤمن، هذا هو أصل المشكلة والخلاف في هذه القضية.

طبعًا حتى الذين يجوّزون الاستثناء وهذه البدعة التي اخترعها الإمام أبو الحسن الأشعري وبعض أهل البدع قديمًا وهي قصة الاستثناء على أساس الموافاة. يعني هو يقول الإنسان إذا كان في اللوح المحفوظ أنه سيموت كافرًا وعمل كل هذه الخيرات وعمل الفضائل وكان مؤمنًا ثم في آخر حياته مات والله كتب عليه الكفر. طبعًا يستثنون من أجل هذا، الذين يجيزون حتى الاستثناء يجيزونها على هذا الأساس.

الكلّابية قلنا لكم يُوجبون على أساس الموافاة أيضًا، والأشاعرة الذين أجازوا أجازوها على أساس الموافاة. وهذا هو الذي قاله الإمام التفتازاني في (شرح المقاصد) عندما ذكر هذه المسألة وقال على أساس الموافاة في المستقبل. يعني أن الإنسان حتى لو كان يعمل أعمالًا مرضيَّة وهو مؤمن ويصلي ويؤدي الأركان والأعمال ولكن في علم الله أنه سيموت كافرًا فإنه يجوز الاستثناء في هذه الحالة. ولكن قلنا لكم إن الكلّابية يوجبون الاستثناء على أساس الموافاة.

ولذلك هم أحدثوا أشياء غريبة وافترضوا أشياء، قالوا إذا كان الإنسان في علم الله أنه كافر فإنه حتى لو أدى أي شيء في الدنيا فإنه يظل كافرًا هكذا ويظل غير مرضي عنه، يعني افتراضات جدلية في أدمغتهم وأن الشخص يكون مرضيًا عنه عند الله أيضًا.

ولذلك قالوا إن الصحابة وإن عبدوا الأصنام وإن كفروا قبل أن يؤمنوا فإنهم كان مرضيًا عنهم أيضًا، لأنهم معلوم عند الله أنهم سيموتون مؤمنين. يعني اختراعات وتفتُّق أذهان من كلام بعد أن فرّق الفلاسفة هذه الشبهات في أدمغتهم. يعني أشياء ما تكلم فيها السلف وأشياء ممكن الإنسان يضل فيها.

ولذلك نحن نقولها على هذا الأساس، لأنه ربما يقول قائل أن هناك أشاعرة يجيزون الاستثناء. ما الفرق بين جواز الاستثناء عند أهل السنة وجواز الاستثناء عندهم؟ جواز الاستثناء عند أهل السنة في الأعمال، ولا يتكلمون عن مسألة الموافاة التي في علم الغيب أن الإنسان سيموت كافرًا. نحن نتكلم على حكمه الظاهر أمامنا في الدنيا، أننا نقول هذا من باب أن هذه الأعمال والفرائض لا يستطيع أحد أن يتخيل أنه سيؤدي كل هذه الفرائض وهذه الطاعات وهذه المستحبات وهذه النوافل أو وترك المحظورات، حتى لو أداها وقال أنا مؤمن يُخشى عليه أن تكون تزكية لنفسه. فلذلك كانوا يتحرّزون ويقولون نعم الاستثناء هنا حتى لا يقع الاستثناء في تزكية نفسه.

ولذلك فإن الإنسان ينظر إذا كان يقصد بقوله أمؤمن أنت؟ بمعنى هل أنت تشك أم لا؟ فأنا لا أشك في إيماني، أنا مؤمن بالإيمان القول والعمل والاعتقاد. لا يوجد أدنى شك طبعًا، لأن أدنى شك معناه الكفر. وشهادة التوحيد أنا لا

يوجد عندي أي شك في هذه الكلمة، أقول أنا مؤمن، أنا أشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، لا يوجد عندي أي شك في هذا. ولكن الاستثناء فقط يأتي في الأعمال وفي الطاعات لأنه يُخشى التزكية.

حتى هذه ردود الإمام أحمد في رسائله التي رواها عنه أحمد بن جعفر القطيعي لما سأله وبيّن أن الاستثناء يكون في الأعمال ولا يكون في الاعتقاد القلبي ولا في قول الإقرار بكلمة التوحيد.

إذًا نأتي إلى مسألة النصوص. ما هي الأدلة التي اعتمد عليها السلف في هذه المسألة؟ وهل هذه المسألة لم تكن معروفة عند الصحابة؟ بل كانت معروفة حتى عند عبد الله بن مسعود لخّص لنا هذه المسألة.

وهذه المسألة موجودة ذكرها الإمام ابن سلّام المتوفى ٢٢٤ هجريًا في كتابه (الإيمان) بالتفصيل، وذكر الأدلة ونقل روايات عن الصحابة وعن عبد الله بن مسعود وعن بعض علماء السلف. نقلها قبل الإمام الآجري ونقلها قبل الإمام أحمد ونقلها الأئمة من بعده وهكذا علماء السلف.

ولكن لخّص لنا هذه المسألة أيضًا الإمام الآجري في كتابه (الشريعة) عندما قال: "ومن صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك -نعوذ بالله من الشك في الإيمان-، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا، وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سُئلوا أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا، فالناطق بهذا والمصدق به بقلبه مؤمن.

وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدري أهو ممن يستوجب ما نعت الله -عزَّ وجلَّ- به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا، هذا طريق الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين لهم بإحسان".

عندهم أن الاستثناء كما يقول الآجري أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان. والناس عندهم على الظاهر مؤمنون به يتوارثون وبه يتناكحون وبه تجري أحكام ملة الإسلام. ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيَّناه لك وبيَّنه العلماء من قبلنا ،يقصد على حسب ما قاله من قبل الذي هو الاستثناء في الأعمال، الصلوات الخمس، الزكاة، الحج، الفرائض، الأركان، هذه الطاعات والنوافل والصدقات، كل أعمال البر هذه من الذي يستطيع أن يأتي بكل هذا فإنه قد يُخشى لو قال أنا مؤمن بمعنى هذا أيضًا

فمعناه قد يُخشى عليه أن يزكي نفسهُ فهم منه أنه يزكي نفسه، أي يشهد على نفسه بأنه أتى بحقيقة الإيمان الكاملة التي تستوجب له الجنة.

أو أن الإنسان حتى عندما يصلي فإنه لا يعلم هل قُبلت صلاته أم لا. لأن الإنسان عندما يصلي أو يتصدق أو يزكي يسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يتقبلها منه، وهو لا يعلم أقُبلت أم لم تُقبل. إذًا هو يستثني على هذا الأساس أيضًا.

ما هي الأدلة من الكتاب؟ عندما تقولون الاستثناء حرام لأن الاستثناء معناه شك، أنا مؤمن إن شاء الله كأنك تعلّق وتستثني. فهذا الاستثناء ورد في القرآن الكريم أيضًا. اقرأ في سورة الفتح، يقول الله تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ} لاحظوا: {إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ}. من القائل؟ الله –سبحانه وتعالى– هو القائل. فالله عليم أنهم داخلون، ورغم ذلك قال إن شاء الله استثناء، إذًا هذا استثناء على يقين. هل أحد يقول إن هذا فيه شك؟ هذا استثناء على يقين.

وأيضًا في حديث رسول الله ﷺ في صحيح مسلم وقد دخل النبي ﷺ المقبرة فقال: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون). انظر إلى قوله: (وإنا إن شاء الله بكم لا حقون). الرسول يعلم أن كل نفس ستموت وفي النهاية لا بد أنهم سيلحقون إخوانهم الذين ماتوا من قبل ورغم ذلك استثنى.

وقال ﷺ: (إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله –عزَّ وجلَّ–) ومعلوم أيضًا أن الرسول هو أخشانا لله ورغم ذلك استثنى. وروي أن رجلًا قال عند عبد الله بن مسعود: "أنا مؤمن. فقال ابن مسعود: أفأنت من أهل الجنة؟ فقال أرجو. فقال ابن مسعود: أفلا وكلت الأولى كما وقلت الأخرى؟" يعني كنت ممكن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، على أساس التزكية، لأنه يريد أن يعلمه أن مؤمن هنا بمعنى أنه أدى الأعمال وأدى الطاعات ويُفهم منه أنه شهد لنفسه بالجنة ولذلك قال له أنت من أهل الجنة؟ لكن لا يقصد ابن مسعود –رضي الله عنه– الإيمان بمعنى الاعتقاد القلبي أو بمعنى كلمة التوحيد (أشهد أن لا إله إلا الله محمدًا رسول الله) التي يدخل بها العبد الإسلام، ولكنه يقصد الأعمال.

وقال رجل لعلقمة: "أمؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله".

ولذلك قال الإمام الآجري: وهذا مذهب كثير من العلماء وهو مذهب أحمد بن حنبل، واحتجّ أحمد بما ذكرنا. يعني الإمام أحمد في مسائله وفي رسائله كان يحتج بهذا واحتج بمساءلة الملكين في القبر للمؤمن ومحاوبتهما له فيقولان له:

"على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تُبعث يوم القيامة إن شاء الله تعالى". ويُقال للكافر والمنافق: "على شك كنت، وعليه مت، وعليه تُبعث إن شاء الله". وهم يعلمون أنه سيُبعث ورغم ذلك استثنوا. فهذا استثناء على يقين، استثناء في موضوع مقطوع به.

إذًا السلف كانوا يستثنون في هذه المسائل.

والإمام أحمد عندما يعلق بأنه إنما يُستثنى للعمل، وقال الله –عزَّ وجلَّ-: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ} فهذا استثناء بغير شك. وقال النبي ﷺ: (إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله –عزَّ وجلَّ–). قال: هذا كله تقوية للاستثناء في الإيمان.

ولذلك فإنه أيضًا في رواية ساقها بسنده الإمام الآجري قال في حديث الفضل بن زياد: "سمعت أبا عبد الله يعجبه الاستثناء في الإيمان". فقال له رجل: "إنما الناس رجلان مؤمن وكافر". فقال عبد الله: :فأين {وَآَخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}؟". وقال: سمعت أبا عبد الله يقول سمعت يحي بن سعيد يقول: "ما أدركت أحدًا إلا على الاستثناء". وقال: سمعت أبا عبد الله مرة يقول: سمعت يحيي يقول: "ما أدركت أحدًا من أهل العلم ولا بلغني إلا الاستثناء".

هذا قول السلف وعلماء السلف والصحابة، ورغم ذلك فإن الأشاعرة المتأخرين هؤلاء يقولون يحرم الاستثناء! وأن الإنسان يقول أنا مؤمن حقًا! فهذه آيات من القرآن الكريم، وأحاديث، وأدلة، ثم هؤلاء علماء السلف كانوا يستثنون. والإمام ابن سلّام عندما ذكر بسنده أيضًا ذكر هذه المسائل وذكر عن الإمام الأوزاعي، والإمام الأوزاعي كان يقولها، ويقول يجوز هذا ويجوز هذا، فحسن هذا أن تقول إن شاء الله، أن تقول أنا مؤمن إن شاء الله.

وحتى الذين استدلوا بحديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون). الرسول قالها هكذا رغم أنه على يقين وشيء مقطوع به أن كل نفس ستموت ومقطوع أنهم سيلحقون بهم.

الذين قالوا يحرم الاستثناء في الإيمان لأنهم قالوا الإيمان كإيمان جبريل وكإيمان الملائكة، الإيمان واحد لا يتجزأ وكإيمان الأنبياء. ولذلك شنّع عليهم الإمام ابن سلّام وقال كيف يستوي هذا مع هؤلاء المؤمنين وذكر بالنص هكذا يقول:

"وكيف يسع أحدًا أن يشبّه البشر بالملائكة وقد عاتب الله المؤمنين في غير موضع من كتابه أشد العتاب، وأوعدهم أغلظ الوعيد؟ ولا يُعلم أن الله فعل بالملائكة من ذلك شيئًا". يعني عنّف الملائكة أو توعّدهم.

يقول: "قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} هذا في سورة النساء. وقال أيضًا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} والآيات في سورة البقرة. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} في سورة الصف. وقال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} في سورة الحديد.

فأوعدهم النار في آية، وآذنهم بالحرب في أخرى، وخوّفهم بالمقت في ثالثة، واستبطأهم في رابعة، وهو في هذا كله يسميهم مؤمنين، فما تشبه هؤلاء من جبريل وميكائيل مع مكانهما من الله. إني لخائف أن يكون هذا من الاجتراء على الله والجهل بكتابه".

هذا للذين لم يستثنوا وحرموا الاستثناء لأن الإيمان عندهم إيمان واحد، قال إذا كان هذا فعله الله مع الذين سماهم مؤمنين، توعّدهم، وأنذرهم، وهددهم، واستبطأهم، هذا لم يحدث للملائكة، فكيف تقول إيمانك إيمان جبريل، أو إيمانك كإيمان هؤلاء الملائكة؟!

هذا نص الإمام ابن سلّام في هذه المسألة. وهو نقل نصوصًا كثيرة أنا لا أريد أن أثقل عليكم بكثرة هذه النصوص، كلها شاهدة دامغة تدل على أن موضوع الاستثناء أن هذا الاستثناء جائز، وأن الاستثناء في الإيمان جائز، وأن السلف كانوا يقولون ذلك، وأنه لا أحد كان ينكر هذا. ولكن الاستثناء إذا كنت أقول أنا مؤمن بمعنى الشك في إيماني بمعنى الاعتقاد القلبي لا يجوز. تشك في الاعتقاد القلبي؟ وتشك أنك مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره تشك في هذا تقول إن شاء الله أنا مؤمن بهذا؟!

نحن لا نتكلم عن هذا، ولكن نتكلم على "أنا مؤمن إن شاء الله" بمعنى الأعمال؛ لأن الله تعالى يقول: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}، لذلك العلماء ذكروها من أجل هذا.

فهذا هو كلام أئمة السلف في هذه المسألة. طبعًا الأئمة في كتبهم وابن تيمية -رحمة الله عليه- فصّل تفصيلًا كبيرًا جدًا في كتابه (الإيمان الكبير) أو (الإيمان الأوسط) وردّ على هذه شبه هؤلاء وأدلتهم بالتفصيل.

لكن هناك مسألة: بالنسبة للمسلم هل يجوز له أن يقول: أنا مسلم إن شاء الله؟ العلماء قالوا: يجوز، مثلما يجوز في الإيمان، إذا كان يقصد في الإسلام معناه الأركان الخمس، يقصد الصلاة والزكاة وهذه الأشياء نعم يجوز له الاستثناء في الإسلام الكامل، الإسلام المطلق، وهو الإسلام بالإتيان بالأركان وبالأعمال، فيجوز الاستثناء مثل الإيمان ههنا. ولكن لو كان يقصد به الاستثناء بمعنى الإسلام في أصله الذي يتحقَّق بالشهادتين، يعني يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إن شاء الله)، لا يجوز قطعًا. فالاستثناء لا يجوز في أصل الإسلام الذي تتحقق به الشهادتين وبما يتم الدخول بالإسلام به. أما الاستثناء الجائز فهو الإسلام المطلق بأعماله فنعم يجوز في ذلك. وطبعًا هي نفس المسألة شبيهة بمسألة الإيمان.

هذه المسألة ستجرنا إلى مسألة العلاقة بين الإسلام والإيمان. لكن قبل أن ننتهي نهائيًا نقول: إن رأي السلف هو الرأي المعتمد، وهو الرأي الذي قال به صحابة رسول الله ﷺ وهو الرأي الذي ورد عن رسول الله وهو الرأي المشهود له بالقرآن الكريم في أن الاستثناء يجوز كما في رواية ابن مسعود، يجوز الاستثناء في الإيمان لأن الإيمان قول وعمل، فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون فرّطنا في العمل. "فيعجبني أن يُستثنى في الإيمان بقول أنا مؤمن إن شاء الله"، هذا كلام ورد عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، ونقله أيضًا عنه الإمام أحمد بن حنبل، وطبعًا قلنا لكم الأدلة التي اعتمدوا عليها.

• علاقة الإسلام بالإيمان:

أما المسألة المتعلقة بهذا الموضوع أيضًا في الخلاف في مسمى الإيمان هذه مسألة اختلف السلف فيها أيضًا حتى جمهور أهل السنة مختلفون فيها، وهي: **ما هي الصلة بين الإيمان والإسلام؟** هل الإيمان هو الإسلام وهل الإسلام هو الإيمان؟

هناك عدة أقوال: فريق من أهل السنة يقول بالترادف بينهما يعني أنهما اسمان لمسمى واحد. الإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام. هذا الرأي موجود عند أهل السنة. وطبعًا الرأي من الإمام البخاري -رحمة الله عليه- المتوفى سنة ٢٥٦هـ وهو من الذين تزعّموا هذا الرأي.

والطريف في الأمر أن الذين قالوا بالترادف، يعني الإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام، اعتمدوا على حديث جبريل الذي ذكرته لكم وقرأته في المحاضرة الأولى. لكن حديث (هذا جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم) هذا الحديث لما سأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، هذا الحديث استند إليه البخاري على آخر لفظة في الحديث وهي قال: (جاء ليعلمكم دينكم). إذًا الإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام بمعنى الترادف حتى لو جاءا معًا، بمعنى أنهما واحد. يعني هذا اعتقاد ظاهر والآخر اعتقاد باطن إذًا فهما واحد. يعني سواء انفردا، سواء أتيا معًا في نص واحد، فالاثنان معناهما واحد.

وبعض العلماء حاولوا أن يجدوا توضيحًا لهذه المسألة، والإمام ابن حجر العسقلاني حاول أن يبرر هذا كيف يكون معناه واحدًا والرسول أجاب عن أركان الإسلام الظاهرة، ثم تكلم عن أركان الإيمان الباطنة.

ولكن التبرير هو أن الإمام البخاري يرى أنهما واحد لأن الحديث يقول: (جاءكم ليعلمكم دينكم). يعني هذا هو الدين. يعني لا ينفع الإنسان يأتي بقسم ولا يأتي بقسم آخر. يعني يأتي بما يسمى الأركان هذه الظاهرة، والأركان التي في الباطن تنفصل عن الأركان. يعني العمل والاعتقاد الباطني. فهذا هو الدين.

وهذا رأي للإمام البخاري وأيضًا الإمام إسحاق بن منده أيضًا ذكر كلامًا مثل هذا، وقال إنهما اسمان لمعنى واحد، وكل واحد بدأ يسرد الأدلة. ما هي الأدلة التي استدلّ بها الإمام البخاري؟ استدلّ بقول الله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} كما في سورة الأنعام. وقول الله تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} فمدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان وجعله اسم ثناء وتزكية.

وأخبر أن من أسلم فهو على نور من ربه، والله -سبحانه وتعالى- يقول: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، وقال للأنبياء: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}، {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}، وقال يوسف: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}. وقال -سبحانه وتعالى-: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

وقال: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا} يعني آيات كثيرة، {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} إلى قوله تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا}. فحكم الله بأن من أسلم فقد اهتدى، فسوّى بينهما. يعني بين الإيمان وبين الإسلام. إذًا {قُولُوا آمَنَّا} وهذا {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} إذًا هو المقصود، فسوّى بين الإسلام والإيمان.

وهذا الرأي مال إليه الإمام العلامة الكبير الحافظ محمد بن نصر المروزي وقال إنهما مترادفان وإنهما بمعنى واحد.

إذًا المسألة خلافية عند أهل السنة، وهذا الرأي الأول.

أما الرأي الثاني هو التفريق بين مسمى الإسلام والإيمان، وأن الإسلام هو الكلمة والإيمان هو العمل. وهذا قول جماعة من السلف منهم الإمام الزهري وحماد بن زيد وفي رواية عن الإمام أحمد. واستدلوا بآية سورة الحجرات: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}. وقالوا إن التفسير الصحيح للآية ليس كما ذكره الإمام البخاري بأنهما واحد لأن القول الراجح في تفسير هذه الآية أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان، كما نفى الإيمان عن القاتل والزاني والسارق (لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن) قالوا معناها لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان، وليس معناها أنه نُزع منه الإيمان بالكلية فصار كافرًا.

وهناك أيضًا من الأدلة الكثير جدًا الشاهد فيها أن هؤلاء العلماء فرّقوا بين مسمى الإسلام والإيمان، وأن الإسلام هو الكلمة وأن الإيمان هو العمل. وفرّقوا بينهما سواء اجتمعا أو جاء كل واحد بمفرده.

لكن هناك رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية واستند للسلف فقال: إن مذهب السلف في هذه المسألة أن بين الإسلام والإيمان تلازمًا مع افتراق اسميهما. يعني في حال الاقتران فالإسلام والإيمان يختلفان كما في حديث جبريل. إذا اقترنا يكون معنى الإسلام الأمور الظاهرة والإيمان الأركان الباطنة، هذا إذا اجتمعا كما في حديث جبريل. وإذا افترقا فالإيمان هو الإسلام والإسلام هو الإيمان.

الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان وأحدهما مرتبطة بالأخرى في المعنى، فكذلك الإسلام والإيمان. لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا

إيمان له. إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه ولا يخل المسلم من إيمان به يصح إسلامه. هذا هو الرأي الصحيح، أن بينهما تلازمًا.

ولذلك ابن تيمية شبَّهها بمثل الجسد والروح، لا يوجد عندنا روح إلا مع بدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح، وليس أحدهما الآخر، فالإيمان كالروح، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن والإسلام كالبدن، ولا يكون البدن حيًا إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان، لا أن مسمى أحدهما هو الآخر، وإسلام المنافقين كبدن الميت، جسد بلا روح. فالمنافق مسلم في الظاهر ولكنه عبارة عن بدن بلا روح، مثل جسد الميت. فما من بدن إلا وفيه روح ولكن الأرواح متنوّعة. كلام جميل! وكلام من نور للإمام ابن تيمية –رحمة الله عليه–.

هذا هو الرأي الأوفق في هذه المسألة، أن الإيمان والإسلام متلازمان وأنهما إذا جاءا معًا افترقا، فالإسلام معناه الأعمال الظاهرة والإيمان معناه الأعمال الباطنة. أما إذا جاء كل واحد منهما ذُكر الإيمان مطلقًا فهو يعني الإسلام، وإذا ذُكر الإسلام معناه الإيمان. وحتى إنه قال إذا ذكرت هذه المصطلحات الأخرى: الإسلام، الإيمان، التقوى، هذه المترادفات إذا قيلت لوحدها فتشمل كل هذه الأشياء معًا.

ونحن نتكلم عن الإيمان والإسلام هنا كما في الحديث، فجعل الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الاعتقاد الباطني، وهذا يدل على اختلافهما من حيث الحقيقة الشرعية. هذا عند الذين استدلوا بأنهما يختلفان كما في حديث جبريل.

وهناك أيضًا من الأحاديث (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان..) هذه بُني الإسلام أي إنها أركان الإسلام، فدلّ هذا على أنه لا إيمان باطنًا إلا بإسلام ظاهرًا، ولا إسلام ظاهرًا إلا بإيمان باطنًا. فإذًا هذا التنوّع حتى في الخطاب الشرعي والتنوع في الأدلة موجود.

ولذلك تجدون في كتاب (جامع العلوم والحكم) للإمام ابن رجب الحنبلي في شرحه لحديث جبريل بالتفصيل هذه المسائل ولكن بطريقة مختصرة. وكتاب (الإيمان) لابن تيمية هو أكثر تفصيلًا وشمولًا وتنوعًا. ولكن الإمام ابن تيمية يردّ فيه على الفرق ويرد على أشياء كثيرة بمنطقهم هم. ولكن الذي يريد باختصار هذه المسائل يقرأ شرح حديث جبريل عند الإمام ابن رجب الحنبلي في (جامع العلوم والحكم) أو يقرأ شرح الأئمة في (صحيح مسلم) أو في (صحيح البخاري) الذين شرحوا حديث جبريل في هذه المسألة.

إذًا العلاقة بين الإسلام والإيمان هي كما قلنا هكذا، عند أهل السنة الخلاف موجود، حتى عند الفرق الأخرى كالأشاعرة وغير ذلك تكاد تكون قريبة ولكنها مختلفة إلى حد ما في الصلة بين الإسلام والإيمان عند الأشاعرة. ولكن عند أهل السنة كما قلت لكم عندنا رأيان: رأي بالترادف، وأن الإسلام هو الإيمان سواء جاءا معًا في نص أو افترقا أو ذُكر الإسلام لوحده أو الإيمان لوحده فهما مترادفان، وهذا ما يراه الإمام البخاري والإمام المروزي والحافظ ابن منده.

أما الرأي الآخر عند أهل السنة أيضًا وهو أن هناك رأي يفرّق بين الإسلام بمعناه الأمر الظاهر والآخر بالأمر الباطن في المسمى. أن الإسلام هو الكلمة والإيمان هو العمل، وهذا عليه جماعة من السلف كالإمام الزهري وغيره.

ولكن الرأي الثالث وهو مذهب مشهور أيضًا عند السلف وهو التفصيل، إذا جاءا معًا فالإسلام والإيمان متلازمان، فلا يوجد إسلام بدون إيمان ولا إيمان بدون إسلام، هذه حقيقة. وأنهما كما يقول ابن تيمية كالروح مع الجسد، فلا توجد روح حية بدون بدن حي، وإذا وُجد الجسد الذي هو الإسلام مع منافق فاعلم أنه مثل جسد الميت بلا روح.

ولذلك فنحن نقول إذا جاءا معًا فمعناهما مختلف، فالإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان معناها الاعتقاد الباطن. أما إذا افترقا فيستغرق كل واحد منهما الآخر.

طبعًا عند الأشاعرة المسألة لم يتفقوا عليها. وقع خلاف كبير بينهم، منهم من قال بالترادف بينهما مثل أهل السنة، ومنهم من قال بالتغاير، وكل فريق له استدلالات كما عند أهل السنة بالضبط في هذه المسألة. وهم عندهم تفصيلات في هذه المسألة، وذكر هذه المسائل صاحب (جوهرة التوحيد)، وذكرها الشيخ إبراهيم اللقاني في شرحه لجوهرة التوحيد، تكلم عن هذه المسائل بالتفصيل، وذكرها الإمام الجويني وغيره. يعني كل هذا في كتب الأشاعرة، وأن الإيمان والإسلام متغايران ذاتًا ومفهومًا مع القول بتلازمهما شرعًا في الوجود. بمعنى أنه لا يوجد مسلم ليس بمؤمن كما أنه لا يمكن وجود مؤمن ليس بمسلم مع اختلاف حقيقتي الإيمان والإسلام.

وطبعًا هذا هو نفس الاختلاف الموجود عند أهل السنة، ومنهم من قال إنهما متحدان ومترادفان كما قال السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى)، وأيضًا نفس الخلاف الذي وقع عند أهل السنة. فلذلك يقولون بالترادف وبالتغاير. لأن الله تعالى يقول: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}. وقول الله تعالى: {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا

وَتَسْلِيمًا} ويفسرون كلمة التسليم بمعنى الإسلام، وأن جبريل لما جاء لتعليم الدين سأل النبي ﷺ عن كل منهما على حدة، وأجاب النبي لكل بجواب.

فاستدلوا أيضًا بحديث جبريل. يعني موقف الأشاعرة شبيه بموقف أهل السنة في هذه المسألة.

وأنا أختصر بشدة جدًا لأني أريد أن أنهي الدورة ولا نحتاج إلى محاضرة أخرى، ولكن ستبقى محاضرتان إن شاء الله حتى أنهي هذه المسائل مجتمعة، لأن المحاضرة القادمة إن شاء الله سنتكلم عن نواقض الإيمان والرد على بعض الشبهات وهذه مهمة جدًا. وبعد ذلك ستكون هناك محاضرة في النهاية نتكلم فيها عن تقرير مذهب السلف في هذه القضية.

• مسألة الإمام أبو حنيفة ومرجئة الفقهاء

ولكن تبقى قضية وهي في **مسألة الإمام أبي حنيفة والجدل الذي أُثير حوله**. هل الإمام أبو حنيفة كان مرجئًا؟ وهل هو من مرجئة الفقهاء الذين كانوا يؤخرون العمل؟ أو على عقيدة جهم بن صفوان؟

طبعًا هناك من العلماء من ناقش هذه المسألة قديمًا ومن هؤلاء الإمام أبو الحسن الأشعري، كان شديدًا جدًا على الأحناف وشديدًا على الإمام أبي حنيفة، ومن العجائب أن الأحناف الأشاعرة يقدسون الإمامين؛ الإمام أبي حنيفة، والإمام أبي الحسن الأشعري، ولهم صفات كبيرة جدًا رغم أنهم أحناف. وقلنا لكم الأشاعرة هؤلاء في جميع المذاهب، يعني في المالكية، والشافعية، وقليل جدًا في الحنابلة، لكن معظم المذاهب الإسلامية متأثرة بالأشعرية وخاصة المتأخرون.

لكن الملفت أن الإمام أبا الحسن الأشعري الذي يُنسب إليه الأشاعرة والمتوفى سنة ٣٣٠هـ كان في عداء مع الأحناف ومع أتباع الإمام أبي حنيفة حتى عدهم عندما تكلم عن فرق المرجئة: "الفرقة التاسعة من المرجئة: أبو حنيفة وأصحابه، يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله والإقرار بالله والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون تفسير".

وذكر رواية فقال ذكر أبو عثمان الأدمي أنه اجتمع أبو حنيفة وعمر بن أبي عثمان الشمري بمكة فسأله عمر فقال له كلامًا لا أريد أن أكرره لأنه كلام في منتهى الخطورة وشديد جدًا، والله أعلم بسند هذه الرواية. وهي فيها تشنيع على

الإمام أبي حنيفة. وعلّق هو وقال: "ولم يجعل أبو حنيفة شيئًا من الدين مستخرجًا إيمانًا، وزعم أن الإيمان لا يتبعّض ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه. أما غسّان وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه لا يزيد ولا ينقص".

وطبعًا الإمام ابن تيمية في كتاب (الإيمان) يميل إلى أن الإمام أبي حنيفة في مسألة تعريف الإيمان يعرّفه على تعريف جهم في هذه المسألة.

بعض العلماء حاولوا أن يجدوا حلًا ويبرروا، والشيخ المحقق محيي الدين عبد الحميد –رحمة الله عليه– حاول أن يجد أنهم ربما يقصدون الإرجاء اللُغوي، ودافع عن هذه المقالة في تعليقه على كلام الإمام أبي الحسن الأشعري، وتكلم فيه عن المرجئة والخوارج والقدرية والجبرية، ثم يحاول في النهاية إطلاق القول بالإرجاء على الإمام أبي حنيفة، قال ليس على المعنى العرفي المصطلح عليه عند أهل الكلام وليس أبو حنيفة –رحمه الله– مرجئًا من أحد أصناف المرجئة الأربعة وأن الذين أطلقوا عليه هذا اللفظ لم يريدوا به معناه العرفي وإنما أرادوا المعنى اللغوي وهو التأخير.

طبعًا هذا الكلام في الحقيقة أن الإمام أبا حنيفة فعلًا وهذا متفق عليه حتى عند أصحابه والماتريدية هم أكثر الناس اتباعًا لأنهم هم الذين يتبعون الإمام أبي حنيفة وهو شيخهم، والماتريدية كلهم أحناف الإمام أبو حنيفة نعم كان يؤخر العمل، ولا يرى بركنيَّة العمل في الإيمان، يعني الإيمان عنده فقط شيء واحد هو التصديق أو الإقرار فقط. حتى الإقرار عند الإمام أبي حنيفة معناه الإقرار لإجراء للأحكام الدنيوية. يعني تقول (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وأقر أني مؤمن حتى فقط يجري عليك الأحكام الدنيوية. ولكن لو مات ولم ينطق هذه الكلمة ولكنه مؤمن في قلبه مصدق بهذا الإسلام ومعترف به معناه أنه مات مؤمنًا. هذه هي المسألة.

بعضهم قال لا، الإمام أبو حنيفة يُعتبر من مرجئة الفقهاء في هذا الباب. مرجئة الفقهاء الذين كانوا يؤخّرون الأعمال، فريق منهم كان يعتبر أن العمل ليس ركنًا من الإيمان، وسموهم مرجئة السنة، فأبو حنيفة يعتبرونه –رحمة الله عليه– من هذا القبيل.

على أية حال الإمام أبو حنيفة سواء من قال إنه من مرجئة الفقهاء أو أن الإيمان عنده هو مجرد الاعتقاد القلبي فقط أو المعرفة فقط على تعريف جهم بن صفوان، وبعض المتأخرين وبعض الأحناف قالوا لا، الإيمان عند أبي حنيفة معناه الإقرار باللسان والاعتقاد بالجنان. لأن هذا هو الرأي المشهور أيضًا عند الأحناف وعند الأشاعرة.

ولكن هم حاولوا أن يجدوا حلًا لهذا، لأن المسألة كان فيها تشنيع على الإمام أبي حنيفة في ذلك الوقت. ولكن الإمام أبا حنيفة بصراحة يختلف عن كل هؤلاء، فالإمام أبو حنيفة حتى ولو كان يرى ذلك فالرجل كان يجاهد، وكان يأمر بالمعروف وكان ينهى عن المنكر. وطبعًا أيّد بعض الثورات وأُوذي ووُضع في السجن أيام أبي جعفر المنصور والرجل مات في السجن.

يعني الرجل كان يعمل ويجاهد ولم يك يعطّل ويفتح المسائل أنها عبارة عن الإيمان في القلب والناس تعبث وتعيث في الأرض الفساد. ولكن للأسف هذه التعريفات فتحت خرابًا كبيرًا على الأمة فيما بعد. لأنها هي التي فتحت بعد ذلك شهية كل فرق المرجئة وهؤلاء الذين عطّلوا الجهاد، لأنهم تركوا ركنية العمل، يعني العمل ليس ركنًا من الإيمان. لدرجة أن بعض هؤلاء المرجئة حتى في العصور المتأخرة جعلوا قضية الولاء والبراء حتى مظاهرة الكفار، يعني واحد يظاهر الكفار ويواليهم قالوا إن هذا مؤمن، وأنه ليس فيه أي شيء، لماذا؟ لأن الإيمان عندهم فقط هو اعتقاد القلب، فالولاء والبراء لا قيمة له عندهم من الناحية العملية. لأنه ممكن توالي الأعداء وتظاهرهم، لأن هذا عمل، فإذًا العمل ليس من الإيمان.

ولذلك فتح هذا أن الناس تتجسس، ترتكب الموبقات، وممكن تعمل أعمالًا كفريات، لماذا؟ لأن الإنسان لو عمل هذه الأعمال فإنه طالما يعتقد في قلبه فهو مؤمن!. وهذا سر حصول هذا الخراب، وللأسف هذا مشتهر عند الأشاعرة أيضًا والماتريدية وغيرهم، ولذلك تجد أنه عندما واحدًا يوالي أو يظاهر لا يكفرونه ولا يطلقون عليه هذه الألفاظ لأنهم يعتقدون أن الإيمان هو اعتقاد القلب. وأقصى ما تجد من الصالحين فيهم يقولون إن الاعتقاد دليل وأثر وليس هو في حد ذاته عملية كفرية، هذا دليل على أنه عمل شيئًا كفريًا يعني على الاعتقاد القلبي فقط، فمن الذي يعلم الاعتقاد القلبي؟!

وهذا هو الذي فعله مرجئة العصر الآن والذين جعلوا العمل ليس ركنًا أو أنه عبارة عن شرط كمال وليس شرط صحة ولا وجوب ولا حتى ركن، سواء الذين يعتبرونه ركنًا أو يعتبرونه شرط صحة أو شرط وجوب. يعني حتى لو سلمنا بأنه شرط صحة أو شرط وجوب، لأن شرط صحة أو شرط وجوب مثل واحد لم يتوضأ لأنها خارج الصلاة، يعني الشرط يكون خارج الشيء. أنا إذا لم أتوضأ وصليت، حتى لو صليت وأديت الأركان فصلاتي باطلة، لأنه يُشترط الوضوء.

فلو حسبنا أن العمل شرط وليس ركنًا من الإيمان بمعنى الركن هو داخل في الشيء نفسه، حتى لو أخذناها بالمصطلح هكذا ففي النهاية هذا سيترتب عليه أيضًا البطلان.

ومثل الصلاة في ذاتها، الطمأنينة، القيام، هذا كله اسم ركن داخل الصلاة نفسها وليس خارجًا عن عنها.

لكن الإمام أبو حنيفة مثلًا في كتابه (الفقه الأكبر) وفي رده على الجهمية في عصره كفّرهم، كفّر الذين يقولون {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} قال إنه لم يستوِ، وهو يرى بالعلو، عكس كل الأشاعرة المتأخرين هؤلاء الذي لا يرون ذلك، وعقيدتهم مبنية على الحرب على مسألة العلو.

والإمام أبو حنيفة الذي يمجدونه يرى العلو ويؤمن بهذا. وله آراء حتى في بعض الأسماء والصفات هو على عقيدة أهل السنة والجماعة ولكنه خالفهم في مسألة الإيمان.

يعني الخطأ هنا عند الإمام أبي حنيفة أنه أخطأ في مسألة الإيمان، ليس على عقيدة أهل السنة في مسألة الإيمان. وهو إمام عظيم من أئمة هذا الدين ومن أئمة أهل السنة، من كبار أئمة علماء هذا الدين، ولكنه في هذه المسألة أخطأ وهو ليس معصومًا. أخطأ في اجتهاده في هذه المسألة وفي تعريفه للإيمان.

وكلام شيخ الإسلام صراحة هو الصحيح في هذه المسألة عكس الذين حاولوا أن يدافعوا وأن يبرروا. والإمام أبو حنيفة لا يختلف أحد من أتباعه أنه قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والإمام أبو حنيفة لا يستثني في الإيمان، وهذه أيضًا من عقيدة جهم لأنهم لا يستثنون في الإيمان، والإيمان عندهم هو التصديق أو المعرفة فقط. إذًا فالإمام أبو حنيفة لا يقول إن الإيمان يزيد وينقص وهذا باعترافهم وباعتراف الشرّاح وباعتراف الأئمة الكبار. حتى الإمام أبو جعفر الطحاوي –رحمة الله عليه– حاول أن يبيّن أن الخلاف لفظي وأن المسألة بهذا، ولكن في النهاية الإمام أبو حنيفة يقول إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يستثني في الإمام.

وهذا كلام أيضًا الماتريدية أتباع الأحناف وأتباع الإمام أبي حنيفة في هذه المسألة.

إذًا الخلاصة أن أقل تقدير وأقل وصف أن الإمام أبا حنيفة –رحمة الله عليه– كان مرجئًا في مسألة الإيمان، وأنه كان يقول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. وبعضهم قال يزيد ولا ينقص، ولكن المشهور عنه الصحيح أنه قال لا يزيد ولا ينقص. وقلنا لكم كلام الإمام أبي الحسن الأشعري عندما قال عنه أنه يقول هو وأصحابه أن الإيمان لا يزيد ولا

ينقص، لا يتبعّض ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه. معناها أن إيمان آحاد الناس كإيمان الرسول ﷺ أو إيمان الملائكة.

والإمام أبو حنيفة توفي سنة ١٥٠هـ وكان إمامًا عظيمًا وله أتباع وله كتابات، وليس معنى أنه وافق الأشاعرة في مسألة الإيمان أنه متفق معهم في مسائل أخرى، لكن هو خالفهم في مسائل أخرى، وهو لا علاقة له بالأشاعرة بالمعنى، لأنه لما توفي سنة ١٥٠هـ لم يولد أصلًا الإمام أبو الحسن الأشعري ولم يك في أصلاب آبائه أصلًا. الإمام أبو الحسن الأشعري توفي سنة ٣٣٠هـ، فرق بينه وبين الإمام قرن ونصف.

ولذلك كانوا يقولون أبو حنيفة أشعري والبخاري أشعري ومسلم أشعري وكل هؤلاء أشاعرة، وهذا كلام باطل. نعم اتفق في بعض المسائل ليس معناها أنها توافقت هكذا، في مسألة تعريف الإيمان فقط. والإمام أبو الحسن الأشعري نفسه هو الذي شنّع على أبي حنيفة وذكره بشدة.

وطبعًا للإمام ابن حزم كلام شديد جدًا على أبي حنيفة في هذه المسائل، وعلى الأشاعرة كان شديدًا جدًا عليهم وكلامه في منتهى القسوة عليهم. ولكن نحن بإنصاف قلنا إن هذا إمام عظيم -رحمة الله عليه-. وكان من الناحية العملية لم يكن متواكلًا ولم يكن يركن إلى الحكام، ورفض منصب القضاء في دولة الخلافة، وكان بالعكس يحرّض كما فعل مع إبراهيم ومحمد في الثورة في البصرة ومدّ الناس في المدينة، فطبعًا هنا تم تعذيبه وتم سجنه باعتباره أنه يحرّض الطالبيين على العباسيين، هذه مسائل معروفة في التاريخ.

فالرجل كان مبتلى وصبر وأوذي ولم يتولَّ حتى منصب القضاء، ولم يستفد بعلمه كما استفاد غيره، بل أتباعه هم الذين استفادوا بصراحة كأبي يوسف وغيرهم من العلماء، أما هو فلم يستفد ورفض هذا.

إذًا فحياته من الناحية العملية هي حياة أقرب إلى حياة السلف الصالح وإلى المنهج السليم، ولكنه من الناحية التأصيلية التنظيرية في باب الإيمان هو خالف السلف الصالح وخالف عقيدة أهل السنة والجماعة وخالف فهم الصحابة في هذه المسألة، وهو خالف في تعريف الإيمان بأركانه الثلاثة وهي اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان. والعمل بالأركان أو عمل الجوارح هو عمل الجوارح وعمل القلب، وقول باللسان وقول القلب وعمل القلب، يعني هذه الثلاث مجتمعات، وهذه الأركان ثلاثة هي التي يُسمى الرجل فيها مؤمنًا.

إن شاء الله نكتفي بهذا المقدار في هذا الموضوع، وفي الدرس القادم -إن شاء الله- سنحاول أن نرد على بعض الشبهات ونتكلم عن نواقض الإيمان أو نواقض الإسلام ونأتي إلى بعض الأحاديث ونرد على بعض الشبهات التي يثيرها البعض.

وسنتكلم عن قضية ما المقصود بالعمل الذي يترتب عليه الكفر، وما يُسمى بمسألة جنس العمل، ونعطي مثالًا على قضية ترك الصلاة وآراء العلماء في مسألة ترك الصلاة وبعض الأحكام الأخرى.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يبصّرنا وأن يعلمنا ما ينفعنا.

وبارك الله فيكم وجزاكم الله كل خير..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدرس العاشر

• رد على الشبهات

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، {يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}،{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الإخوة المكرمون، ها نحن أولاء مع اليوم الثاني والعشرين من شهر محرم لسنة ١٤٣٣ من الهجرة النبوية المباركة، ونحن أيضًا مع الدرس العاشر من دورة شرعية بعنوان: (مسائل في الإيمان).

واليوم سنتكلم عن الشبهات التي أثارها الإرجائيون وباقي الفرق الذين يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان، فإن لديهم شبهًا وأثارة من علم يستندون إليها، فإننا سنرد على بعض هذه الشبهات.

شبهاتهم قد ناقشنا بعضها، وردّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية قديمًا في بعض المسائل كشبهة الإيمان بمعنى التصديق اللغوي وهكذا، ولكننا الآن سنرد على بعض الأحاديث التي أثاروها، ولا سيما أن هناك فريقًا من أهل الإجراء وهم جماعة من المعاصرين تُعنى بهم الحكومات ويهتمون بهم كثيرًا ويحرّضونهم على تسفيه أهل الحق وتشويه الحقيقة، رغم أن هناك تحذيرات من هيئة كبار العلماء في أرض الحرمين من هؤلاء الذين سأشير إليهم فيما بعد –إن شاء الله–،

ولكنهم لا يزال لهم صولة وجولة كبيرة جدًا ويؤثرون على الشباب، وهم عبارة عن عباد الطواغيت، فهم أبواقه، وهم حماته أيضًا وأنصاره، رغم أنهم يزعمون أنهم من أهل العلم أو ينتسبون إلى العلم!.

لذلك فإننا سنتكلم اليوم -إن شاء الله- عن هذه الشبهات، وكنت قد قلت من قبل أننا سنتكلم عن نواقض الإسلام أو نواقض الإيمان. وقلت من قبل: عندما أتكلم عن نواقض الإيمان معناها أتكلم عن نواقض الإسلام. ولذلك إن شاء الله سأرجئ مسألة نواقض الإيمان ونواقض الإسلام إذا كان هناك بقية في هذه المحاضرة.

ومسألة نواقض الإسلام موجودة ومبثوثة في الكتب، وتكلم عنها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في (الدرر السنية)، وستجدون أنه كتبها فيما يُسمى بالنواقض العشرة، وهذه النواقض موجودة في المجلد الجزء العاشر من (الدرر السنية). وبعض العلماء قام بشرحها وستجدونها سهلة وموجودة ومتوافرة والحمد لله. وأيضًا شروط (لا إله إلا الله) ونواقض (لا إله إلا الله) التي أيضًا ذكرها صاحب (معارج القبول) الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله-.

وأيضًا في بعض الكتب القديمة تكلمت عن هذه النواقض وتكلمت عن ألفاظ الكفر بحد ذاتها، سواء الأقوال أو الأفعال بالتفصيل. حتى من علماء الأشاعرة كالإمام ابن حجر الهيتمي الشافعي المتوفَّى سنة ٩٧٣ هجرية وله كتاب (الإعلام بقواطع الإسلام) جمع فيه ألفاظ الكفر وهو كتاب في منتهى القوة، رغم أننا نعلم أن ابن حجر الهيتمي -رحمه الله- كان مغاليًا جدًا في مسائل التصوف وفي أشعريته، وهاجم شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرًا، ولكن على أية حال هذا الكتاب في منتهى القوة وفي منتهى الفوائد.

وهو حجة حتى على أهل الإرجاء؛ لأنه ذكر أشياءً في الأقوال والأفعال، ولو كان هناك بقية من وقت يمكن نقرأ بعض النصوص، وهي رد على الذين يُخرجون الأعمال من الإيمان ويقولون إن الإنسان لا يكفر بها. وهناك أيضًا كتب لبعض الأئمة مثل كتاب (رسالة في ألفاظ الكفر) لأحد علماء الشافعية وهو القاسم بن صلاح الدين الخاني رغم أنه صوفي أصولي ولكنه توفي سنة ١١٠٩ هجرية وله هذا الكتاب القيم في بابه، وجمع فيه الألفاظ. وهو طبعًا استفاد من كتابات ابن حجر الهيتمي وهو شافعي أيضًا. وطبعًا الأحناف من أكثر العلماء اهتمامًا بمسائل ألفاظ الكفر، فهناك رسالة أيضًا في ألفاظ الكفر لتاج الدين بن مسعود الحنفي، ورسالة أيضًا موجودة لبدر الدين الرشيد وعلي الحنفي توفي سنة ٧٦٨ في ألفاظ الكفر.

حتى كتاب (الشفا) للقاضي عياض فيه مسائل جيدة وقوية جدًا في مسائل الكفر وأحكام الردة، وكتاب (الصارم المسلول) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى). وأيضًا هناك كتب معاصرة، وهناك كتاب قيم وهو عبارة عن رسالة دكتوراه للدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد اللطيف وهو كتاب مطبوع اسمه: (نواقض الإيمان القولية والعملية)، وهو كتاب قيم في بابه. بالإضافة إلى كتاب (الجامع في طلب العلم الشريف) تكلم في هذا، وفيه مسائل قوية جدًا.

فالكتب المعاصرة والقديمة متوفرة الحمدلله في مسائل أحكام الردة. حتى في أبواب الفقه وفي كل أبواب الفقه جميعًا من جميع المذاهب المالكية والشافعية والحنابلة والأحناف كل هؤلاء جميعًا تجد فيها كتاب الردة أو باب الردة، ويتكلمون بالتفصيل عن الألفاظ والأحكام وما الذي يُخرج العبد المسلم من الإيمان. وللأسف الشديد لا أحد يهتم بها ولا يلتزمون بها في أيامنا هذه.

إذًا هذه تقدمة كان الهدف منها أن نبيّن أنني سأرجئ مسائل نواقض الإيمان إلى نهاية المحاضرة؛ لأني سأهتم الآن بالشبهات التي أثارها هؤلاء المرجؤون وخاصة المعاصرين.

وأذكر كما قلت ومن كلام الإمام الآجري لأن كلامه واضح جدًا وهو متوفى سنة ٣٦٠ هجرية في كتابه (الشريعة) يقول: "باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح: لا يكون مؤمنًا إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث". حتى قال: "اعلموا -رحمنا الله تعالى وإياكم- أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. ثم اعلموا أنه لا تُجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث خصال كان مؤمنًا".

ثم استدلّ على ذلك من الكتاب والسنة ثم قال: "فالأعمال -رحمكم الله تعالى- بالجوارح تصديق للإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمل جوارحه مثل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، وأشباه هذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنًا ولم تنفعه المعرفة والقول وكان تركه العمل تكذيبًا منه لإيمانه وكان العمل بما ذكرنا تصديقًا منه لإيمانه، وبالله تعالى التوفيق.".

ثم قال بعد ذلك:"واعلموا -رحمنا الله وإياكم- أني قد تصفَّحتُ القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعًا من كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، أن الله تبارك وتعالى لم يُدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم وبما وفقهم له من الإيمان به والعمل الصالح وهذا رد على من قال الإيمان المعرفة ورد على من قال الإيمان بالمعرفة والقول وإن لم يعمل، نعوذ بالله من قائل هذا.".

ثم استعرض الأدلة بالتفصيل. وهذه المقدمة مهمة جدًا لأنها تبين لنا خلاصة معتقد السلف.

نبدأ الآن في بعض الشبهات لأن الموضوع طويل ويحتاج إلى دراسة أكبر ولكننا نوجز ونبسّط المسائل.

أول شيء: هؤلاء الذين أخرجوا العمل من مسمى الإيمان لهم شبهة: **استدلوا بحديث حذيفة بن اليمان** -رضي الله عنه- وهو حديث معروف ومشهور، وهذا الحديث رواه ابن ماجة في (كتاب الفتن)، وهذا الحديث سنده صحيح وأخرجه الألباني في كتاب (صحيح ابن ماجة) وشهد له بالصحة.

إذًا هذا الحديث وهو حديث حذيفة نقوله كما ورد في سنن ابن ماجة: يقول بعد أن ساق بسنده عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال: "قال رسول الله ﷺ: (يدرُس الإسلام كما يدرُس وَشْيُ الثَّوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله -عزَّ وجلَّ- في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آبائنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها). فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال يا صلة: تنجيهم من النار، ثلاثًا". أو كما قال كما في سنن ابن ماجة. وهذا الحديث أيضًا رواه الحاكم في مستدركه أيضًا ورمز إليه وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والإمام الذهبي وافقه على ذلك.

وقال ابن حجر في (الفتح) عن رواية ابن ماجة قال سنده قوي. وطبعًا الشيخ الألباني سار على تصحيح الإمام ابن حجر والذهبي وقال إنه صحيح وذكره في (السلسلة الصحيحة) وفي كتابه (صحيح ابن ماجة).

إذًا هذا الحديث هو شبهة هؤلاء. واعتمدوا على أن هذا الحديث يدل على أن الإنسان يدخل الجنة وإن لم يعمل، فهؤلاء الناس ما يدرون ما صيام ولا نسك ولا صدقة والشاهد قوله: إنهم لا يعرفون إلا (لا إله إلا الله) فقط، يعني هذه تنجيهم.

هذه هي حجة المرجئة الذين قالوا: يكفي لا إله إلا الله وإن لم يأتِ حتى بجنس العمل، ولم يعمل خيرًا قط. وهؤلاء لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا نسك، كل هذا هو الذي اعتمدوا عليه في هذا الحديث.

والشيخ الألباني استند على هذا الحديث في تعليقه في (السلسلة الصحيحة) عندما اعتبر أنها فائدة فقهية: "أن شهادة لا إله إلا الله تنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة الأخرى".

والمرجئة المعاصرون هؤلاء دائمًا يعتمدون على آراء الشيخ الألباني في هذه المسائل وخاصة في مسائل الإيمان؛ لأن الشيخ يعتبر أن الأعمال شرط كمال وليست شرط صحة وليست ركنًا في الإيمان.

فإذًا هم فهموا من الحديث أن من قال: "لا إله إلا الله" تنجيه من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة.

طبعًا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (الإيمان) ردّ على هذه الشبهة أيضًا. ورغم أنهم قد قرأوا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وهم ينشرون كتبه ويعلمون ذلك ولكن سبحان الله لأن المشكلة عندهم أصلًا أنهم عبدة الطواغيت، بصراحة! وأنهم يريدون أن يزينوا للناس. هذه كل القصة التي يلفون ويدورون حولها!.

لماذا يصرُّون على إخراج الأعمال من مسمَّى الإيمان؟ ولماذا يصرّون على أن الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد القلبي فقط وأن الكفر بالعمل هو عبارة عن كفر أصغر وكفر دون كفر؟! كل ذلك ليبرروا للطواغيت الذين يأمرون الناس بهذه التشريعات بغير ما أنزل الله، وأنهم يعبدّون الناس ويحكمونهم بقوانين وضعية، وأنهم يقومون بشركيات وكفريات، كل ذلك ليبرروا للطواغيت أنهم طالما أنهم يقولون (لا إله إلا الله محمدًا رسول الله) تنجيهم، وأن هذه المسائل أقصى ما فيها أنها كفر عملي، بمعنى أنها كفر دون كفر.

كل هذا اللف والدوران هو تزلف لهؤلاء الحكام الخارجين عن الإسلام.

حتى حديث حذيفة هذا وهو (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، الإسلام لا يبقى منه شيء)، يعني يكاد يكون انقرض، لا يوجد من تعاليمه، انتهى، لأنه قال: (حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة).

هذا الحديث هم وضعوه أنه يخالف حكم السلف الذي ذكرته لكم في كلام الإمام الآجري. طبعًا أنا لم أشأ أن أقرأ كل كلام الأئمة لكن يكفينا هذا، الكلام الذي ذكره في حكم تارك جنس العمل. وهؤلاء يعتقدون أن الأمر بخلاف هذا، فهم يرون أن الذي يترك حتى جنس العمل ولا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا يتصدق ولا أي شيء من الأركان. حتى قالها الشيخ الألباني: "ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة الأخرى فإنه حتى لو مات على ذلك يكون مؤمنًا"!.

هذا فهم خاطئ لهذا الحديث. ولو أنهم قد رجعوا إلى ردود شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، وحتى في علماء الدعوة النجدية قديمًا، لو رجعوا إلى مثل هذه الردود لما أثاروها من جديد.

ولا حظ في آخر الحديث عندما قال: فقال صلة. يعني صِلة راوي الحديث يتعجّب عندما يسأل حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه–. فقال له صلة: "ما تغني عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟" فأعرض عنه حذيفة. إذًا لماذا استغرب وتعجّب صلة؟ لأن المفهوم عند السلف وعند هؤلاء التابعين أنه كيف يُتصور أنه واحد يدخل الجنة وتنجيه (لا إله إلا الله) فقط؟! ولذلك تعجّب وسأله، فقال كيف وهم لا يصلون ولا يصومون؟

هم لا يتصورون أن واحدًا يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولا يصلي ولا يتصدق ولا يزكي ولا يقيم الأركان. إذًا صلة كان يتعجّب على الذي رسخ في عقيدته وتلقّاه من الصحابة، فيسأل حذيفة عن ذلك. إذًا لا بد ألا نُغفل هذه الجزئية.

والنقطة الأخرى بالنسبة لهذا الحديث أن الشيخ –رحمة الله عليه– قال: "تنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة".

الحديث يقول: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليُسَرَّى على كتاب الله -عزَّ وجلَّ- في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها).

إذًا لا يوجد هنا مسألة خلود في النار، هؤلاء الناس في مرحلة من مراحل انقراض الإسلام، يقول: "أدركنا هذه الكلمة". تخيل ناسًا عاشوا في جاهلية عمياء لدرجة أنهم وُلدوا ولم يعرفوا إلا هذه الكلمة التي أخذوها عن آبائهم، قالوا لهم أنتم مسلمون و(لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولا يعرفون لا صلاة ولا صيامًا. فهذا هو العذر بالجهل.

هم معذورون. وهؤلاء المعذورون كيف تقول عنهم أنها تنجيهم من الخلود في النار؟! الحديث يدل على أن السبب في ذلك هو الجهل، في وقتهم لا يوجد شيء، هم أناس عاجزون، لا يعرفون من العلم إلا هذه: (لا إله إلا الله)، الأعمال تلاشت كلها، لا يدرون ما صلاة ولا صيام. تفشّى الجهل وانتشر بحيث لم يبقَ إلا هذا الذي يعتقدونه.

فهؤلاء معذورون حتى بمفهوم مشايخ الإرجاء والشيخ الألباني. وهم أكثر الناس من يطبلون في هذه القضية، لأنهم يقولون تارك جنس العمل حتى غير المعذور، يعني واحد مثلًا نشأ في بيئة المسلمين، نشأ في مكة، نشأ في المدينة، نشأ في مصر، بلد فيها علم وإسلام ولا يزال الإسلام يُدرَّس، والعلم منتشر إلى الآن، رغم علو الأحكام الكفرية من الحكام لكن لا يزال العلم موجودًا.

إذًا لو واحد لم يصلِّ ولم يأتِ بالأركان الخمسة عندهم في حالة عدم الجهل يقولون إنها تنجيهم! فأنتم في الحياة العادية في بلاد المسلمين تقولون: (من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة)، يأتون إلى الأحاديث العامة ولا يخصصونها، فلها مخصصات أخرى في أحاديث أخرى، ولكن في النهاية هم يأتون إلى هذا ويقولون تنجيهم. يعني يأتون إلى شخص يعيش في مكة لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا يعمل أي شيء، يقول طالما معه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هذه تنجيه وإن لم يعمل خيرًا قط وإن لم يأتِ بهذه الأركان وهو يعيش في بلاد المسلمين!

لكن الحديث يتكلم عن فترة الإسلام لم يبقَ منه شيء! تأتي فترة الإسلام انقرض فيها، الناس لا تدري ما صيام ولا صلاة، والشيخ الكبير والعجوز هؤلاء يقولون أدركنا آباءنا، تخيَّل! يقولون هذه الكلمة، يعني لم يبق منهم إلا هذه!

فأنتم تُنزلون هذا الحديث على واقعنا المعاصر، على ناس يعيشون في بلاد فيها علماء وفيها أحكام شرعية لا تزال باقية، وأناس يعرفون معنى الصلاة، ومعنى الصيام، ومعنى الحدود، ومعنى ما هو معلوم من الدين من الضرورة، يعلمون ذلك جيدًا، وأنت تقول لو قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تنجيه أو صدّق –على طريقة تعريفهم للإيمان–!، لأن الإيمان عندهم هو: تصديق بالجنان (بالقلب)، وإقرار باللسان، والعمل عندهم هو شرط كمال، حلية فقط لا أكثر ولا أقل.

وحتى الإقرار باللسان هو فقط عندهم من باب إجراء الأحكام فقط، يعني حتى تجري الأحكام الدنيوية. لكن لو مات –على رأي الغلاة منهم– وفي ظاهره في الدنيا أنه لم يقرّ فتُجرى عليه أحكام الكفار. لكنه إذا مات وقلبه يقرّ بهذا الدين ولم ينطق بها ولم يعمل أي شيء فهو مؤمن أيضًا!. وهذا باطل وبهتان وافتراء على كل هذه الشواهد من القرآن والسنة.

إذًا هذا الحديث الذي يستدلون به يدل على أن هؤلاء الناس كانوا عاجزين عن العمل، بسبب شيوع الجهل في الفترة التي يعيشون فيها، ولم يصلهم من هذا الدين إلا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله). إذًا نجّتهم لأن هذا هو القدر الذي يعرفونه.

لكن نأتي إلى شخص يعرف (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعنده شيوع العلم، وتقول لي أنه إذا لم يؤدِّ الأركان ولم يعمل فإنها تنجيه ويدخل الجنة ويكون مؤمنًا؟! لا، ليس مؤمنًا، بل هذا كافر، كافر ظاهرًا وباطنًا. هذا هو الذي عليه معتقد أهل السنة والسلف الصالح –رحمة الله عليهم–.

وهذه الشبهة على طريقة ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾، لا يزالون يُلقِّنون أتباعهم هذه الشبهة، وهي شبهة هذا الحديث (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب). وشيخ الإسلام ابن تيمية له كلام جميل جدًا في هذا الأمر.

وأنا تكلمت في درس سابق عندما كنا نتكلم عن إخراج العمل، وردّ على ذلك الإمام ابن سلّام في كتابه (الإيمان) كما قلت لكم. ولكن ابن تيمية لخّص لنا هذا الموضوع أيضًا قال: إن الله لما بعث محمدًا رسولًا إلى الخلق كان الواجب على الخلق التصديق به، تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، ولم يأمرهم حينئذ بالصلوات الخمس ولا صيام شهر رمضان ولا حج البيت ولا حرّم عليهم الخمر والربا.

يعني لما كان الرسول في مكة في بدايته لم يأمرهم بهذه الأشياء ولا طلب منهم صلوات خمس ولا صيام شهر رمضان ولا حج البيت ولا حتى الخمر كانت محرمة ولا الربا أيضًا. كان هذا في البداية.

ولا كان أكثر القرآن قد نزل. القرآن في ظل هذه الفترة المكية لم ينزل القرآن كله، وهناك من كان مؤمنًا ويموت وهو مؤمن كامل الإيمان في ذلك الوقت، رغم أن القرآن لم يكتمل نزوله، ورغم أن الأحكام الشرعية لم تنزل في ذلك الوقت ولم تكتمل حتى اكتملت هناك في المدينة.

ابن تيمية يقول: وكان الشخص حينئذ مؤمنًا تام الإيمان، -الذي هو في الفترة المكية- الذي وجب عليه وإن كان مثل ذلك الإيمان. رغم أن الخمر كانت ليست محرمة، الربا لم يكن محرمًا، الصلوات لم تكن خمسة، لا يوجد عليه فرض زكاة ولا صيام رمضان ولا غيره، ومات وهو تام الإيمان.

فبعد الهجرة لما هاجر الناس إلى المدينة لم يُقبل منهم أي شيء من الذي كان من قبل بعد ذلك، ولو اقتصر عليه لكان كافرًا. لو واحد قال: أنا في المدينة سأظل على القديم وهو أن الربا حلال، وأنه كان في مكة الخمر حلالًا، إذًا سأتعاطى الخمر وأشرب الخمر وأستحلها. أو قال: أنا لن أصلي الصلوات الخمس لأنها لم تكن مفروضة في مكة وأنا آمنت منذ أيام مكة، هل يُقبل منه ذلك؟ لم يُقبل منه ذلك وصار كافرًا بهذا.

فالأول الذي مات قبل الهجرة مؤمن تام الإيمان. والذي لم يؤدِّ هذه الأحكام بعد ذلك بعد نزولها يكون كافرًا لو اقتصر فقط على ما كان هناك.

وهذا ردٌ دامغ من شيخ الإسلام ابن تيمية. ومن قبله الذي ردّ ذلك أيضًا ابن سلّام -رحمة الله عليه-.

وسأذكر لكم بعض الأدلة مثل حديث الأصيرم لم يسجد لله سجدة، لم يركع لله ركعة، لكن واحد أسلم في الحال وقال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وغزا مع الرسول ﷺ فقُتل، هو لم يركع ولم يصلِّ، ولكنه أدى ما عليه في الحال. قال الكلمة، وهو عمل أيضًا، لأن الرسول ﷺ قال: (عمل قليلًا وأُجر كثيرًا). هو عمل لأنه ذهب ليجاهد، والجهاد عمل.

العمل الوحيد الذي عمله هو هذا. فلو عاش وقال أنا اكتفيت بالجهاد وأنا الآن مجاهد بالمعاش! وأنا الآن سأكون مقعدًا ولن أجاهد ولن أصلي ويكفيني مرة واحدة وانتهت المسألة. هل الرجل الذي مدحه رسول الله ﷺ سيمدحه رسول الله ﷺ لو عاش وقال أنا سأكتفي بالمرة الأولى وانتهى الأمر بدون عذر؟

إذًا هذا هو القدر الذي يسع هؤلاء الناس في حديث (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب)؛ أن هؤلاء كانوا في جاهلية عمياء، أو أن هذا الزمن سيكون عند انقراض الإسلام، وشيوع الجهل، وهؤلاء عاجزون. هؤلاء أشياخ، شيخ كبير وعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة! هم لا يدرون ما صلاة ولا شيء. فهم معذورون بعجزهم، ومعذورون بجهلهم، لأن هذا هو الذي كان في وقتهم.

هذه هي الشبهة التي يُكثر منها هؤلاء ويلقّنونها أتباعهم في هذه المسألة. هذا الحديث له تفاصيل كثيرة وردود أخرى، ولكن أنا أختصر بقدر الاستطاعة في هذا الحديث. لأن عندي بعض الشبهات الأخرى.

هناك شبهة أيضًا في حديث الشفاعة، أو حديث ما يُسمى بالجهنَّميين الذين يخرجون من النار ولم يعملوا خيرًا قط.

حديث الشفاعة رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان كاملًا وهو حديث طويل جدًا. وسأختصر الحديث وأحاول أن آتي على الشاهد فيه، والحديث رواه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عندما سأل بعض الناس رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: (نعم)، ثم ساق الحديث طويل جدًا إلى أن وصل إلى مسألة الشفاعة.

نأتي إلى الشاهد الذي استشهد به المرجئون المعاصرون الجدد، أو عبدة الطواغيت الذين غيّروا وبدّلوا أحكام الإسلام بأحكام وقوانين وضعية ما أنزل الله بها من سلطان. يقول في الحديث كما في (صحيح مسلم): (فيقول الله -عزَّ وجلَّ-: شفعت الملائكة وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يُقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحِبَّة في حَمِيل السَّيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أُصيفر وأُخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض).

فقالوا يا رسول الله: كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: (فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة، فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين. فيقول لهم: عندي أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا).

هذا هو الشاهد في هذا الحديث كما في (صحيح مسلم)، وهو حديث الشفاعة. وطبعًا هو من أقوى الأدلة التي يعتمدون عليها. لأنه يقول: (لم يعملوا خيرًا قط)! وهو حديث يقولون عليه حديث الجهنميين، إخراج هؤلاء الذين كانوا في النار وأخرجهم الله -سبحانه وتعالى- ولم يعملوا خيرًا قط.

طبعًا هذا الشاهد الذي استشهدوا به في حديث الجهنميين أو حديث الشفاعة العلماء حتى ابن تيمية وغيره -والذي ردّ على هذا الحديث من قبل ابن تيمية قبل أن يولد أصلًا هو الإمام ابن خزيمة -رحمة الله عليه- في كتاب (التوحيد).

هؤلاء دائمًا كما قلنا أهل البدع يستندون إلى الأحاديث والأدلة العامة ويتعمّدون إغفال الخاص فيها. وابن تيمية ردّ -رحمه الله- على هذا الكلام الذي ظنوه أنه الحجة الدامغة على إخراج الأعمال من مسمى الإيمان، وقالوا هذا دليل على ذلك أن هؤلاء الناس دخلوا الجنة وأُخرجوا من النار بدون أن يعملوا خيرًا قط، فهذا الذي احتجوا به على أن جنس الأعمال ليس كفرًا.

ولكن هذا الكلام قاله الإمام ابن خزيمة -رحمة الله عليه- وبيّنه في كتاب (التوحيد) قال: "هذا جريًا -أي لم يعملوا خيرًا قط- على ما تعارفت عليه العرب واستعملته في كلامها من نفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام لا لانتفائه نهائيًا". هو يقول: هذا جري على الغالب، لم يعملوا خيرًا قط هذا جريًا على غالب الكلام عند العرب بمعنى نفي الكمال.

ولذلك الحديث كما في (سنن النسائي) وأحمد وابن حبان والحاكم والحديث أصله في الصحيحين، هذه اللفظة: (لم يعملوا خيرًا قط)، في حديث آخر هم يستدلون به ولكنه ضدهم أيضًا، وهو حديث الرجل الذي لم يعمل خيرًا قط وكان يداين الناس.

هذا الحديث أخرجه النسائي في كتابه البيوع. وهذا الحديث ذكره بسنده عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: (إن رجلًا لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعلّ الله تعالى أن يتجاوز عنا. فلما هلك قال الله -عزَّ وجلَّ- له: هل عملت خيرًا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته ليتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعلّ يتجاوز عنا. قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك).

لاحظوا هذا الحديث هو ضدهم؛ لأن الحديث يقول: (لم يعمل خيرًا قط)، وهو كان يداين الناس، وكان رجلًا سهلًا، يعفو عن المعسر، ومتسامح في ديونه، ولذلك عامله الله -سبحانه وتعالى- بأن تجاوز عن سيئاته لأنه كان يتجاوز عن المعسرين رغم أنه كان لم يعمل خيرًا قط في لفظ الحديث. تفسيرها أن هذا عام.

لفظ (لم يعمل خيرًا قط) عام إما يُخصَّص في نفس الحديث أو يُخصَّص بحديث آخر، أو يُخصَّص بآية، أو يُخصَّص بقرائن أخرى. هذه مسائل أبجديات موجودة ومدروسة في كتب أصول الفقه في الخاص والعام. هل يحتاجون أن ندرّس لهم أصول الفقه؟! هم يدرسون ويعلمون وهم من أهل العلم ويعرفون ذلك جيدًا، ولكن قلت لكم: {إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.

لأنهم يُزينون لهؤلاء الحكام أن يعملوا ما يشاؤون من باطل ومن كفريات بزعم أن هذا كفر دون كفر وأن مسمى الإيمان لا يشمله العمل، والعمل عبارة عن شرط كمال وليس شرط صحة، وأنه يكفيك أن (لا إله إلا الله) تنجيك، ودليل على ذلك هذا، أن الله سيُدخل أقوامًا الجنة لم يعملوا خيرًا قط!

فها هو حديث النسائي عن أبي هريرة أن رجلًا لم يعمل خيرًا قط وكان يداين الناس ويتجاوز عن المعسرين. وهذه حجته أمام رب العالمين يوم القيامة أنه كان يتجاوز عن الناس فالله تجاوز عنه. إذًا التجاوز هذا خير أم ليس بخير؟! خير. والحديث يقول لم يعمل خيرًا قط، هل يشمل هذا التجاوز عن المعسرين من أنواع البر والخير أم ليس من الخير؟ هو من أنواع الخير.

إذًا هذه ألفاظ عامة، يعني القصد أن هؤلاء الغالب عليهم فعل السيئات، ولكن ليس من باب الكمال ولا التمام كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة -رحمة الله عليه- في كتاب (التوحيد).

وهذا رد أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم بالتفصيل موجود كله في كتاب (الإيمان).

هذه الحجة أنهم: "لم يعملوا خيرًا قط" دليل على أن العمل ليس شرط صحة وليس ركنًا وأن الإنسان يكفيه (لا إله إلا الله) وإن لم يعمل خيرًا قط. قلنا لهم لا، هذا كلام باطل! وهذا كلام لا يجوز أن يُستند إليه، وهناك أحاديث أخرى ضد هذا.

هم يعلمون الحديث في (صحيح البخاري) في كتاب الصلاة ما يُسمى بحديث المسيء صلاته، هذا الحديث لما الرجل دخل المسجد وصلى ثم قال له الرسول ﷺ: (ارجع فصل فإنك لم تصل). ثم رجع، فقال: (ارجع فصل فإنك لم تصلِّ). فرجع وفي النهاية قال: لا أحسن غيرها. فالرجل صلى! يعني شكل الهيئة أنه صلى، قام وركع وسجد وعمل وقرأ، أتى بها من التكبير إلى التسليم، ورغم ذلك الرسول نفى عنه صحة الصلاة.

والإمام أبو عبيد القاسم بن سلّام –رحمة الله عليه– في كتابه (الإيمان) هذه هي حجته، استدل في الرد عليهم بأنهم لم يعملوا خيرًا قط أننا نأخذ بالغالب، وهذه عبارات مخصَّصة، والرسول عندما قال ارجع فإنك لم تصلِّ، الرسول رآه يصلي فعلًا، ولكن هو نفى عنه صحة الصلاة، هذه ليست الصلاة الصحيحة.

يقولون في الحديث: (لم يعملوا خيرًا قط) كلمة (قط) هذه دليل على التأكيد. فها هو حديث الرسول ﷺ أنه رجع إليه وقال له في ثلاث مرات: (ارجع فصل فإنك لم تصل). فإنك: (إن) المؤكدة. جزم قاطع بأنه لم يصل، ورغم ذلك فإن الرجل قد صلى.

إذًا نقول (لم يعملوا خيرًا قط) لم يبلغوا ذلك في الغالب، لكنهم يعملون خيرًا. ودليل على ذلك أن الإنسان يمكن أن يعمل خيرًا ولكن الشر كان غالبًا عليه فلذلك يُقال له لم يعمل خيرًا. تنفي عنه كل الخيرية.

وحديث الرجل الذي كان يداين الناس ويتجاوز عن المعسرين حجة أيضًا في هذا. فالرجل بنفس اللفظ وبنفس التأكيد كما في سنن النسائي أنه لم يعمل خيرًا قط ورغم ذلك كان يتجاوز. إذًا هل تشمله لم يعمل خيرًا قط تشمله كلمة أنه يتجاوز؟ هل هي من الخير أم ليست من الخير؟!

وما الذي يدرينا أنها من الخير؟ أن الله عفا عنه وقال لما سمع حجته: (فإني قد تجاوزت عنك). فتجاوز الله عنه وأدخله الجنة بسبب هذا، بسبب أنه كان يعمل خيرًا ولكن الغالب أنه لم كان يعمل السيئات ولم يعمل الخير بالإطلاق.

إذًا هذه اللفظة من الناحية اللغوية ومن ناحية ألفاظ العمل هي لفظة عامة يُراد بها الخصوص، مخصصة بهذه الأحاديث.

ولذلك كان ابن تيمية دائمًا يركّز في هذا، أن مشكلة هؤلاء أنهم يستدلّون بالعمومات. هؤلاء أهل البدع يستدلون بالعمومات ولا يعتمدون على التخصيص. يعني الحديث مخصَّص في موقف آخر وهم يعتمدون على العام.

وهذا الموضوع أن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بشروطها ونواقضها. (لا معبود بحق إلا الله) بشروطها ونواقضها. وسندلل على ذلك بأدلة أخرى إن شاء الله.

نأتي إلى شبهة أخرى من نفس هذا السياق وهي شبهة: حديث البطاقة.

حديث البطاقة أيضًا من الأحاديث التي اعتمدوا عليها والإمام الترمذي ذكره في كتابه (الإيمان)، وهو حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله سيخلّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم.

قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء).

هذا حديث قال عنه الإمام الترمذي: حديث حسن غريب، وهو في كتابه (الإيمان).

والبطاقة هنا معناها كما قال الترمذي نفسه إن معناها القطعة. أي مثل القطعة التي يُكتب فيها الأشياء أو الرقعة.

فهذا حديث البطاقة شبيه بالسابق، حديث عام. هذا الرجل الذي أتته "لا إله إلا الله" وثقلت في ميزانه فإنهم يقولون أنه قال (لا إله إلا الله) وأنها رجحت على سجلاته، ولم يذكروا لنا ما هذا الذي في السجلات؟ وقد تكون معناها أن هذه سجلات من الذنوب الله –سبحانه وتعالى– عفا عنه، وهذا الرجل قد يكون معذورًا وقد يكون نشأ في جاهلية، مثل حديث الشيخ الكبير وحديث الذين ينشأون في فترات تفشّي الجهل وغير ذلك، أو ينشأون في بداية أو مثل هؤلاء أو يرتكبون ذنوبًا من صغائر الذنوب فيُعفى عنهم.

هذا حديث "لم يعملوا خيرًا قط" أقوى في الاستدلال من حديث البطاقة الذي اعتمدوا عليه، فإنها أحاديث عامة يناقضها هذه الشواهد والأحاديث. وقلت لكم كلام الآجري أنه قد استحضر من القرآن ستة وخمسين موضعًا للإيمان مرتبط بالعمل. لا يوجد إنسان يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى وبتوفيقه إلى هذا العمل، بدون عمل لا يدخل الجنة هكذا، وأن هذه الأحاديث تتكلم عن حالات خاصة، أن هناك انقراض وأن الإسلام يدرس ويتلاشى ولا يبقى فيه شيء، فمثل هذه الأحاديث نعم ينطبق عليها من قال (لا إله إلا الله محمدًا رسول الله) مخلصًا من قلبه أو صادقًا فإنه يدخل الجنة. نعم، هذا في حالات الانقراض وحالات شيوع الجهل وأنه لا يعلم إلا هذه فهي تنجيه في هذه الحالة.

طبعًا هم لهم شبهات أخرى، ولكن بالإضافة إلى ما قلناه لكم من قبل في مثل هذه الأحاديث فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمة الله عليه– في (الدرر السنية) ذكر أشياءً جميلة جدًا في الرد على الذين يُخرجون الأعمال من مسمى الإيمان ويعتبرون أنه مهما أتى هذا الشخص الذي يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) من كفريات ولم يعمل أي شيء فإنه يكفيه ذلك، فهو مؤمن ومسلم ولا يضره أي شيء، لا تضره هذه المعاصي ولا هذه الكبائر وإن أشرك بالله.

ولذلك استدل عليهم بحوالي بست أدلة، خلاصة هذا الذي ذكره:

أول شيء يبين لنا من الواقع، من مزايا هذه المدرسة؛ مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وهؤلاء الأفذاذ العلماء والإمام أحمد من قبل، ومن بعده الآجري، ومن قبلهم الأئمة الكبار كابن سلّام والبخاري وأبي زرعة وغيرهم، هؤلاء جميعًا كانوا واضحين في أدلتهم واستحضارهم للأدلة.

لاحظوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمة الله– عليه عندما بيّن لهم أول صورة من صور الردة العملية، نحن نتكلم أن القضية أنكم تقولون أن من قال (لا إله إلا الله دخل) الجنة ويكفي هذا، فتعالوا من الناحية التطبيقية العملية: نأتي إلى جيل الصحابة، كيف تعاملوا مع من يخرج الأعمال أو من لم يأتِ بأعمال؟ أنتم تقولون أن هذا الرجل مؤمن حتى وإن ترك هذه الأعمال أو ارتكب هذه الأشياء الكفريات.

أول شيء بعد أن ذكر أدلة كثيرة ذكر من ضمن هذه حالة الردة. بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت طوائف، فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام، وقالوا لو كان نبيًا ما مات. وفرقة قالوا نؤمن بالله ولا نصلي، وطائفة أقروا بالإسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة. وطائفة شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولكن صدّقوا مسيلمة. يعني قالوا إن النبي

أشركه في النبوة، كان معهم دليل وأقاموا على ذلك شهودًا، يعني أتوا برجل كان قد آمن وقالوا إنه كان مع الرسول ﷺ ثم ارتد ويسمونه الرجّال، فصدقوه وقال لهم نعم إن محمدًا أشركه معه، يعني مسيلمة نبي مع الرسول ﷺ. والرجل هذا مجتهد في العبادة والعلم.

والرجّال هذا منتشر كثيرًا في أيامنا أيضًا، ستجد هؤلاء الرجّال ممن هو مشهور بالعبادة وبالعلم، هؤلاء ما أكثرهم الآن وهؤلاء مثل المداخلة والجاميين والجواميم وكل عبدة الطواغيت، وسنذكر بعض الأسماء منهم من باب جرح هؤلاء وعدم السماع ولا قراءة كتب هؤلاء والتحذير منها -إن شاء الله-.

فهؤلاء عندهم شبهة أيضًا، أن هناك من شهد لهم أن الرسول أشرك معه مسيلمة في النبوة والعياذ بالله.

وقوم من أهل اليمن من ضمن طوائف الردة أيضًا صدّقوا الأسود العنسي في دعوى النبوة. وقوم صدّقوا طليحة الأسدي.

ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا، ووجوب قتالهم إلا مانعي الزكاة. يعني كل هؤلاء كفروهم ولم يشكوا في كفرهم. الحالة الوحيدة التي حدث فيها جدل هي حالة مانعي الزكاة.

يعني طوائف الردة كلها ما كان عند الصحابة فيهم أي مشكلة، ولم يقولوا مثل هذه الأعذار البليدة، وهذه الاحتياطات البليدة المستفزة التي يقولونها: هل سألته؟ هل هو كان يجحد في قلبه؟ هل هو مستحل؟ هل هو كذا؟ الصحابة لم يسألوهم هذه الأسئلة التي اخترعها عبدة الطواغيت هؤلاء.

الحالة الوحيدة التي تناقش فيها الصحابة -رضوان الله عليهم- مع أبي بكر هي حالة مانعي الزكاة، قالوا لما عزم أبو بكر على قتالهم: كيف تقاتلهم وقد قال ﷺ: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها)؟. طبعًا الإمام محمد بن عبد الوهاب يختصر الحديث، والحديث في صحيحين.

سبحان الله هؤلاء أهل الإرجاء كما قلت يعلمون هذا الحديث، ويقرؤونه جيدًا، قالوا لا إله إلا الله، ما داموا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها. هذه المناقشة تمّت مع الصحابة وتمّت مع أبي بكر وانتهى الأمر وحدث الإجماع، لماذا تخالفون الإجماع؟! ويخالفون إجماع الأمة.

قال أبو بكر: "الزكاة من حق لا إله إلا الله، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه". ثم زالت الشبهة عن الصحابة، وعرفوا أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، وعرفوا وجوب قتالهم فقاتلهم ونصرهم الله عليهم، فقتلوا من قتلوا وسبوا نسائهم وعيالهم.

هؤلاء كانوا يؤدون الأركان الخمسة ما عدا الزكاة، يعني اشترطوا في مسألة الزكاة فقط ومعهم (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، يعني مؤمنون من الناحية هذه، ورغم ذلك كفّرهم وحكم عليهم بالردة وقاتلهم أبو بكر والصحابة وكان إجماعًا. إذًا كفّرهم على العمل مع أن عندهم (لا إله إلا الله).

إذًا هؤلاء يريدون أن يُخرجوا العمل من مسمى الإيمان فكفّرهم أبو بكر وحكم بردتهم وقاتلهم واستباح دورهم ونساءهم وأموالهم.

ولذلك يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "فتأمل هذه القصة التي جعلها الله من حججه على خلقه إلى يوم القيامة، فمن تأمل هذه تأملًا جيدًا خصوصًا إذا عرف أن الله شهرها على ألسنة العامة.

وأجمع العلماء على تصويب أبي بكر في ذلك، وجعلوا من أكبر فضائله وعلمه أنه لم يتوقف عن قتالهم أول وهلة، وعرفوا غزارة فهمه في استدلاله عليهم بالدليل الذي أُشكل عليهم، فردّ عليهم بدليلهم بعينه مع أن المسألة موضحة في القرآن والسنة". وهذا دليل على أفضلية أبي بكر وأنه أفقههم –رضي الله عنه– وأنه أعلمهم، ولا يوجد أحد يُقارن بأبي بكر الصديق وهو أمة في حد ذاته. وسيدنا أبو هريرة وغيره في كلامهم الجميل لولا أبو بكر في حربه المرتدين لانقرض الإسلام ولضاع الإسلام.

أما القرآن فقوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}. وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله). لاحظ هذا الخطاب، الله –سبحانه وتعالى– يقول: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} يعني لا ينفع أن يقول (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) ولا يجري الأحكام، لا بد من العمل.

الله أراد الإيمان وأراد العمل، كما قلت لكم في مناظرة الإمام أبي ثور مع المرجئة في مثل هذه الآيات.

فإذًا هذه الاستدلالات التي ذكرها أيضًا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ولكن هناك أكثر من ذلك هو استدلّ أيضًا بقصص في التاريخ، استدلّ مثلًا بقصة بني حنيفة، هذا ما يُسمى بدراسة ميدانية من الواقع التاريخي، هذه الدراسة الواقعية استقراء واقعي لحوادث واقعية في التاريخ حدثت في زمن الصحابة، يعني هو يرد عليهم: كيف فهم الصحابة القرآن والسنة وهم الذين تلقّوه، وكيف فهم التابعون الذين أخذوا هذه العلوم الشرعية عن الصحابة؟

بنو حنيفة هم أتباع مسيلمة الكذاب، وهؤلاء ارتدوا، لكن لما تمكَّن منهم وبقي منهم بقية من بقايا بني حنيفة رجعوا إلى الإسلام، وقالوا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتبرأوا من مسيلمة وأقرّوا بكذبه. واستعظموا ذنوبهم في أنفسهم، وذهبوا بأهليهم من أجل المرابطة ومن أجل الجهاد في سبيل الله لعلّ ذلك يمحو عنهم تلك الردة، لأن الله تعالى يقول: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}. فلا بد من العمل الصالح.

{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}. هذه الجماعة أسلمت وتابت عن الردة وبعد ذلك جاهدوا وأخذوا أُسرهم وجاهدوا إلى الثغور، ونزلوا بعد ذلك في الكوفة في العراق فصار لهم بها محلة معروفة من بني حنيفة، وفيها مسجد يُسمى مسجد بني حنيفة. فمرّ بعض المسلمين على مسجدهم وكانوا يجتمعون فيه ما بين المغرب والعشاء، فسمع كلامًا معناه أن مسيلمة على حق وهم جماعة كثيرون والذي كان يتكلم واحد يقول مسيلمة كان على الحق وكلهم كانوا جالسين في المسجد وعددهم كبير، ولم ينكر أحد من الجالسين على هذا القول، فنقل هذا الرجل فرفعوا أمرهم إلى عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–.

فجمع عبد الله بن مسعود من عنده من الصحابة –رضي الله عنهم– واستشارهم: هل يقتلهم وإن تابوا أو يستتيبهم؟ فأشار بعضهم بقتلهم من غير استتابة، وأشار بعضهم باستتابتهم، فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم ولم يستتبه، وقتل عالمهم ابن النوّاحة. كان هناك شيخ لهم وهو ابن النوّاحة هذا قتله معهم بمجرد رواية وردت إلى ابن مسعود أن أحد الناس شهد عليهم فجيء بهم ودهم مسجدهم واستنطقهم، استتاب منهم من استتاب وهناك من قتله بدون استتابة وقتل عالمهم ابن النوّاحة.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "تأمل رحمك الله، إذا كانوا قد أظهروا من الأعمال الصالحة الشاقة ما أظهروا، لما تبرأوا من الكفر وعادوا إلى الإسلام ولم يظهر منهم إلا كلمة أخفوها في مدح مسيلمة لكن سمعها بعض المسلمين ومع

هذا لم يتوقف أحد في كفرهم كلهم، المتكلم والحاضر الذي لم ينكر، لكن اختلفوا فقط هل تُقبل توبتهم أم لا". يعني بعد أن تمكنوا منهم هل تُقبل توبتهم أم لا. والقصة هذه موجودة في صحيح البخاري.

قال: "فأين هذا من كلام من يزعم أنه من العلماء ويقول عن البدو وما معهم من الإسلام شعرة؟"، يعني الذين كانوا في أيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هؤلاء ليس عندهم شعرة من الإسلام إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله، "أين هذا مما أجمع عليه الصحابة فيمن قال تلك الكلمة أو حضرها ولم ينكر". يعني هذه جماعة قالت كلمة ولم تنكر ورغم ذلك حكموا عليهم كلهم بالكفر. فما بالك بهؤلاء الذين لا يوجد عندهم الإسلام من شيء، عباد قبور، لا يصلون، لا يزكون، لا يصومون، يعاندون، معرضون، ورغم ذلك تقول إنه مسلم؟

وأيضًا استدلّ عليهم أيضًا بحادثة وقعت في زمن الخلفاء الراشدين من قصة أصحاب علي –رضي الله عنه– لما اعتقدوا فيه الإلهية أي السبأية الذين قالوا إنك إله، فهنا أمر سيدنا علي بإحراقهم. يقول: "فخدّ لهم الأخاديد وملأها حطبًا وأضرم فيها النار وقذفهم فيها وهم أحياء. ومعلوم أن الكافر مثل اليهودي والنصراني إذا أمر الله بقتله لا يجوز إحراقه بالنار".

لأن علي –رضي الله عنه– رأى أن هذه العقوبة تناسب هؤلاء الذين كانوا مسلمين. قال: "فاعلم أنهم أغلظ كفرًا من اليهود والنصارى، هذا وهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويقرأون القرآن، آخذين له من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما غَلَوا في علي أنكر الغلو، وحرّقهم بالنار وهم أحياء، وأجمع الصحابة والعلماء كلهم على كفرهم. فأين هذا ممن يقول في البدو تلك المقالة، مع اعترافه بهذه القصة وأمثالها واعترافه أن البدو كفروا بالإسلام كله إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله"، يقول هؤلاء جنوا على الإلهية، وأما هؤلاء الذين كانوا اعتدوا على جناية في النبوة والذين ادّعوا النبوة وشتموا حُرموا من هذا.

ولذلك يقول: "إن جناية هؤلاء على الإلهية ولا علمنا فيهم جناية على النبوة، والذين قبلهم جنايتهم على النبوة ولا علمنا لهم جناية على الإلهية، وهذا مما يبين لك شيئًا من معنى الشهادتين اللتين هما أصل الإسلام".

ثم ذكر شيخ الإسلام بعد ذلك قصة أخرى وهي قصة أحدثت أيضًا في زمن الصحابة والتابعين، وهي قصة المختار بن أبي عبيد الله الثقفي، هذا رجل من التابعين وقصته مشهورة. وأنا ذكرتها بالتفصيل عندما كنا نتكلم عن جماعة التوابين وأنه خدع جماعة من التوابين، في دراسة كبيرة اسمها (جماعة التوابين والرد عليها).

فهذا الرجل كان صالحًا في بدايته، وكان عالـمًا فقيهًا من أسرة مجاهدة، وهو من التابعين وكان مصاهرًا لعبد الله بن عمرو يعني متزوج إحدى بناته، ومظهرًا للصلاح، وظهر في العراق يطلب بدم الحسين وأهل بيته، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد الذي قتل الحسين –رضي الله عنه–، ولذلك الناس أحبوه ومالوا إليه، وقال إنه يطالب بدم أهل البيت ممن ظلمهم واستولى على العراق، وأظهر شعائر الإسلام ونصب القضاة والأئمة من أصحاب ابن مسعود، وكان هو الذي يصلي بالناس والجمعة، لكن في آخر أمره زعم أنه يُوحى إليه! نسأل الله السلامة.

فسيّر إليه عبد الله بن الزبير جيشًا فهجم جيشه وقتلوه، وأمير الجيش مصعب بن الزبير، فدعاهم مصعب إلى تكفيره. يعني الذي هزمهم سيدنا عبد الله بن الزبير في ذلك الوقت كان هو يُعتبر أمير المؤمنين في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وكان العالم الإسلامي مقسومًا إلى قسمين: قسم مع مروان بن الحكم وابنه عبد الله الملك بعد ذلك ابن مروان. وظلّ عبد الله بن الزبير على مكة والمدينة ومصر ومعظم بلاد الشام والحرمين واليمن، كل هذه البلاد إلى حدود بلاد السند كل هذه الأماكن يدعون له بأمير المؤمنين، ولم تكن إلا بقعة من الأرض فقط في دمشق والأردن، ثم بعد ذلك حدثت القصة الشهيرة لما قُتل عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه– وأُخذ ملكه وهُزم نتيجة أشياء كثيرة جدًا. لكن الشاهد هنا أنه كان أميرًا للمؤمنين لمدة تسع سنوات.

فهو أرسل جيشًا بقيادة أخيه وقتل المختار الثقفي وتم القبض على امرأته وهي ابنة أحد الصحابة، فدعاها مصعب إلى تكفيره فأبت. قال لها إن هذا كافر، اشهدي أنه كافر، فأبت ورفضت أن تكفّر زوجها الذي قُتل هذا، فكتب إلى أخيه عبد الله يستفتيه فيها، فكتب إليه: إن لم تبرأ منه فاقتلها، فامتنعت فقتلها مصعب.

قال: "وأجمع العلماء كلهم على كفر المختار مع إقامته شعائر الإسلام لما جنى على النبوة. فإذا كان الصحابة قتلوا المرأة التي هي من بنات الصحابة لما امتنعت من تكفيره فكيف بمن لم يكفر البدو –يعني الذين كانوا في عهد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب– مع إقراره بحالهم؟ فكيف بمن زعم أنهم أهل إسلام، ومن دعاهم إلى الإسلام أنه هو الكافر؟".

الدليل الخامس أيضًا الذي استدل به من قصة وقعت في زمن التابعين قصة الجعد بن درهم، وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة. لاحظوا هو يستدل على الناحية العملية أن هؤلاء كانوا علماء وأنهم أهل علم ورغم ذلك كفّروهم ولم

يكتفوا بأنهم قالوا لا إله إلا الله محمدًا رسول الله أنها تنجيهم، بل قالوا إنهم كفار، وبالعكس طلبوا الناس تتبرأ منهم. واحد يطلب من زوجته أن تتبرأ منه وتقول إنه كافر، وقتلوها من أجل ذلك.

الدليل الخامس: "ما وقع في زمن التابعين وهي قصة الجعد بن درهم، وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة فلما جحد شيئًا من صفات الله -عزَّ وجلَّ- مع كونها مقالة خفيَّة عند الأكثر، ضحّى به خالد القسري وكان أمير العراق في ذلك الوقت يوم عيد الأضحى، فقال: أيها الناس، ضحّوا تقبل الله منكم ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا، ثم نزل فذبحه. ولم نعلم أحدًا من العلماء أنكر ذلك، بل إن ابن القيم في نونيته مدح هذا الفعل واستحسنه".

الدليل أيضًا من القصص التي استدلّ بها من القصص الواقعية في تاريخ الإسلام والمسلمين وكيف كان العلماء والمشايخ وأهل الإسلام يطبقُّون هذه الأحاديث، ومسألة إخراج الأعمال من مسمى الإيمان ومن الناحية التطبيقية أن الإنسان الذي يقول كفرًا أو مهما كان مما عنده من لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنها لا تكفيه ويُحكم عليه بكفره. قصة بني عبيد القدّاح الذين يُطلق عليهم الفاطميون أو العُبيديون: "فإنهم ظهروا على رأس المائة الثالثة فادعى عبيد الله أنه من آل علي من ذرية فاطمة وتزيّا بزيّ الطاعة والجهاد في سبيل الله، فتبعه أقوام من أهل المغرب وصار له دولة كبيرة في المغرب ولأولاده من بعده.

ثم ملكوا مصر والشام وأظهروا شعائر الإسلام، وأظهروا شرائع الإسلام وإقامة الجمعة والجماعة ونصّبوا القضاة والمفتين، لكن أظهروا أشياء من الشرك ومخالفة الشرع وظهر منهم ما يدل على نفاقهم، فأجمع أهل العلم على أنهم كفار، وأن دارهم دار حرب". هذا ردّ على الزحيلي، ورد على القرضاوي، ورد على الريسوني، ورد على هذه المدارس المنهزمة المنسحقة، والجديع الذي يقول تقسيم المعمورة تقسيم بدعي ولا أحد يعلم ذلك!. طبعًا هذه مسألة أخرى، أنا حاولت فقط لفت الانتباه، لأنهم لا يقولون أن هناك شيئًا اسمه دار إسلام ودار كفر، والدار دار واحدة في العالم ولا توجد هذه التقسيمات وكلها بدعية، كل هذا من أجل الانهزام.

ألّف لهم الزحيلي كتابه في حكم أهل الحرب، وطبعًا صاروا على نفس هذه المنظومة المنسحقة المنهزمة وقال هناك دار واحدة، كل هذا ليُرضوا الأمم المتحدة وليُرضوا الغرب ويُرضوا كل هذه الملل والنحل، ولكنهم لا يُرضون الله -سبحانه

وتعالى-. هم لا يخشون الله، يخشون الأمم المتحدة. ولذلك قالوا الدار دار واحدة، من قال لك إن الدار دار واحدة؟ إذا كان أهل مصر حكم عليهم العلماء في وقتهم أن دارهم دار كفر وحرب مع إظهارهم شعائر الإسلام وشرائعه.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "فأجمع أهل العلم على أنهم كفار، وأن دارهم دار حرب، مع إظهارهم شعائر الإسلام وشرائعه وفي مصر من العلماء والعباد ناس كثير وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوه، ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا". يعني أجمعوا على أن بني عبيد الحكام هم كفار خارجون عن الملة وأن دارهم دار حرب. إذًا العبرة بالغلبة للأحكام وليس معناها أن الشعب كافر. لأنه يقول فيها من العلماء والعباد وأكثر الناس لم يدخلوا معهم ولكن حكموا بغلبة الأحكام.

قال: "ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا. حتى إن بعض أكابر العلماء المعروفين بالصلاح قال: لو أن معي عشرة أسهم لرميت بواحد النصارى المحاربين ورميت بالتسعة في بني عبيد".

إذًا قصة بني عبيد كانوا يعملون ويقيمون القضاة ويحكمون بأشياء كثيرة في الشريعة، ورغم ذلك حكموا عليهم بالكفر والردة. فما بالك بأيامنا هذه؟! تحكم على حكومة الدول الحالية: حسني مبارك الذي هلك هذا وجاء العسكر من بعده ورثوه، وهؤلاء الذين يحكمون العالم الإسلامي في المغرب وفي الجزائر وفي تونس وليبيا. كل هذا العالم الإسلامي، حتى آل سعود الذين لا يحكمون أصلًا بالشرع ويقسّمون الدين، هؤلاء الذين يتلاعبون، كيف هذا مع هؤلاء؟! بالعكس، أنت لو قارنت بني عبيد مع آل سعود حتى فتجد أنهم كانوا أكثر تدينًا منهم، وأكثر احترامًا للدين منهم.

هؤلاء الذين في أيامنا قارن بينهم وبين بني عبيد، قارن بين الذين يحكمون مصر الآن بالقوانين الوضعية وهذه الأحكام التي ما أنزل الله بها من سلطان ومحاربة الإسلام والاستهزاء به، حرب منظمة بحماية عصابات مسلحة تُسمى الجيش والشرطة والمخابرات، أجهزة تقوم برعاية هذا الصنم الجديد القوانين الوضعية والدستور الوضعي الذي ما أنزل الله به من سلطان، وجعلوا الإسلام غرضًا للنيل منه والاستهزاء منه والسخرية منه ولتحجيمه ولقوقعته ولتقزيمه، وتقارن بينهم، بالعكس بنو عبيد كانوا أفضل منهم في هذه الحالة، كانوا يحكمون بالشريعة التي يعتقدونها هم وكانوا يتركون بعض المذاهب على الأقل أنها تحكم بالشافعية والأحناف والمالكية في بعض الأحيان.

أما هؤلاء فلا يوجد، بل مستوردين قوانين من فرنسا ومن أمريكا ومن أوروبا ومن الغرب والشرق، ورغم ذلك يقول إنهم مهما عملوا فإن أحكامهم كفر دون كفر، وإن الكفر العملي عبارة عن كفر أصغر، وأنك حتى لو تحسبه أنه كفر

أكبر فإنه طالما عنده (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإنها تنجيه من جهنم!. يعني أي حاكم يبشر، نبشر زين العابدين، ونبشر حسني مبارك، ونبشر الجنرالات في الجزائر، كل هؤلاء نبشرهم أنهم معفيون الآن بحكم المرجئة المعاصرين الجدد وبحكم غلاة المرجئة القدامى وهؤلاء. هؤلاء المرجئة الجدد حتى هؤلاء مثل الغلاة أيضًا.

ولذلك شيخ الإسلام يذكر قصة في زمن السلطان نور الدين محمود بن زنكي، أرسل إلى أهل مصر جيشًا عظيمًا فأخذوا مصر من أيدي العبيديين ولم يتركوا جهادهم لأجل من فيها من الصالحين. يعني لم يقولوا كيف ندخلها وفيها الصالحون، وهناك مدنيون، وهناك نساء وشيوخ وتحدث فتنة، وهذا قتال فتنة كما يحدث في العراق وغيره! الرجل أرسل جيشًا ليغزوهم.

ونور الدين زنكي عندما أرسل هذا الجيش بقيادة أسد الدين شركوه وصلاح الدين الأيوبي وهؤلاء الذين ذهبوا إلى مصر ليجاهدوا من؟ هناك بعض النساء ستُقتل وهناك أشياخ وحرب ضروس بين الطرفين، وعندما حرقوا الفسطاط، وظلت أكثر من ستين يومًا والنار مشتعلة فيها، وأمم من البشر قُتلوا وماتوا. ولما دخل هذا الجيش نعم اشتبكوا معهم، وجهادهم. لم يقل إن فيها صالحين ولذلك نتركهم حتى لا يقع مدنيون!. فلما فتحها السلطان فرح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا، وصنّف ابن الجوزي كتابًا في ذلك سماه: (النصر على مصر). يقصد حكام مصر.

وأكثر العلماء في التصنيفات من هذا الكلام في كفرهم، صنّفوا قديمًا مع ذكرنا من شرائع الإسلام الظاهرة. يعني هم كانوا يُظهرون شرائع الإسلام ورغم ذلك كفّرهم العلماء قديمًا وفرحوا بزوال دولتهم على أيدي صلاح الدين الأيوبي بقيادة نور الدين زنكي -رحمة الله عليه-.

والقصة الأخيرة وهي قصة التتار. يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "وذلك أنهم لما فعلوا بالمسلمين ما فعلوا وسكنوا بلدان المسلمين وعرفوا دين الإسلام واستحسنوه وأسلموا لكن لم يعلموا بما يجب عليهم وأظهروا أشياء من الخروج على الشريعة لكن يتكلمون بالشهادتين ويصلّون"، ليسوا كالبدو، البدو في أيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما كانوا يصلون أصلًا، وكانوا يعبدون حجارة وأشياء أخرى، يعني التتار كانوا أفضل منهم. "ومع هذا كفّرهم العلماء وقاتلوهم وغزوهم حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين".

يعني حتى التتار هؤلاء كانوا يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويصلون ولكن هم كانوا يلتزمون بتشريعات قوانين جنكيز خان المسمى بالياسق. ولذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية تصدّى للردّ على هذه الشبهة التي أثارها

هؤلاء أتباع ابن عربي والصوفية وبعض المنتفعين من أهل التصوف والعمالة والخيانة في ذلك الوقت، والذين كانوا يتحالفون مع التتار. فكل هؤلاء ردّ عليهم ابن تيمية –رحمة الله عليه–، وقال لهم: لو رأيتموني في جيشهم وعلى رأسي المصحف فاقتلوني. ابن تيمية كان يقاتل التتار الذين أسلموا وليس التتار الذين لم يسلموا الأوائل، نحن نتكلم عن فترة التتار الذين أسلموا على قازان وغيره والذين جاؤوا من بعده.

فإذًا كل هذا رد على هؤلاء المنتكسين عبّاد الطواغيت وعبّاد الحكام، الذين يزيّنون لهؤلاء الحكام هذه الشبهات ويؤلّفون كتبًا، وهذه الكتب كان يُنفق عليها من أجندة الاستخبارات، سواء من مخابرات آل سعود أو في مصر أو في غيرها من الدول، كتب في الاستغراق في العذر في الجهل، بحيث أن العذر بالجهل صار كأنه كل شيء في الدين، رغم أن الواقع لا توجد هذه القضية، ولها تفصيلات أخرى لا أحب أن أذكرها، ولكن الشاهد أنهم ألّفوا كتبًا كلها تصبّ في مصلحة الحكام.

ولذلك فهم أجهزة الاستخبارات وأعين هؤلاء الحكام فحوى دعوى هؤلاء، ولذلك مدّوهم وتعاونوا معهم، كربيع المدخلي وأتباعه وتلامذته. وانظر حتى هؤلاء الذين ألّفوا كتبًا فيما يُسمى بضوابط التكفير وغير ذلك. هذه رسالة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية وما يُسمى هيئة كبار العلماء، هذه اللجنة مشكلة من الدولة التي يدافعون عنها. يعني هم ملكيون أكثر من الملك نفسه! هؤلاء وصل بهم الانحراف والغلوّ بطريقة فظيعة جدًا لدرجة أن هذه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بأرض الحرمين هذه نشرت رسالة للتحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه، ورسالة مطبوعة وموجودة ممكن تبحثوا عنها في الإنترنت تجدوها، الرسالة كانت للرد على هؤلاء المخرّفين عبدة الطواغيت الذين هم شرار الخلق. مثل هذا مراد شكري الذي كتب رسالة في كتابه (إحكام التقرير في أحكام التكفير).

وكتاب أيضًا (ضبط الضوابط) لواحد اسمه أحمد الزهراني، وأيضًا كتاب (الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير) لهذا المرجئ خالد العنبري. وأيضًا كتاب (حقيقة الإيمان بين غلوّ الخوارج وتفريط المرجئة) لواحد مرجئ من المرجئة. يعني فعلًا تكاثر المرجئون علينا!.

فهؤلاء عدنان عبد القادر، وأيضًا في كتاب (التحذير من فتنة التكفير) لشيخ بدع الإرجاء ومن أكذب خلق الله في أيامنا المعاصرة هذا الرجل الخبيث المسمى بحسن عبد الحميد. وأيضًا فيه كتاب (هزيمة الفكر التكفيري) لخالد العنبري أيضًا فله كتابان في ذلك.

وهيئة كبار العلماء فضحوا هؤلاء وحذّروا من كتبهم وقالوا إنهم غلاة وإنهم قد كذبوا على شيخ الإسلام ابن تيمية. يعني عبارة عن لصوص وأدعياء وكذبة ومفترين. وهذه المجموعة تعيش في الأردن وبعضها كان في سوريا وبعضهم في المملكة (دولة آل سعود). وطبعًا هم يتناسلون ويتكاثرون فكريًا كتناسل الذباب، فتجد مثلًا سعيد رسلان في مصر عنده عقدة من سيد قطب –رحمة الله عليه– شهيد الإسلام، وعندك أيضًا الحجّوري اليمني هذا الذي يستغيث ويولول كالنساء هناك والحوثيون يحاصرونه، وهؤلاء عبّاد علي عبد الله صالح، وواحد خبيث أيضًا مرجئ الفكّوسي هذا في الجزائر، وأيضًا ما يُسمى طلعت زهران هذا في مصر وغيرها. هناك أسماء كثيرة تشابهوا علينا من كثرتهم.

ولذلك سألني بعض الإخوة أن في تونس الآن كتب سعيد رسلان وبعض المرجئة هؤلاء وربيع المدخلي وغير ذلك، هذه الكتب توضع في بعض المساجد وغيرها، هذه الكتب يجب إخراجها من هذه المساجد، ستؤدي إلى فتنة. لأنهم يخلطون حقًا بباطل، والعوام والشباب الصغار لا يستطيعوا أن يميزوا بين الحق والباطل، وهؤلاء كذبة ثبت عليهم الكذب، وثبت على شيخهم ربيع المدخلي الكذب والافتراء. يعني هؤلاء مفترون، كذابون، لاحسو أحذية الطواغيت. فهؤلاء هم الذين يركّزون دائمًا على قضية إخراج الأعمال من مسمى الإيمان.

لاحظوا القدماء حتى من الأشاعرة القدماء وحتى من الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان كانت عندهم مروءات، وكانوا يجاهدون وكان عندهم من الخير الكثير. وحتى هم الذين ألّفوا هذه الكتب كما قلت لكم في الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه (الإعلام بقواطع الإسلام).

نعرض لكم نموذجًا مما قاله ابن بدر الرشيد في كتابه (ألفاظ الكفر)، وهو أحد العلماء متوفى سنة ٨٦٠هـ، جمع الرجل أشياء أنت تتعجب، يقول: من أنكر آية من كتاب الله تعالى، من استخفّ بالقرآن أو بالمسجد أو بنحوه مما يُعظم في الشرع كفر. ومن وضع رجله على المصحف حالفًا استخفافًا كفر، أو أنكر آية من آيات كتاب الله تعالى كفر، أو أبى شيئًا من القرآن أو أنكر المعوّذتين في القرآن غير مؤولين كفر. ومن جحد سورة كفر.

أشياء كثيرة جدًا قولية وعملية وأشياء لم يقل فيها مثلًا هؤلاء هو كان يقصد الكفر أو لا، يعني وضع رجله على المصحف هل كان يعتقد في قلبه، أو هو يعتقد، أو هو مستحل، أو غير مستحل؟ وهذا كما قاله أحد العلماء رسالة في (ألفاظ الكفر) وهو تاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد بن عبد العزيز، هذا في كتابه نصّ وجمّع وبوّب أشياء كثيرة جدًا.

واحد يقول لو كان فلانًا نبيًا لما آمنت به قال: يكفر، لو قال: لو صارت القبلة إلى هذه الجهة لن أصلي إليها، يكفر. وهو اختيار الإمام برهان الأئمة. ولو قال واحد: أنا أتمنى أن أكون كافرًا، أو يتمنى أن يتزوج امرأة يقول أتمنى أن أكفر حتى أتزوج هذه المرأة قال يكفر. يعني لو واحد نوى الكفر في الحال يعني يقول أتمنى بعد عشر سنين أكفر حتى أتزوج من فلانة أو يعمل أي شيء يكفر في الحال، يعني لا ننتظر ويصير مسلمًا إلى العشر سنوات ثم نرى هل يكفر أو لا يكفر! بل هو يكفر في الحال بمجرد النية.

هذه مسائل جمعوها، أقوال وأفعال وأعمال جمّعها العلماء واهتموا بها، التي تُخرج الإنسان الذي يقول (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) من الإسلام ويصير مرتدًا. واقرؤوا كتب الفقه ستجدون في كتاب (المغني) لابن قدامة في المجلد السابع أو الثامن أنه صنّف في كتاب الردة هذه الأقوال والألفاظ، والعلماء حتى الأحناف والشوافع وكل هؤلاء الأئمة والمالكية كانوا يتشددون جدًا، وعندهم في أبواب الردة كلام في منتهى الخطورة ولكن للأسف لا يُدرّس ولا يُهتم به.

ولذلك وضع هؤلاء هذه العقبات وهذه الشبهات، فلو أن شابًا أو أي أحد ذهب إلى الكتب التي تتكلم عن الردة وألفاظ الردة وكيف يخرج الإنسان من الإسلام لوضعوا هذه الشروط التي ما أنزل الله بها من سلطان، مثل شروط الجحود والاستحلال القلبي، وأن الكفر لا يكون إلا بكفر القلب فقط وليس هناك الكفر العملي وأن الذي يكفر بالعمل هذا هو عبارة عن كفر دون كفر وهو كفر أصغر، وأنه لو مات الإنسان وارتكب هذه الكفريات أيضًا فإنه يكون مؤمنًا لأن العمل ليس شرطًا من شروط الإيمان بل إنه شرط كمال وليس شرط صحة ولا حتى ركنًا من الأركان.

• نواقض الإسلام

بالنسبة لنواقض الإسلام التي ذكرناها قلت لكم راجعوها في الكتب التي ذكرتها من قبل، ولكن حتى أختم بها –إن شاء الله–، هذه النواقض التي ذكرها الشيخ ابن عبد الوهاب في (الدرر السنية) سأقولها على عجالة، وهي تبين لك، ناقض يعني هادم. تقول نقض البيت يعني هدّه وهدمه، فناقض الإسلام هو ناقض الإيمان، يعني لا ينفعك ذلك كأن لم تكن، صرت شيئًا آخر، حكمه في الشرع معدوم.

وهذه النواقض ليست عشرة بالمعنى، يعني هذا اجتهاد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمة الله عليه– وعلماء الدعوة النجدية. هو اجتهد في حصرها في عشر، وربما النواقض تكون ثلاثمائة، فهي نواقض كثيرة جدًا. وإلا فاقرؤوا كلام ابن حجر الهيتمي عندما تكلم في (قواطع الإسلام) نواقض كثيرة جدًا، وكتب هؤلاء التي ذكرتها لكم في ألفاظ الكفر، والذين جمعوا واعتنوا بهذه الأشياء ستجدون أشياء ونواقض حتى لم يذكرها الشيخ محمد عبد الوهاب. لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكر –رحمه الله– هذه الأساسيات، يعني الكبيرة المعروفة جمعها، لكن ليس معناها أنها محصورة. فلا أحد يظن أنها محصورة في العشرة، ولكن هو حصرها لكي يهتم الناس بها.

لكن لاحظوا هذه شروط (لا إله إلا الله) ونواقض (لا إله إلا الله) صدقوني لو طبقتموها على آل سعود الذين يزعمون الدين ستجدون أن هذه النواقض قد تلبَّسوا بها، وكل هذه الحكومات التي في العالم تجدهم قد تلبسوا بها.

هذه النواقض لا أحد يقول إنها بدع من القول. هذه النواقض هي عبارة عن تلخيصات واستدلالات من القرآن والسنة والأحاديث ولذلك شرحها العلماء.

أقول النواقض بدون شرح، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

"اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]، ومن ذلك دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعا.

الثالث: من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر".

المشركون هنا قد يكون معناها الكافر الأصلي، مثل اليهود والنصارى. يعني لما يقول أنا لا أعلم هل هم مسلمون أم لا، هذا يكفر في الحال، ويحتاج أن يغتسل ويشهد الشهادتين من جديد.

مثل هذا الرجل الذي قال: الأنبا يوحنا أو الأنبا فلان أبوه كان -رحمه الله -صديقًا لي. هذا يكفر في الحال، لأن {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} هو يعلم أنه لن يُقبل منه، ويعلم أن هذه ألفاظ شرعية، وهو عالم وليس عاميًا حتى، وهذه من الأشياء المعلومة من الدين من الضرورة حتى العوام لا يُعذرون فيها فما بالك بالعلماء!.

إذًا من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم، لكن لو اختُلف في كفر أحدهم، واحد مسلم كفّر إنسانًا والآخر لم يكفرّه، هل نكفّره؟! لا، هذه (من لم يكفر الكافر فهو كافر) لا تؤخذ على إطلاقها وتُقيد. مثلًا واحد أنت حكمت عليه بالردة وعالم آخر لم يحكم عليه بالردة، نقول لأنه لم يكفرّ الذي كفّرته فهو يكفر؟! لا، هذا خطأ، والكلام لا يؤخذ على إطلاقه. وهذا الكلام هو في الكفار الأصليين أو في الذين شاع عنهم أنهم مشركون وحكم عليهم جمع كبير من العلماء أو بإجماع من العلماء أنهم مشركون، كعبّاد القبور الذين قالوا إن هؤلاء مشركون، ففي هذه الحالة التي استفاض فيها البيان، والعلماء قالوا إنهم مشركون.

أو واحد استهزأ بالإسلام أمامك، واحد استهزأ بالرسول، وأنت تقول لا أنا متوقف لا أكفّره، فأنت تكفُر في هذه الحالة. كيف لا تكفّر رجلًا قد كفر؟ إذا كان المرأة لأنها لم تكفّر زوجها المختار الثقفي وهي كانت ابنة عبد الله بن عمرو، ورغم ذلك استتابها عبد الله بن الزبير وقال لأخيه اقتلها إن لم تتبرأ منه! فما بالك بواحد يستهزئ بالرسول ويستهزئ بالإسلام؟!.

وهؤلاء النصارى الذين يستهزئون في مصر، وهؤلاء الذين يُسمون بالعلمانيين يستهزئون ليل نهار ويسخرون من الإسلام، بل إنهم يسخرون من الرسول ويسخرون من هذا القرآن وتقول لي أنا أتوقف في كفره؟!

مرة أحد العلماء عندما قال أحد الناس كلمة في منتهى الكفر وصرّح بالكفر فقال: هم عندهم قلة أدب! أنا أول مرة أعرف أن هناك حكمًا شرعيًا اسمه قلة الأدب! يعني الرجل كفر، الرجل يطعن في الإسلام، الرجل يغمز ويلمز، الرجل يصرّح، تقول لي قلة أدب؟! هذا عبث بالدين! الذي يرى هذا ويسمع في هذا الموطن ولا يكفّره يكفر هنا.

وابن مسعود كفّر حتى الذين استمعوا ولم ينكروا من بقايا بني حنيفة، حكم عليهم كلهم المتكلم بالمحاضر بالمستمع.

"**الرابع**: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر".

مثل الذين يقولون إن القوانين الوضعية هذه أفضل وهي أصلح من القرآن الكريم وأصلح من السنة وأصلح من الحكم بالشريعة الإسلامية، وهي أوفق لنا وأصلح، أو إنها مساوية! الذي يقول إن هذه الدساتير والتشريعات أهدى سبيلًا وأحسن وهي التي تراعي مصالح الناس، هذا يكفر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة. وهذا هو الذي في كل هذه الحكومات. كل هذه الحكومات هي تقول هكذا هذه القوانين هي أصلح لمجتمعاتنا، هذه الشريعة لا تصلح الآن، الشريعة ستعمل لنا فتنة، الشريعة ستكون مشكلة، هناك أقلّيات، و... الخ.

"**الخامس**: من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر؛ لقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٩]".

حتى في كتاب (ألفاظ التكفير) يقول: من قال جاءنا الضيف الثقيل ويقصد رمضان يكفر. تخيلوا ألفاظ مثل هذه!

والعلماء اعتنوا بهذه الألفاظ لأنهم وجدوا أن الناس صارت تفرّط، فحذّروهم وجمعوا لهم مثل هذه الألفاظ.

"**السادس**: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: ٦٥ - ٦٦]".

وهذه ما أكثرها! القنوات الفضائية والمحطات الفضائية والسخرية من الإسلام، واستضافة هؤلاء النفايات البشرية التي تُسمى بالعلمانية والماركسية واليسارية هؤلاء يسخرون ليل نهار من الإسلام والمسلمين، ويستهزئون بآيات القرآن ويستهزئون بالهدي الظاهر للمسلمين. هذا ناقض من النواقض، هذا ينطبق عليهم هؤلاء. من استهزأ بشيء! مجرد شيء وليس كل الدين.

"**السابع**: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [البقرة: ١٠٢]".

هذه مسألة السحر تحتاج إلى توضيح كبير، وهناك من وضّحها في شروحاتهم.

"**الثامن**: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١]."

وهذا ناقض مهم جدًا في نواقض الإسلام. وهو ما يُسمى بالولاء والبراء. هذه الحكومات التي توالي أعداء الله وتتبرأ من الموحّدين وتتبرأ من المسلمين وتتبرأ من المؤمنين هذا ينطبق عليها، هذا ينطبق على الأفراد والجماعات وكله. هذا ما يُسمى مظاهرة المشركين.

"**التاسع**: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر؛ لقوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}."

مثل الصوفية والغلاة، يقول لك نحن اكتفينا ووصلنا إلى مرحلة الوجد والتأمل.

"**العاشر**: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢]."

هذه هي النواقض، ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا. فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم".

هذه هي النواقض. وتجدونها في بعض الكتب وعلماء الدعوة النجدية، وهناك في أرض الحرمين تجد هناك شروحات كثيرة جدًا، فالعلم متوفر فيها والحمدلله.

وأعتقد أنني قد اختصرت أو حاولت بقدر الإمكان أن أبسّط، رغم أني قد أطلت عليكم. هناك بعض الأمور قد تنفلت مني نتيجة ضغط الوقت، وهناك بعض العبارات قد تكون هنا أو تسقط هنا أو هناك فلاحظوا أنه درس يتعلق في مسألة في منتهى الغاية وفيما يترتب عليه كفر وإيمان، ولذلك فإننا نحاول أن نقدم لكم تبسيطًا لعقيدة السلف الصالح وعقيدة أهل السنة والجماعة طاهرة نقية من هذه الشوائب البدعية.

فنسأل الله –سبحانه وتعالى– أن ينفع بها، ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتغمّدنا برحمته، وأن يجعل كلامنا خلاصًا لوجهه الكريم.

وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن تنتفعوا بهذه الدورة، وأن يجعلها الله -سبحانه وتعالى- في ميزان حسناتنا نحن وإياكم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الدرس الحادي عشر والأخير

• تقرير مذهب السلف في الإيمان

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الإخوة المكرمون، ها نحن أولاء مع اليوم التاسع والعشرين من شهر محرم لسنة ١٤٣٣ من الهجرة النبوية المباركة. ونحن اليوم –إن شاء الله– سنختتم هذه الدورة الشرعية بعنوان (مسائل في الإيمان)، وهذا هو الدرس الحادي عشر والأخير من هذه الدورة.

اليوم –إن شاء الله– سنتكلم عن تقرير مذهب السلف في الإيمان. ولن نتكلم عن الفرق الأخرى، لأننا ناقشناها في الدروس العشر السابقة بالتفصيل.

فاليوم سنتكلم فقط عن الخلاصة أو صفوة مذهب السلف في مسائل الإيمان، وما ينبغي على المسلم أن يعلمه ويتعلمه من هذه المسائل.

ففي البداية نتكلم عن التقرير الأول وهو: تعريف الإيمان.

سنتكلم عن تعريف الإيمان، وسنتكلم أيضًا عن المسائل المتعلقة بهذا التعريف وعن تقرير مذهب السلف في هل الإيمان يزيد وينقص، وعن حكم مرتكب الكبيرة وعن الاستثناء في الإيمان وعن المسائل الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع وهي مسألة العلاقة بين الإيمان والإسلام ونتكلم أيضًا عن مراتب الدين كما جاء في حديث جبريل ونتكلم عن قضية نختمها في مسألة الكفر العملي وكفر الاعتقاد وأقسام الكفر الأكبر هذه -إن شاء الله- نتكلم فيها باختصار في نهاية هذه المحاضرة -بإذن الله تعالى-.

وقلنا لكم في المحاضرات السابقة إن السلف يعرّفون الإيمان بأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، هذا هو المشهور باختصار، وإن كانت عبارات السلف قد تنوّعت، وقرأت لكم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عندما تكلم عن تنوّع عبارات السلف قديمًا في تعريف الإيمان، فهم تارة يقولون قول وعمل، وقول وعمل ونية، وقول وعمل واتباع السنة، وقول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

ثم فسّرها شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال: "إن من قال من السلف الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يُفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال قول وعمل ونية قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يُفهم منه النية فزاد ذلك.

ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط فقالوا بل هو قول وعمل". والذين جعلوه أربعة بيّنوا مرادهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "عندما سُئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سنة فهو بدعة".

هذه عبارات السلف في هذه المسألة في موضوع تعريف الإيمان وتنوّع عباراتهم في ذلك.

وقلنا قد يقول قائل: ما المقصود بقول القلب؟ لما نقول قول القلب وعمل القلب فما المقصود بذلك؟ قول القلب هو تصديقه وعلمه. وعمل القلب كما قلنا هو الرجاء، هو الخوف، هو الحب، هو البغض، كل هذا اسمه عمل القلب. الخشية، الرجاء، الوجل، الحب، البغض، كل هذا اسمه عمل القلب، أما قول القلب هو تصديقه وعلمه.

قول اللسان معروف، هو الشهادة، يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله). وقول اللسان يزيد، وينطبق عليه الذكر، وقراءة القرآن، والتهليل والتسبيح، كل هذا اسمه قول اللسان.

أما عمل الجوارح فهو ظاهر وهي الأعمال الظاهرة، وهي الصلاة، والصيام، والحج، والذبح، والنذر، والدعاء، كل هذا اسمه الأعمال الظاهرة وهي أعمال الجوارح.

إذًا الإيمان يتكون من ظاهر وباطن. الظاهر يشمل قول اللسان وعمل الجوارح، وأما الباطن فيشمل قول القلب وعمل القلب. إذًا الظاهر هو قول اللسان وعمل الجوارح، أما الباطن فيشمل قول القلب وعمل القلب.

ولذلك قلنا ونذكّر كما قال الحافظ الإمام الآجري عندما قال: "الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح".

وقال أيضًا: "ثم اعلموا أنه لا تُجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح. فإذا كملت فيه هذه الثلاث خصال كان مؤمنًا".

ثم قلنا لكم إن الأئمة كالإمام ابن سلّام والإمام الآجري وابن منده وابن أبي شيبة والإمام القاضي أبو يعلى وكل هؤلاء استدلوا من القرآن والسنة، وذكر الإمام الآجري ستة وخمسين موضعًا فيه أن الإيمان مرتبط بالأعمال في القرآن الكريم، وذكروا أشياء كثيرة تدل على أن الإيمان لا ينفك وأنه ركن ركين من الإيمان.

وقلنا أيضًا إن هذا من تقريرات مذهب السلف؛ أن **العمل ركن من أركان الإيمان**. وحتى على رأي من يقول إن الإيمان شرط صحة فلا مشاحة في هذا. شرط صحة أي يترتب عليها أن الذي لا يقوم بذلك فهو لا يكون مؤمنًا.

ولذلك قال الإمام الآجري كأنه يتحدّى من يُخرجون الأعمال من الإيمان: "واعلموا -رحمنا الله تعالى وإياكم- أني قد تصفحّت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعًا من كتاب الله -عزَّ وجلَّ- أن الله -تبارك وتعالى- لم

يُدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم وبما وفقهم له من الإيمان به والعمل الصالح. وهذا رد على من قال الإيمان هو المعرفة، ورد من قال الإيمان المعرفة والقول وإن لم يعمل، نعوذ بالله من قائل هذا".

ثم استشهد بآيات كثيرة: {فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}. وقال -عزَّ وجلَّ- في سورة النساء: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}. وآيات كثيرة جدًا ذكرها الآجري وغيره وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية بالتفصيل أيضًا في كتابيه (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط) في رده على المرجئة وعلى هذه الفرق الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان.

إذًا هذا هو التقرير الأساسي في التعريف. هذا ما ينبغي على طالب العلم وعلى أي مسلم مكلَّف أن يعلمه، أن الأعمال لا تنفكّ عن مسمى الإيمان، وأن الذي يترك جنس العمل يعني لا يصلي، لا يصوم، لا يزكي، كما ناقشناها من قبل، فهذا لا يُقال عنه مؤمن. يعني يقول إنه قال بلسانه (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وقلبه قد أقرّ بذلك ولم يعمل شيئًا ومات على ذلك فهو ليس بمؤمن وهو عند تعريف علماء السلف أنه كافر لأنه لا بد من الأركان الثلاثة مجتمعة.

وأنا أحكي باختصار وقد تكلمنا من قبل عن هذه المسائل.

ومن هذه المسائل أيضًا التي قرّرها علماء السلف وهذه من اعتقاد مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان وهو

حكم مرتكب الكبيرة:

بالنسبة لعلماء السلف تكلموا عن حكم مرتكب الكبيرة وقالوا هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. وإذا مات ولم يتب فإنه تحت المشيئة. فالله -سبحانه وتعالى- إذا شاء عذّبه وأدخله النار ولكنه لا يخلد فيها، وإن شاء عفا عنه ولم يدخله النار وأدخله الجنة. هو يستوجب العذاب والعقوبة ولكنه لا يُخلَّد في النار، وهو تحت مشيئة الله تعالى.

إذًا حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة في الدنيا أنه مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. ولا يخرج من الإيمان إلى الكفر، بل يقولون إن صاحب الكبيرة خرج من الإيمان إلى الإسلام، أما في الآخرة فهو في مشيئة الله -عزَّ وجلَّ- إن

شاء عذّبه وإن شاء غفر له، وهذا الكلام ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (الإيمان) في مسألة مرتكب الكبيرة. هو ينتقل إلى موضوع الإسلام في التكاليف العامة، في شهود الجنازة، في مسائل النكاح، فالذي يرتكب كبيرة لا يُنزع عنه لفظ الإيمان بالوجه الإجمالي العام، ولكن لا يُقال عنه مؤمن ونحن نعلم أنه مرتكب كبيرة ولكن لا بد من هذا التوصيف، نقول مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. ولم ننزع عنه لقب الإيمان بالكلية أو لقب الإسلام أو صفة الإسلام بالكلية. هذا حكمه في الدنيا.

أما في الآخرة فهو في مشيئة الله -عزَّ وجلَّ- إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له. فلو واحد زنى أو سرق وأُقيمت عليه عقوبة في الدنيا، يعني عقوبة الرجم أو الجلد أو القطع، لو عوقب في الدنيا بكبيرته، قالوا هذه كفارة له في الدنيا فهي توبة بالنسبة له. مرتكب الكبيرة الذي لم يتب ولم يُقم عليه الحد ولم يتب فهو في المشيئة إن شاء عذّبه الله وإن شاء عفا عنه ولم يدخله النار.

ولذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية تكلّم في هذه المسائل وقال: "بتحقيق هذا المقام يزول الاشتباه في هذا الموضع - يقصد على حكم مرتكب الكبيرة- ويُعلم أن في المسلمين قسمًا ليس هو منافقًا محضًا في الدرك الأسفل من النار، وليس هو من المؤمنين الذين قيل فيهم {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، فليس هذا ولا ذاك.

ولا من الذين قيل فيهم: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا}، فلا هم منافقون ولا هم من هؤلاء الصادقين المؤمنين حقًا، ولا من الذين يدخلون الجنة بلا عقاب، بل له طاعات ومعاص، وحسنات وسيئات، ومعه من الإيمان ما لا يخلد معه في النار، وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار. وهذا القسم قد يسميه بعض الناس: الفاسق المليّ". هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الإيمان الأوسط).

ويقول أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر في حكم مرتكب الكبيرة: "وهل يُطلق عليه اسم المؤمن؟ هذا فيه قولان، والصحيح التفصيل، فإذا سُئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفَّارة قيل هو مؤمن، وكذلك إذا سُئل عن دخوله في خطاب المؤمنين العام هكذا، أما إذا سُئل عن حكمه في الآخرة قيل ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد أن يُعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه. ولهذا قال من قال هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته".

إذًا هو في الأصل يستوجب العقوبة لأنه معه معاصٍ، وهذه المعاصي ليست بناقض من الإيمان ففي هذه الحالة يستوجب النار ولكن لا يُخلَّد فيها. وأيضًا هؤلاء الذين ارتكبوا كبائر وهم من أهل الذنوب الذين يشفع لهم النبي ﷺ، قد يُشفع لهم، فهم يخضعون لحديث الشفاعة. لأن هناك أناسًا يشفع لهم النبي ﷺ قد استحقوا دخول النار، فهؤلاء قد لا يدخلونها ابتداءً بالشفاعة أو أنهم يخرجون من النار أيضًا بالشفاعة.

إذًا هذا في حكم مرتكب الكبيرة عندنا نحن أهل السنة. وطبعًا الأدلة كثيرة جدًا، {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} ودليل على أن القتال في حد ذاته هذا أن الله –سبحانه وتعالى– سماهم إخوة {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} ولو كانوا كفارًا ما قال لهم: (أخويكم). وكما قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

وعندنا أيضًا **أن الإيمان له شُعب**؛ في حديث شعب الإيمان مثلًا (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى من الطريق). إذًا الإيمان كما يقول الحافظ ابن القيم: "الإيمان شعب، وشعبه إيمان. والكفر شعب، وشعبه كفر"؛ يعني الإيمان درجات وشعب ومنازل وتُسمى إيمان. والكفر أيضًا هو شعب ومنازل وفروع وتُسمى كفرًا أيضًا.

ولكن هناك من الشعب ما يزول بزوالها اسم الإيمان. مثلًا "لا إله إلا الله" كلمة التوحيد هي أعلى شعبة من شعب الإيمان، فالذي يتخلفّ عن هذه الشعبة فليس بمؤمن. أما إماطة الأذى عن الطريق أو بعض الشعب الأخرى حتى لو لم يفعلها لا يزول الإيمان بالكلية عنه، وإن كانت تُكتب عليه معصية.

إذًا الإيمان له شعب كثيرة، منها ما يزول الإيمان بزوالها كالشهادتين ومنها ما لا يزول الإيمان بزواله كإماطة الأذى عن الطريق على سبيل المثال.

وأيضًا قلنا إن الإيمان كما يقول الحافظ ابن القيم عند جمهور أهل السنة له شعب متعددة وكما في الحديث فالإيمان شعب وأجزاء والكفر شعب وأجزاء. وهناك من شعب الكفر ما هو كفر أكبر وكفر أصغر. ولذلك فعندنا الكفر

كفران، والشرك شركان، والنفاق نفاقان، والفسق فسقان، هكذا في التقسيم. يعني فسق أكبر وفسق أصغر، نفاق أكبر ونفاق أصغر، شرك أكبر وشرك أصغر، وهكذا.

ولذلك عند أهل السنة قد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق، بعض شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر مثلًا. وهذا لا يُخرجه عن الإيمان. نقول عنه مسلم به شعبة من شعب النفاق، يعني يجتمع إيمان مع نفاق أصغر. طبعًا أنا أقصد هنا شعبة من النفاق الأصغر، أو الفسق الأصغر، أو الشرك الأصغر. وإلا لو اجتمع شرك أكبر مع إيمان أو فسق أكبر مع إيمان أو نفاق أكبر مع إيمان فهذا يزول عنه الإيمان بالكلية، هذا كافر وليس بمؤمن. نحن نتكلم عن إمكانية أن يجتمع في العبد المسلم إيمان وشرك أصغر، ونفاق أصغر: نقصد النفاق العملي طبعًا، أو يجتمع معه فسق أصغر وليس الفسق الأكبر المخرج من الملة.

إذًا هذا هو الذي نقوله في مسألة أن الإيمان شعب والكفر شعب. وأن هذه الشعب تتفاوت درجاتها لكن أعلى الشعب هي (لا إله إلا الله)، يزول الإيمان بزوالها. وقلنا لكم في التقسيم الذي قسّمناه كما قال العلماء وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية أن في عهد رسول الله كان الناس في العهد المكي قسمين؛ قسم مؤمن ظاهرًا وباطنًا، ومشرك كافر ظاهرًا وباطنًا. ثم ظهر قسم ثالث في المدينة، فهؤلاء هم المنافقون الذين هم مسلمون أو مؤمنون في الظاهر وكفار في الباطن.

ثم تطوّر هذا اللفظ كما قلنا لكم بعد جيل الصحابة وظهر مصطلح "الزنديق" وهو نفسه تمامًا المعني أيام رسول الله ﷺ في المدينة وهم المنافقون نفاقًا أكبر. وهذا المصطلح لم يكن معروفًا في المدينة في أيام رسول الله ﷺ.

الرسول ﷺ ذكر أحاديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن). قال الإمام ابن قتيبة وقال العلماء: "هذا نفي كمال الإيمان وليس معناها سلب الإيمان بالكلية". بسبب وجود قرائن وأشياء قد ناقشناها من قبل.

وهذا من الأدلة على هؤلاء الذين استدلوا بأنه لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فمعناها أنه كافر. قالوا لا؛ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن نفي كمال الإيمان، وإلا لو كان الزاني كافرًا خارجًا عن الملة فلماذا يُجلد غير المتزوج ويُقتل، لو صار كافرًا مرتدًا خارجًا عن الإسلام إذًا لماذا هذه الأحكام التي نزلت في ماعز والغامدية وفي غيرها وطبّقها الرسول ﷺ على بعض الصحابة في ذلك الوقت؟

إذًا هذه نزلت في مؤمنين ارتكبوا كبائر وهذه الكبائر كانت كفَّارة لهم بموجب تطبيق هذا الحد. والدليل على ذلك أن الرسول أمر بالصلاة عليهم، فلو كانوا مسلوبي الإيمان بالكلية ما أمر رسول الله ﷺ بالصلاة عليهم، وما نزلت هذه الأحكام في سورة النور وفي سورة المائدة عن السارق والسارقة {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ}، وإلا لكان السارق يُقتل إن كان مسلوب الإيمان، وهكذا.

هناك أيضًا مسألة أخرى من مسائل الإيمان وهي: **هل الإيمان يزيد وينقص؟** وهذه المسألة ناقشناها في تقريرات السلف. وقلنا إن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي. وهذا يدل على أن الناس ليسوا على مستوى واحد في الإيمان ولا في الأعمال، لا في أعمال القلوب ولا أعمال الجوارح، الناس متفاوتون في الإيمان، والإيمان يزيد بلا نهاية، وينقص إلى أن يصل السلب النهائي من العبد.

وناقشنا الأدلة على ذلك في تقريرات مذهب السلف وناقشناها عندما نردّ على الخوارج الذين قالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. ورددنا أيضًا على الجهمية الذين قالوا إن الإيمان وحدة واحدة وهو المعرفة وإنه لا يزيد ولا ينقص، كيف سيزيد وكيف سينقص وهو عبارة عن تصديق واحد!.

وهذه المسألة كانت محور خلاف بين الطوائف الإسلامية كلها، وكل فرقة كان لها رأي في هذا ولكن السلف –رحمهم الله تعالى– بعد أن أجمعوا على أن العمل ركن في الإيمان، رأوا أن الناس بعد ذلك على درجات من التفاوت في الأعمال، إذ لا يمكن التساوي في الإتيان بها على الوجه المطلوب.

وذلك لتفاوت استعداد الناس في تقبُّل ما يصل إليهم من التَّكاليف الشرعية، منهم من يصل من درجة الكمال ويستطيع تنفيذ الأوامر التشريعية ويجتنب جميع المنهيات وهؤلاء صفوة، ومنهم من هو سابق في الخيرات، ومنهم مقتصد، ومنهم من هو المقصّر. فهذه درجات متفاوتة فمن الناس من يقتصر على النوافل، وثالث يتقبَّل التَّشريع ويصدّق به، وبعضهم يقصّر في الإتيان ببعض الواجبات ويتهاون، وأيضًا نتيجة الشهوة الجامحة فيؤدي إلى ارتكاب بعض المحرّمات. فالناس متفاوتة واقعيًا أيضًا واستحالة أنهم يتساوون في مثل هذه المسائل.

ولذلك فإن إيمان أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- أكمل من إيمان غيرهما من الصحابة، كما أن الرسول ﷺ أكمل الأمة إيمانًا بل أكمل البشرية كلها. إذًا الناس تتفاوت في ذلك، ولذلك فإن السلف نظروا إلى هذا الموضوع، والآيات تدل على هذا مثل قوله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} وهذا نص واضح جلي، وقوله -سبحانه وتعالى- كما في سورة الفتح: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} إذًا الإيمان يزيد.

وقال -سبحانه وتعالى-: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} هذا رد على المرجئة والجهمية الذين لا يعترفون بزيادة الإيمان ولا نقصانه. وقال تعالى: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} كما في سورة المدثر. والله -سبحانه وتعالى- يقول كما في سورة آل عمران: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} إذًا هذه الآيات صريحة.

وفي حديث ناقصات عقل ودين وهو حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه: "أن النبي ﷺ أمر النساء بالتصدق وقال بعد ذلك: (ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكم). قلن: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال: (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟) قلن: بلى يا رسول الله. قال: (فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟) قلن: بلى. قال: (فذلك من نقصان دينها)". هذا يدل على أن إيمان الرجل أكمل من إيمان المرأة إذ المرأة يمر عليها أوقات لا تقوم فيها ببعض الشعائر الدينية والرجل مستمر في القيام بها دون انقطاع.

وقد تكون المرأة أفضل وأعظم في الدين من مئات الرجال. نحن نتكلم على وجه عام، مجموع الرجال مع مجموع النساء.

الشاهد هنا أن الرسول قال: (ناقصات عقل ودين) يعني الدين فيه نقصان. وإذا الدين ليس فيه نقصان على رأي المرجئة والجهمية وهؤلاء أو حتى على رأي الخوارج فإنه معنى ذلك أنها كافرة، فكيف هذا والرسول ﷺ يقول إن هناك نقصان في الدين؟!

الرسول ﷺ بيّن أن حتى الناس تتفاوت. يعني في حديث عبد الله بن مسعود في صحيح مسلم: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتضون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف

يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل). فهذا يدل على تفاوت الناس، وعلى أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الناس ليسوا على مستوى واحد في هذا الموضوع.

إذًا تقرير مذهب السلف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه أننا نؤمن بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكما قال السفاريني:

الإيمان قول وقصد وعمل ... تزيده التقوى وينقص بالزلل

نأتي إلى تقرير مذهب السلف أيضًا في **مسألة الاستثناء**:

قلنا في تقرير مذهب السلف في الاستثناء –أنا مؤمن إن شاء الله–، في هذا عندهم رأيان:

رأي يقول يجوز أن تقول (أنا مؤمن إن شاء الله) ويجوز أن تترك. والبعض يقول يجوز بمعنى يُستحب، ويقول يجوز يتساوى أن تقول (أنا مؤمن إن شاء الله) أو تترك هذه المسألة إذا علمت أن الذي يسألك من باب التشكيك. فإذا كانت المسألة نقول (أنا مؤمن إن شاء الله) بمعنى أن هذا تشكيك في اعتقادي وإيماني بالله وملائكته. فهذه ثابتة ولا أحد يقول (أنا أشهد أن لا إله إلا الله إن شاء الله). لا أحد يقول هذا، بل أنا أقوله على سبيل القطع والجزم.

وحتى السلف عندما أجازوا ذلك استدلوا حتى بالقرآن الكريم جاء بصيغة الاستثناء في أمر مقطوع به: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ} لاحظوا الله هو الذي يقول ذلك، والله –سبحانه وتعالى– علم أنهم داخلون وأنه مقطوع به إذًا يجوز الاستثناء في أمر مقطوع به، وهذا رد على الذين حرّموا الاستثناء.

الذي يريد أن يراجع المسألة يرجع إلى المحاضرات السابقة حتى لا أطيل عليكم في مسألة تفصيل المذاهب الأخرى في مسألة الاستثناء.

إذًا الاستثناء هنا نعم يجوز لي أن أقول أنا مؤمن إن شاء الله، لأنني إذا قلت أنا مؤمن هكذا قد يُفهم منها أنني أديت جميع الأوامر واجتنبت جميع النواهي، وأنا أزكّي نفسي وكأنني أشهد لنفسي بأنني من أهل الجنة، حتى نفوّت على أنفسنا ذلك فالاستثناء أصلًا في الأعمال. أما الذي في القلب فهو أنا مؤمن ومستقر في قلبي أني مؤمن انتهى الأمر.

وتجدون السلف يكثرون من هذا، والعلماء قديمًا كانوا يقولون: (أنا مؤمن إن شاء الله) من باب أنه لا يزكي نفسه، حتى لا يُفهم منه أنه مؤمن بمعنى الإيمان الخاص وهو أنه أعلى درجة من الإسلام، وهو الدرجة من الإسلام وهو درجة التزكية في هذه الحالة.

وقلنا أعلى درجة في مراتب الدين هي الإحسان كما في حديث جبريل، وهم السابقون إلى الخيرات. وأما الإيمان فهو المقتصِد، ومنهم الإسلام الذي يأتي بالحد الأدنى. فإذًا هذه درجات، الإحسان، ثم الإيمان، ثم الإسلام.

إذًا هذا هو خلاصة مذهب السلف في هذه المسألة. وقلنا لكم إن الرسول ﷺ عندما كان يخرج من آخر الليل إلى البقيع (مقابر البقيع) كان يقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أتاكم ما توعدون، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد). هكذا في الحديث قال: (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون). فهل كان النبي ﷺ شاكًا في موته؟! طبعًا لا، إذًا يجوز الاستثناء.

إذًا نحن قلنا تقريرهم في الإيمان، وقلنا أيضًا في تقرير مذهب السلف في مسألة مرتكب الكبيرة، وقلنا تقرير مذهب السلف في أن الإيمان يزيد وينقص أم لا، وقلنا تقرير مذهب السلف أخيرًا في الاستثناء.

هناك أيضًا مسألة أخرى وهي **مسألة الكفر**؛ لأن هناك بدعة قد ظهرت وهي مسألة حصر الكفر بكفر التكذيب، أو بالاستحلال القلبي فقط، أو أنه لا يوجد كفر إلا الكفر الاعتقادي أما الكفر العملي فلا يوجد، وإنما هو كفر أصغر أو كفر دون كفر.

وتكلمنا في هذه المسألة. ولكن الإمام ابن القيم قسّم لنا هذا التقسيم كما في (مدارج السالكين) وغيرها، عندما قسّم الكفر وقال: "أما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق. فأما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل من الكفار". الآن وجدنا الملاحدة

الذين يكذّبون بالرسل وبالأنبياء وبكل شيء حتى من بين من وُلدوا مسلمين!.

"أما كفر الإباء والاستكبار فهو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار وإنما تلقّاه بالإباء والاستكبار"؛ يعني إبليس كفر ليس لأنه جحد أمر الله ولا أنكره ولكنه تقبّله بالإباء والاستكبار.

"ومن هذا كُفر من عرف صدق رسول الله وأنه جاء بالحق من عند الله ولم يَنْقَد له إباءً واستكبارًا، فالغالب على كفر أعداء الرسل أن كفرهم كفر إباء واستكبار"؛ يعني هو يعلم أن الرسول على حق {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} ولكنهم استكبروا وأَبَوا أن ينقادوا لهذا الرجل، وكيف يُنزل عليه هذا الوحي ويكون رسولًا وهم يتبعونه وهم سادة الناس وقادتهم وهم الملوك وهم كذا وكذا، فلذلك كفروا كفر استكبار وإباء.

"أما كفر الإعراض فهو كفر مشهور أيضًا وهو: أن يعرض عن سمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه، ولا يكذبه، ولا يواليه، ولا يعاديه، ولا يصغي إلا ما جاء به البتة". ولذلك يقول هذا جاهل، لكنه جاهل بماذا؟ هذا الجهل هو جهل إعراض؛ لأنه لا يريد أن يتعلم أصلًا فهو جاهل حقيقة، والآيات كثيرة في القرآن على هؤلاء الجهّال؛ لأنهم لا يريدون أن يتعلموا أصلًا، ولا يريد أن يكلّف نفسه بالإصغاء إلى هذا النبي، فهو هنا جاهل ولكن هو الذي أعرض عن العلم، هو أعرض عن التَّعلم، هو أعرض عن الاستماع.

ولذلك مسألة الجهل المقصود هو الشيخ الكبير، وعند انقراض الزمان وفي الحديث الذي تكلمنا عليه في الشبهات، فهذا في حالات خاصة، أن الإسلام قد دَرَس وانتهت معالمه، وهذا هو الذي يستطيعون من العلم، أقصى ما وصلوا إليه من العلم هو هذا، لا يعلمون إلا بعض المسائل فقط ومعظم الدين لا يعلموه، فهم جهلة؛ ولذلك عُذروا بجهلهم من أجل هذا.

أما الذي يتوفر لديه العلم، وهو يُعرِض عنه ولا يريد أن يستمع ولا يكلّف نفسه أن يذهب كما كان الصحابة، واحد يسمع عن الرسول يأتي بعض سنوات للرسول، يعني انظر إلى الجدّية وأنه يريد أن يتعلم. هذا بخلاف الذي رضي بالقعود ورضي بما فيه، ولا يريد أن يسمع ولا يستمع ولا أي شيء. هذا كفر إعراض.

"أما كفر الشك فإنه: لا يجزم بصدقه ولا بكذبه بل يشك. هذا متردد، هو صادق أم غير صادق، وهذا كافر بشكّه هذا.

وأما الكفر الآخر وهو كفر النفاق وهو: أن يظهر بلسانه الإيمان وينطق قلبه على التكذيب"؛ هذا هو الكفر المنتشر الآن، كان كفرًا في عبد الله بن أبي بن سلول، والكفر الآن المستشري في العالم الإسلام، تجد الرجل يقول أنا اسمي محمد أو علي أو حسن أو حسين ثم بعد ذلك فإنه كافر بالله العظيم، منافق عليم النفاق، وهذا زنديق أيضًا، ويُظهر لنا أنه مسلم ولكنه من أعدى أعداء الإسلام، هذا كفر نفاق أيضًا.

هؤلاء عندهم كفر مركَّب، يعني ممكن يدخل في هذا الكفر الخمس أنواع من الكفر هذه ممكن مجموعة من الكفر في شخص واحد. بعض الناس الذين نراهم في أيامنا هذه -نعوذ بالله- تجد أنه يكاد يكون معظم أنواع الكبائر قد اقترفها، أو أنه في جميع أبواب الكفر له حظ، يعني أنت لا تعرف هو كافر من أي باب، يعني وأنت مغمض عينيك تعرف أنه كافر كفر إعراض، كفر شك، كفر نفاق، كفر تكذيب، كفر استكبار، كله! ومنهم من ينتسب للإسلام أو غير الإسلام.

أما مسألة الكفر عند أهل السنة قلنا هناك كفر عملي كفر أكبر، والكفر ليس محصورًا بكفر التكذيب والقلب فقط، كما يقولون؛ لأنهم يريدون أن يُخرجوا من يترك جنس العمل أو إلى هؤلاء الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، الحكم بما أنزل الله هذا عمل، قضاء، تشريع، يسنُّون شيئًا، فهذا عمل. إذًا يريدون أن يقولوا هذا كفر أصغر وأنه يُشترط الجحود والاستحلال وهكذا.

حتى لو أن رجلًا لم يركع لله ركعة ومات فإذًا في هذه الحالة هذا كفر عملي، يعني كفر دون كفر، وكفر أصغر، فالإنسان لا يزال مؤمنًا وإنه أقصى ما فيها أنه مرتكب كبيرة وهو تحت المشيئة! يعني مثلًا أي حاكم طاغية يفعل كل هذه الأفاعيل فإنها أعمال، طالما أنه قال (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وأنه أقرّ بالإيمان إذًا في هذه الحالة لو استباح الحرمات ولو قتل العبيد والعباد ولو أنه حكم بغير ما أنزل الله فإنه ارتكب كفرًا عمليًا. يقولون: كفر دون كفر، وهو كفر أصغر؛ لأن الكفر في الأساس كفر الاعتقاد الاستحلال القلبي فقط أو الجحود فقط، يعني على الأقل واحد يقول لك أنا جاحد أو أنا مستحل لهذا!.

نحن نقول ليست كل المعاصي هكذا، هناك معاصٍ ذكرها الشارع مثل الزنا والخمر، واحد يقول الزنا حلال، الخمر حلال هذا كافر، هو استحلّ الذنب. أو يجحد شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة أو ينكره ويصرّح.

وإن شاء الله يمكن أن نخصص بعد ذلك مسائل في ضوابط التكفير وبعض الألفاظ، وذكرت لكم في المحاضرة السابقة في الرد على الشبهات أن العلماء قديمًا كانوا يهتمون بألفاظ التكفير كما في كتاب (قواطع الإسلام) لابن حجر الهيتمي وذكرت لكم أسماء بعض الكتب الأخرى. الناس كانوا يهتمون بهذه الألفاظ ويضعون الضوابط في أحكام التكفير وما يُسمى تكفير المطلق وتكفير النوع وتكفير المعيَّن.

وشيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى) في الجزء الثامن والعشرين له كلام جيد في مسألة تكفير المعين. وهناك كتب تكلمت في هذه المسائل ذكرتها من قبل في الرد على هذه الشبهات.

ولكن في النهاية هذه تحتاج مسائل ضوابط التكفير، وموانع التكفير، والكلام في كفر المعَّين، وكفر الطائفة، وهذه التفاصيل الدقيقة تحتاج إلى دراسة مستقلّة. نحن فقط نشير إشارات عامة.

ولكن نقول الذي يقول إن تارك جنس العمل مؤمن هذا يخالف مذهب السلف، وقول الصحابة، وعلماء الأمة، ويخالف القرآن والسنة. الذي يترك جنس العمل ويكتفي بالقول باللسان والإقرار بالقلب هذا ليس بمؤمن. والصحابة استقرّوا على ذلك.

ولكن المشكلة جاءت في الجيل الذي جاء بعد الصحابة وهم اختلفوا في مسألة حكم تارك الصلاة، الذي يترك الصلاة كسلًا ويتركها جحودًا أو يترك الزكاة. لكن السلف في عصر الصحابة ما كان أحد منهم يتخيل أن واحد يترك الصلاة يكون مؤمنًا. ولذلك ستجد من العلماء من يكفّر الذي يترك الصلاة سواء ترك الصلاة كسلًا أو تركها متعمدًا أو أقرّ بوجوبها ولم يصلها، فقالوا إنه كافر على جميع الحالات، ومنهم من فصّل، والجمهور يرى أن تارك الصلاة كسلًا يختلف عن تارك الصلاة متعمدًا، وقالوا هذا كافر. والجحود لم يختلفوا فيه، الكل متفق أنه كافر.

لكن المشكلة أن جيل ما بعد الصحابة هم الذين اختلفوا في حكم تارك الصلاة كسلًا أو جحودًا. هذه المسألة فقط التي أثارها الإمام أحمد وقيل إن الإمام أحمد تفرَّد بها، وعن الشافعية والمالكية والأحناف هذا جمهور المذاهب يقولون تارك الصلاة كسلًا لا يزال مسلمًا ولم يكفروه الكفر المخرج من الملة.

لكن إذا حصرناها فالإمام أحمد والسلف وما قبل الإمام أحمد والإمام الأوزاعي وغيره والليث ابن سعد وكل هؤلاء ومن قبلهم، كل علماء هؤلاء من جيل الصحابة هؤلاء جميعًا كانوا لا يفرّقون بين الذي يتركها كسلًا ولا جحودًا، ولا توجد نصوص قاطعة صحيحة تدل على ذلك.

والذي يريد يتوسع يرجع إلى كتاب (تعظيم قدر الصلاة) للإمام المروزي، فله تفاصيل دقيقة في هذا الموضوع.

بل إن من العلماء من يكفّر بمجرد أن يفوّت صلاة الظهر أو العصر متعمدًا، صلاة واحدة! يعتبروه يحتاج إلى أن يتشهد من جديد ويدخل الإسلام من جديد. يعني المسائل كانت في غاية الخطورة والدقة.

ولكن المشكلة الآن ليست في قضية الذي يتركها كسلًا أو جحودًا، المشكلة الآن في الذي يترك جنس العمل كلية. واحد عاش وقال (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، أو وُلد مسلمًا هكذا وهو مقرّ ويقول أنا مسلم وانتهى، ولم يركع لله ركعة وعاش ما عاش من السنين وفي النهاية مات ويقول إنه مؤمن! هذا هو الذي قال عنه السلف وقال عنه العلماء أنه ليس بمؤمن؛ لأنه لم يأتِ بركن العمل، فليس بمؤمن وإن قال بلسانه وإن أقرّ بقلبه فلا بد من الركن الثالث.

إذًا هذا خلاصة هذه التقريرات. وهذه التقريرات أشبه بمراجعة سريعة لتقرير مذهب السلف في مسائل الإيمان. فأرجو ممن يريد أن يفهم جيدًا لا يكتفي بهذه المحاضرة فهذه المحاضرة الأخيرة، يستمع من أول محاضرة إلى هذه المحاضرة. يعني يستمع إلى العشر محاضرات الأول؛ لأنها فيها تفاصيل، وأنا أكرر كثيرًا مسائل وأعيد وأزيد، حتى تستقر الفكرة ويستقر العلم عند المتلقي فيفهم طالب العلم ما أريد.

لأننا نهدف من هذه الدورة أن يخرج طالب العلم محصَّنًا من أهل البدع، وأن يعلم تقرير مذهب السلف الحقيقي في هذه المسائل.

أختم هذا الكلام بقول الإمام البربهاري –رحمه الله– في كتابه (شرح السنة):

"وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن الحضير –رضي الله عنهم– فاعلم أنه صاحب سنة –إن شاء الله–. وإذا رأيت الرجل يحب أيوب وابن عون ويونس ابن عبيد وعبد الله بن إدريس الأودي والشعبي ومالك بن

مغول ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذٍ ووهب بن جريرٍ وحمّاد بن سلمة وحمّاد بن زيد ومالك بن أنس والأوزاعي وزائدة بن قدامة فاعلم أنه صاحب سنة.

وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، والحجاج بن المنهال، وأحمد بن نصر، وذكرهم بخير، وقال بقولهم، فاعلم أنه صاحب سنة". اهـ

طبعًا لماذا ذكر الصحابة هؤلاء، لماذا ذكر أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن الحضير؟ ذكر هؤلاء الصحابة لأن معظم أهل الأهواء لا يحبون أبا هريرة -رضي الله عنه- ويطعنون فيه كراوٍ لحديث الرسول ﷺ لأنه كان من المكثرين، وهو من أكثر الصحابة الذين اعتُدي عليهم تاريخيًا؛ طُعن في العصر الأول، ثم في بعض العصور ومن أهل البدع، وإلى وقتنا هذا.

وتجد هذا حتى في كتاب (قذائف الحق) للشيخ الغزالي عندما غمز ولمز في حديث (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم)، ويغمز حتى في أبي هريرة. يعني وصل التجرؤ بسبب أنهم يقدّمون عقولهم إلى الاعتداء على هذا الصحابي الكريم!. وهو من أعدى أعداء الروافض أيضًا، بعد أبي بكر وعمر وعائشة وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة وكل هؤلاء الصحابة الكبار -رضي الله عنهم-.

وهم يبغضونه بسبب عنايته برواية الحديث وحفظه على الأمة كثيرًا من الأحاديث، فهم يبغضونه لذلك. وأيضًا يبغضون أنس بن مالك خادم النبي ﷺ للصفات الجميلة وللروايات القوية جدًا ولرده على أهل البدع أيضًا في زمانه. وللصحابي أسيد بن حضير الأنصاري -رضي الله عنه- فهم يبغضونه أيضًا لأنهم ينقمون عليهم أوصاف الرسول ﷺ، ومن شاء يرجع إلى مناقبهم ليعلم لماذا يكرهونهم.

وحتى هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الإمام البربهاري، وهو المتوفَّى سنة ٣٢٩هـ، في كتابه (شرح السنة) ذكر: "وإذا رأيت الرجل يحب أيوب وابن عون ويونس بن عبيد وعبد الله بن إدريس الأودي والشعبي ومالك بن مغول ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذٍ ووهب بن جريرٍ وحمّاد بن سلمة وحمّاد بن زيد ومالك بن أنس والأوزاعي وزائدة بن قدامة فاعلم أنه صاحب سنة. وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل.."، لماذا؟

لأن ابن أيوب وابن عون ويونس بن عبيد كل هؤلاء هم حملة هذا الدين وهم رواة السنة والحفّاظ الذين وقفوا لأهل البدع، وهم علماء الجرح والتعديل، فالذي يبغضهم يبغض أعمالهم الطيبة؛ لأنهم حفظوا السنة، واعتنوا بها بأسانيدها، وكشفوا هؤلاء الرواة الكذابين الأفّاكين الوضّاعين؛ فلذلك هم يبغضونهم.

وطبعًا الإمام أحمد بن حنبل له القدح المعلَّى من الكراهية والبغض، هم يكرهونه، والمعتزلة يبغضونه، والروافض يبغضونه، والأشاعرة يبغضونه، وكثير من أهل البدع يبغضونه، والجهمية يبغضونه، فالإمام كان له النصيب الكبير.

وأيضًا الإمام أحمد بن نصر الخزاعي -رحمه الله- وهو الذي قُتل وعُلّقت رأسه بسبب فتنة خلق القرآن أيضًا، في أيام الخليفة الواثق العباسي، فهم قتلوه وعذّبوه، وكان رجلًا محتسبًا رحمة الله عليه، وكان يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعترض على امتحان الناس في مسألة خلق القرآن، حتى قُبض عليه وعذّبوه وعُلِّقت رأسه فترة طويلة وجسده في العراق في ذلك الوقت.

فإن هؤلاء العلماء هم الذين وقفوا أمام هذا الباطل ووصّلوا لنا هذا العلم ووصّلوا لنا هذا الدين ووصّلوا لنا هذه الكتابات، وهذه الكتب التي ذكرت لكم من قبل كتب قيمة ينبغي الاعتناء بها، وذكرت لكم أسماء بعض هذه الكتب، ككتاب (الإيمان) للإمام ابن أبي شيبة، وكتاب (الإيمان) لأبي القاسم عبيد الله بن سلّام -رحمة الله عليه-، وكتاب (الإيمان) أيضًا للقاضي أبي يعلى، وكتاب (الإبانة عن أصول السنة والديانة) للحافظ ابن بطة المتوفى سنة ٣٨٧هـ، وكتاب الإمام اللالكائي وهو كتاب عظيم أيضًا في اعتقاد أهل السنة، والإمام اللالكائي المتوفى ٤١٨هـ.

وكتاب (مسائل الإيمان) أيضًا للقاضي أبي يعلى المتوفى سنة ٤٥٨هـ. وكتاب (الإيمان) لشيخ الإسلام ابن تيمية الذي نصر السنة وأعاد الاعتبار لأهل السنة والجماعة، وحرّر مذهب السلف والتقريرات الجميلة الرائعة التي قام بها شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته وتلامذته وأيضًا.

كتاب القاضي عياض أيضًا (الشِّفا). وهناك أيضًا كتب تكلّمت في هذه القضايا مثل كتاب (الفِصَل) لابن حزم رغم أن عنده بعض الأشياء، ولكن هذه كتب منتشرة. وكتاب السفاريني (لوامع الأنوار). وكتاب الإمام الطبري (التبصير في معالم الدين)، وانتصر فيه لاعتقاد أهل السنة، الإمام الطبري كلامه جيد وردوده قوية جدًا أيضًا.

وكتب أهل السنة الحمدلله متوافرة وموجودة والآن طُبع منها كتب كثيرة، والذي يريد أن يهتم بكتب في ألفاظ الكفر والإيمان فيهتم بكتاب (الإعلام بقواطع الإسلام) لابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣هـ، وكتاب (رسالة في ألفاظ الكفر) لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، وكتاب (ألفاظ الكفر) لبدر الرشيد الحنفي المتوفى سنة ٧٦٨هـ، و(رسالة في ألفاظ الكفر) للقاسم بن صلاح الدين الخاني المتوفى سنة ١٠٠٩هـ. وطبعًا لا ننسى كتب (الدرر السنية)، فهي درر بحق.

والكتب السهلة الآن هي: (كتاب معارج القبول)، هذا كتاب قيّم في بابه وجيّد وهو مسهّل كثير جدًا في المسائل. وكتاب (العقيدة الطحاوية) بتحقيقات العلماء والشرّاح هي من أسهل وأيسر الكتب، مع التحفظ على بعض المسائل الخاصة وستجدون بعض العلماء نبّه على هذه المسائل التي ذكرها ابن أبي العز الحنفي.

وللذكر فإن كتاب (العقيدة الطحاوية) للإمام ابن أبي العز الحنفي معظم شرحه في مسائل الأسماء والصفات ومسائل الفرق والردود كلها أخذها عن الإمام ابن تيمية. بصراحة هو أخذ معظم هذا الكلام من كتاب (الإيمان) لابن تيمية وإن لم يذكره. لكن إذا قارنت بين النصوص ستجد أن شرح ابن أبي العز الحنفي معظمه مأخوذ من كلام الإمام ابن تيمية في كتابه (الإيمان) وفي كتبه الأخرى أيضًا.

وهذا خير وبركة الحمدلله في هذا الأمر، وإن كانت هناك بعض النُّكت أو بعض المسائل كان يجب التَّنبيه عليها، لكن هذا هو مجمل ما استطعنا أن ندندن حوله.

وبهذا التقرير لمذهب السلف في الإيمان نكون قد انتهينا -بفضل الله تعالى- من هذه الدورة الشرعية.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم القيامة إن شاء الله.

ورُبّ مُبَلّغ أوعى من سامع، فكل من يستمع إلى هذه الدورة وخاصة أن الشباب يعلمون أن أصحاب البدع كثر ولهم أبواق إعلامية ومنابر إعلامية ولهم مساجد ولهم من يموّلهم، فلا تحقِرن من المعروف شيئًا، فانشر هذه الدورة، سجّلها بأي وسيلة من الوسائل المتاحة لك، وانشرها على طلبة العلم وعلى الفاهمين، وعلى من تتوسّم فيه خيرًا، بحيث أن يستمع إليها لعلّ الله -سبحانه وتعالى- أن يفتح على قلبه ويشرح صدره لفهم هذا الدين ويردّه إلى الحق ويتخلص من تبعيته لشيخه أو لقائده أو لزعيمه أو من أسره بشبهة هنا أو هناك.

فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن نكون من الوقّافين عند حدود الله -سبحانه وتعالى-، ومن الذين ينتفعون بهذا العلم وأن يعملوا به أيضًا، فنحن كنا نركز على العمل، ونركز على أن العمل ركن من الإيمان.

فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن نكون صادقين فيما نقول، وأن يغفر الله لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يتقبل الله منا ومنكم.

وجزاكم الله كل خير، وبارك الله فيكم على حسن استماعكم، وحسن صبركم وتعبكم معنا في خلال هذه الدورة..

وإن شاء الله مع دورة شرعية أخرى..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تمت الدورة بحمد الله
